

رواية

# وحدك حبيبي

أمانى عطا الله

## مؤسسة يسطرون للطباعة والنشر والتوزيع



رئيس مجلس الإدارة

عماد سالم

المدير العام

أحمد فؤاد الهادي

مدير الإنتاج

أحمد عبد الحليم

الطبعة الثانية

الكتاب : وحدك حبيبتي

المؤلف : أمانى عطا الله

تصنيف الكتاب : رواية

تصميم وإخراج : أحمد عبد الحليم

المقاس ٢٠ × ١٤

رقم الإيداع : ٧٣٨٨ / ٢٠١٦

الترقيم الدولي : 1 - 215 - 776 - 977 - 978

العنوان : المكتبة والمطبعة : ٣ ش صفوت - محطة المطبعة شارع الملك فيصل - الجيزة

التليفون : ٠١٢٢٩٣٠٠٠٢٩ - ٠١١٥٧٧٦٠٠٥٢

Email: yastoron@gmail.com

موقعنا على الفيس بوك : مؤسسة يسطرون لطباعة وتوزيع الكتب

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

إهداء

إلى عاشقى الرومنسية

أمانى



## ليلى

عجزت ليلى عن السيطرة على انفعالاتها فانطلقت ضحكتها مدوية لتهز أرجاء الحرم الجامعى، مما جعل الطلاب يلتفتون إليها فى فضول، ما لبث أن تحول إلى زهول، وهم يرون الدكتور عبد الرحمن عزيز رئيس قسم القانون الجنائى بكلية حقوق جامعة المنصورة - والذى يطلقون عليه عبد الرحمن الغول لشدة قسوته وصرامته - واقفاً يحدق فى ليلى، وقد برزت عيناه من خلف نظارته الطبية، وتدلّت شفته السفلى فى بلاهة، غير مبال بتلك الأوراق التى سقطت أرضاً، وتبعثرت حوله فى غفلة منه .

تقدم بعض الطلاب يجمعون له أوراقه، ربما احتراماً، وربما رغبة فى التودد إلى أستاذتهم الساحرة، التى طالما سحرت قلوبهم قبل عقولهم، فهرولوا إليها من مختلف الصفوف، يحملون أسئلة يعرفون أجوبتها مسبقاً، لا لشيء سوى سماع صوتها، والنظر إليها عن قرب ولو للحظات معدودات .

أخذ منهم الدكتور عبد الرحمن الأوراق وهو يشكرهم فى اقتضاب، قبل أن يعود للتحديق فى ليلى قائلاً كالغيب :

— هيا بنا

شكرتهم ليلى فى ابتسامه رقيقه، ثم مضت معه، وما إن ابتعدوا قليلاً حتى عاد يقول، وهو يحاول جاهداً التحكم فى نبرته المنفعلة :

— هلا تفضلت بتكرار ما قلته على مسامعى مرة أخرى ؟

ابتسمت وهى تضغط على حروفها قائلة :

— سأتزوج

هتف فى صبر نافذ :

— من ؟

— سأتزوج من أجل الحصول على الدكتوراة، ألم تشجعنى مراراً لنيل هذه الدرجة العلمية الرفيعة ؟

— دعك من المراوغة يا ليلى .

— حسناً يا سيدى، سأتزوج منحرفاً.

صاح فى عصبية :

— منحرفاً، ها أنت تكررينها مرة أخرى.

— أريد رجلاً يساعدنى فى الحصول على الدكتوراة.

همس فى توصل :

— لن تجدى أفضل منى لمساعدتك، لقد طلبت منك الزواج أكثر من مرة، وكنت ترفضين دائماً، وها أنا أكررها .. أريد بل أتمنى الزواج منك يا ليلى.

هزت رأسها قائلة :

- مستحيل، أنا لا أَرْضِي لك أن تكون هذا الزوج.
- لماذا وأنا أحبك حباً جماً ؟ إن كان رفضك بسبب زوجتى أو أولادى الثلاثة، فأنا أعدك بأن .....

قاطعته قائلة :

- مهلاً يا دكتور عبد الرحمن، أنا لن أتزوج من أجل الزواج فى حد ذاته.
- ولماذا تتزوجين إذاً ؟
- أنا سأتزوج من أجل العلم.

ضحك فى سخرية وعصبية قائلاً :

— من أجل العلم .....؟؟!!

رفعت عنقها العاجى إلى أعلى قائلة :

- نعم من أجل العلم، سيكون موضوع رسالتى عن البيئة ومعدل الجريمة .. ربما ناقش الكثيرون هذا الموضوع من قبل، لكننى سأناقشه بطريقة مبتكرة لم يسبقنى إليها أحد، سأعبر إلى هذه البيئة بنفسى، سأشارك منحرفاً حياته اليومية، سأراقبه عن قرب لملاحظة العوامل التى أدت إلى انحرافه، سأجمع معززات سلوكه الإجرامى ثم أحاول تقويمه بشتى الطرق حتى أصل للنتيجة التى أبحث عنها، سوف أوسس رسالتى على تجربة واقعية وليس نقلاً من مراجع ربما فقدت مصداقيتها بفعل الزمن.

تنهدت بعمق قبل أن تضحك قائلة :

— أَلن يكون هذا مسلياً جداً ؟

تطلع إليها دكتور عبد الرحمن طويلاً قبل أن يضحك بدوره  
قائلاً :

— يا إلهى ، كيف تمزجين الجد بالمزاح لهذه الدرجة ؟ لقد  
كدت أن أصدقك بالفعل.

هتفت غاضبة :

— أنا لا أمزح يا دكتور

عاد يقطب جبينه قائلاً :

— أيعنى هذا أنك ستقومين بهذه التجربة حقاً ؟

— نعم ، وسأبدأ فى الاختيار من هذه اللحظة.

هز رأسه قائلاً :

— ما كنت لأصدق أبداً ، ولو أقسم لى الجميع ، بأنك على هذا

القدر من الحماقة يا ليلى

نظرت إليه معاتبة فتابع قائلاً :

— حسناً يا ليلى ، ألا تجدين فى طلبى الزواج منك انحرافاً ؟

ضحكت قائلة :

— زواجى منك ينهى تجربتى قبل أن تبدأ ، ثم إن إثارة غيرة زوجة ،

وكره أبنائها الثلاثة لى .. ليست هى الجريمة التى أبحث عنها.

— أخبريني إذاً بالجريمة التي تبحثين عنها، وسأفعلها من أجلك.  
ضحكت في عذوبة فتابع :

— هل تريدني أن أسرق بنكاً أم أقتل أحداً أم .....  
قاطعته قائلة :

— كفى يا سيدي، أنا على يقين بأنك لن تنجح في هذا،  
فأنت لست منحرفاً بطبعك  
هتف مستنكراً :

— أنت لا تريدني منحرفاً عادياً إذاً، أنت تريدني مجرمًا عتيداً  
في الإجرام أيضاً  
— دكتور عبد الرحمن، أرجوك حاول أن تفهمني.  
غمغم في ضيق :

— أتمنى هذا بالفعل، ولكن ما تقولينه لا يمكن لعاقل أن يفهمه.

اقترب منهما في تلك اللحظة دكتور أحمد فايز زميلهم في  
القسم ذاته، ابتسم وهو يحييها قائلاً :

— صباح الخير يا دكتور عبد الرحمن، صباح الخير يا جميلة  
الجامعة، بل جميلة المنصورة بأكملها.

غمغم دكتور عبد الرحمن وهو يتأملها متحسراً :

— يبدو أن جميلتنا قد أصابها الحسد في مقتل.

نظر إليه دكتور أحمد في تساؤل ممزوج بالدهشة فأردف :

- جميلتنا قررت أن تتزوج.
- رائع ، تهنئتي يا ليلي .. لكن ما المشكلة في هذا ؟
- نهره دكتور عبد الرحمن قائلاً :
- انتظر أولاً حتى تعرف الشروط التي تريدها في زوج المستقبل.
- نظر إليه دكتور أحمد في إشفاف فقد كان يعلم كم هو متيم بليلى التي ابتسمت قائلة :
- إن كانت كلمة زواج هي التي تغضبك يا دكتور عبد الرحمن ، فدعنا نسميها تجربة.
- نظر إليها الرجل في تهكم ، قبل أن يحول بصره إلى دكتور أحمد قائلاً :
- هل نجد في حقيبتك نماذج لبعض المنحرفين ، المجرمين ، بل عتيدي الإجرام ؟
- ابتسمت ليلي ، بينما نظر إليه دكتور أحمد في دهشة قبل أن يغمغم :
- طلبك عندي وإن كنت لا أفهم شيئاً.
- تبعاه إلى غرفة واسعة تضم مكاتبهم الثلاثة ، بالإضافة إلى مكتب الدكتورة نادية صديقة ليلي المقربة ، والتي ابتسمت ما إن دلفوا إلى الحجر ، وهي تبادلهم التحية.
- جلس دكتور أحمد خلف مكتبه ، وفتح حقيبته ليخرج منها عدداً من الملفات ، راح يقدمها واحداً تلو الآخر إليهما قائلاً :

— لكما ما شئتما منها.

تناولت منه ليلى الملفات باهتمام أثار ضجر دكتور عبد الرحمن الذى راح يضرب كفاً بأخرى قبل أن يشير إلى نادبة قائلاً :

— ألن تساعدى صديقتك فى اختيار زوج المستقبل ؟

تأملته نادبة فى دهشة، وهو يتابع فى عصبية لا تخلو من السخرية :

— هيا، هيا لا تضيعى الوقت، تذكرى أن تنتقى لها أكثرهم انحرافاً نهضت نادبة من خلف مكتبها، واتجهت إليهم، وهى تبسم فى بلاهة قائلة :

— أنا لا أفهم شيئاً، هلا أخبرنى أحدكم ماذا يجرى ؟

ابتسم دكتور أحمد قائلاً :

— يبدو أننى وجدت عملاً إضافياً، جميلتنا تبحث عن زوج بين ملفاتي .

تطلعت نادبة بدهشة إلى ليلى التى تفحصت أحد الملفات قائلة :

— لا ... ظنى أن هذا لا يصلح فقد قتل زوجته كرد فعل تلقائى عندما اكتشف خيانتها، جريمته وليدة اللحظة، لا أستبعد أن يكون قد شعر بالندم بعدها.

ابتسم دكتور أحمد وهو يقدم لها ملفاً آخر قائلاً :

— تفضلى هذا، ولكن لا تنسى عمولة الخاطبة.

تناولت منه الملف مبتسمة، بينما غمغم دكتور عبد الرحمن بضيق، وعيناه على ليلى قائلاً :

— لا ... ظنى أنك لست فى حاجة إلى عمولة يا دكتور أحمد، يكفى أن تعلن فى القرية أن ليلى فاضل ستختار زوجاً من بين موكليك، سيزيد عددهم أضعافاً، بل أنا على يقين بأن معدلات الجريمة فى القرية كلها ستتزايد أيضاً.

تجاهلت ليلى تعليقه قائلة :

— هذا أيضاً لا يصلح، فهو يبدو محترفاً بالفعل، لكنه لن يخرج من السجن قريباً

تناول دكتور عبد الرحمن أحد الملفات و قدمه إليها قائلاً :

— ما رأيك بهذا ؟

ما إن نظرت ليلى إلى إحدى الصور المصققة بالملف حتى صاحت مستنكرة :

— يا إلهى، هذا يجعلنى أصرف النظر عن الرسالة بأكملها، فوجهه لا يكاد يرى من كثرة الندبات والتشوهات التى تثير الفرع.

ابتسم فى تهكم وهو يقدم لها ملفاً آخر قائلاً :

— وهذا ؟

نظرت إليه فى عتاب قائلة :

— لقد حول القاضى ملفه إلى أحد المستشفيات العقلية، إذا خرج بريئاً من هذه القضية، فربما يقوم بقتلى بعد الزواج.

قال هازئاً :

— وماذا تنتظرين من زوج منحرف ومجرم ؟

هزت كتفيها فى لامبالاة، وراحت تتصفح المزيد من الملفات  
قبل أن تتنهد قائلة :

— لا أحد بين هؤلاء يصلح للزواج، ربما غداً أجد لديك .....

قاطعها دكتور أحمد قائلاً :

— ليلى، هل أنت جادة؟!؟

أجابته فى جدية :

— بالطبع

غمغمت نادبة :

— مستحيل !

\*\*\*

عادت ليلى إلى المنزل وهى تردد إحدى الأغنيات المحببة إليها  
فى مرح ما لبث أن تحول إلى ضجر وهى تتجه إلى المطبخ تلبية  
لصراخ طفلة أخيها الرضيعة، التى أصر على تسميتها ليلى حباً  
فيها، التفتت إلى سعاد زوجة أخيها التى انشغلت بإعداد الشاى  
لأحد ضيوف زوجها بينما الصغيرة تبكى بلا توقف، انحنى  
ليلى تحمل الطفلة الصغيرة، وتهددها لتهدئ من صراخها دون  
جدوى، فاتجهت بها إلى أمها قائلة :

— إليك بها وأنا سأعد الشاى و أقدمه للضيف.

ابتسمت سعاد وشكرتها فى ارتياح قائلة :

— هذا الضيف مهم جداً، ادعى الله كى يوفى فؤاد بالعمل معه، إنه يمتلك أكثر من نصف أراضى القرية بمفرده، هذا عدا المخازن والمعدات الزراعية والمصنع الوحيد الموجود بها، وله أيضاً ممتلكات أخرى خارجها، وأموال لا حصر لها فى البنوك، ويقول البعض إن له أسهماً فى البورصة و.....

قاطعته ليلى وهى تحمل صينية الشاى وتتجه بها إليهما قائلة :

— تأكدى أن عمله مع فؤاد سيكون خيراً له قبل أن يكون خيراً لأخى.

طرقت ليلى باب الحجره التى يجلس بداخلها فؤاد مع ضيفه طرقت خفيفاً قبل أن تدلف إلى الداخل وتقدم الشاى إلى الضيف قائلة :

— تفضل يا سيدى

ولكن الضيف بدلاً من أن يتناول الشاى من يدها ظل يتطلع لوجهها طويلاً، تسمرت عيناه فى عينيها حتى شعرت بخجل وارتباك لم تشعر بمثلهما من قبل، وضعت الصينية فوق المنضدة، وأسرعت تغادر الغرفة، وما إن أغلقت الباب خلفها حتى تنفست الصعداء وهى تغمغم ساخطة :

— هذا الوغد تجاوز الخمسين من عمره، فلماذا تزعجنى نظراته أكثر مما تزعجنى نظرات شاب لم يتجاوز الثلاثين بعد ؟!

ارتجفت عندما اقتربت منها سعاد قائلة :

— ماذا بك يا ليلى ؟

تمالكت جأشها قائلة :

— من هذا الرجل بالداخل ؟

— الحاج سالم ، أكثر رجال البلدة ثراء ، ألم .....

قاطعتها ليلى قائلة :

— هل هو متزوج ؟

نظرت إليها سعاد فى دهشة قائلة :

— نعم ، لماذا تسألين ؟

أجابتها فى غضب :

— لأنه أكثر من رأيت وقاحة .

ضحكت سعاد قائلة :

— حقاً ، هذا الشبل من ذاك الأسد

نظرت إليها قائلة :

— ماذا تقصدين ؟

تنحى فؤاد قبل أن يفتح باب الحجر ليودع ضيفه ، فأسرعت سعاد لتختفى كعادة نساء القرية ، بينما ظلت ليلى فى مكانها وكأنها تسمرت فيه ، وعادت نظرات الغريب لتربكها من جديد ، قال موجهاً حديثه إلى فؤاد ، دون أن يرفع عينيه عن وجهها :

— أرجو أن أتلقى رداً سريعاً على مطلبى

أجابه فؤاد وهو يصفحه مودعاً :

— فليفعل الله ما فيه الخير للجميع .

انصرف الرجل والتفت فؤاد ليحديق فى ليلى صامتاً ، قبل أن يطلق تنهيدة طويلة ويتجه إلى حجرته تاركاً إياها فى حيرة .

فى اليوم التالى لهذه الزيارة ، فوجئت ليلى بامرأة فى العقد الخامس من العمر ، على قدر كبير من الجمال تطرق منزل أخيها .. وما إن رأتها سعاد حتى أسرع ترحب بها فى حفاوة مبالغ فيها قبل أن تقدمها إلى ليلى قائلة :

— السيدة أم ممدوح ، زوجة الحاج سالم الذى كان فى زيارتنا أمس .

رحبت بها ليلى فى اقتضاب قبل أن تنهض لتغادر الردهة ، لكن المرأة استوقفتها قائلة :

— مهلاً يا ليلى ، لقد جئت من أجلك .

التفتت إليها ليلى فى دهشة قائلة :

— عفواً ، من أجلى أنا ، لا أظن بأننا تقابلنا من قبل !

تفحصتها المرأة من شعر رأسها حتى إخمص قدميها قبل أن تبتمس قائلة :

— الحاج سالم لا هم له منذ أمس إلا الحديث عنك وعن جمالك الذى لا أظن أنه بالغ فى وصفه أبداً .

نظرت إليها ليلى مستنكرة ، بينما أردفت المرأة قائلة :

— لقد طلب منى الحاج أن ننتظر الرد من فؤاد، لكننى لم أستطع الانتظار فجئت كى أرى العروس بنفسى.

تحولت دهشة ليلى إلى ذهول، أى زوجة حمقاء تقف أمامها؟! أم أن هذا الرجل بلغ من تسلطه وجبروته أن يرسل زوجته لتخطب له عروساً أخرى، كم تكره هؤلاء النساء الخانعات أكثر من كرهها للمتجبرين أمثاله !!

كيف سمحت له بإذلالها هكذا، كيف أطاعته فى هذا الأمر المشين؟ أيقظتها المرأة من شرودها قائلة :

— يبدو أن فؤاد لم يخبرك بالأمر بعد، ولكن ها أنا ذى قد أخبرتك به، فهل يمكننى أن أعرف رأيك الآن؟

جاهدت ليلى كى تبدو هادئة وهى تغمغم :

— أرى أن هناك فارقاً كبيراً فى السن، فأنا لم أكمل بعد السادسة والعشرين بينما هو.....

قاطعها المرأة قائلة :

— أنا لا أرى هذا الفارق الكبير، فهو لم يتجاوز الثانية والثلاثين بعد.

حدقت ليلى فى وجهها مستنكرة، هناك خطأ ما فى هذا الأمر، إن كانت المرأة تتحدث عن الرجل الذى رآته هى بالأمس، فهو قد اقترب من الخمسين بلا شك، مستحيل أن تكون قد أخطأت فى تقدير عمره إلى هذا الحد .. أنقذها من حيرتها المرأة عندما أردفت :

— ولدى يعمل مهندساً معمارياً فى الإسكندرية، أنا على يقين من أنك ستحبيبه ما إن تريه، فهو كالبدر ليلة اكتماله.

تنهدت ليلى فى ارتياح عندما أدركت أنها تتحدث عن ولدها، وإن كانت قد تعجبت بأن يكون لهذه المرأة وزوجها رجل فى مثل هذا العمر، ولكن ربما ليس هناك ما يدعو إلى العجب فى هذه القرية. فهم يتزوجون أطفالاً لينجبوا أطفالاً أصغر، فهى هى أختها الصغيرة التى لم تتجاوز الثانية والعشرين من عمرها، لديها أربعة أبناء، أحدهم فى السابعة من عمره.

عادت المرأة تحثها على القبول وهى تعدد محاسن ولدها وميزاته التى لا تنتهى. فابتسمت ليلى قائلة :

— يبدو أن ولدك رائع بالفعل يا سيدتى، ولكن اغفرى لى فأنا لا أفكر فى الزواج حالياً  
هتفت المرأة مستنكرة :

— كيف هذا، هل توجد فتاة لا تفكر فى الزواج، خاصة وهى فى مثل عم.... أقصد أننا فى هذه القرية قد اعتدنا على الزواج المبكر.

عادت ليلى تبتسم فى لا مبالاة قائلة :

— لقد وهبت حياتى لعملى ودراستى فهما عشقى الوحيد، ولا أظن أن هناك رجلاً سيتحمل اهتمامى وانشغالى بهما معظم الوقت.

قالت المرأة فى لهفة :

— كما قلت لك: عمله فى الإسكندرية، وبالكاد يأتى إلى المنصورة يوماً واحداً فقط فى نهاية الأسبوع، يمكنك أن تفعلى ما

يحلوك خلال ستة أيام، أمامك كل الوقت للعمل والدراسة.

تهدت ليلي صامته، فأردفت المرأة فى تصميم وعناد :

— حسناً، لن ألع عليك كثيراً، سأترك لك فرصة للتفكير فى الأمر بروية، وسوف تقتنعين بإذن الله.

أخيراً، عادت سعاد تحمل أكواب الشاي، وهى تبتسم قائلة :

— آسفة للتأخير، لقد كانت ليلي الصغيرة تبكى فلم ..... .

استمرت سعاد فى الثرثرة مع الزائرة بينما ذهب عقل ليلي بعيداً .. لماذا لم يخبرها فؤاد شيئاً عن هذا العريس ؟

بالرغم من إصراره على تزويجها فى أقرب وقت ممكن، وإلحاحه المستمر والمشاحنات التى تحدث بينهما كلما تقدم أحدهم لخطبتها .. يجب ألا تتسرع فى إصدار أحكام، ربما سيخبرها اليوم عنه، ربما كان متعباً أمس أو مشغولاً بشأن عمله الجديد مع الحاج سالم هذا، وإن كان الأمران بينهما ارتباط وثيق، فزواجهما من ولده سيدعم العلاقات بينهما بلا شك .....

قطعت أفكارها المرأة عندما وقفت لمصافحتها قبل أن تنصرف قائلة :

— نحن فى انتظار ردك يا ليلي.

ابتسمت ليلي ولم تعلق، انصرفت المرأة، فاستدارت ليلي إلى سعاد قائلة :

— عجباً، فؤاد لم يخبرنى شيئاً عن هذا العريس.

— ولا أنا كذلك.

— لماذا .. وكل ما عرفته عنه حتى الآن يغرى بأن يكون زوجاً ممتازاً؟!

— لا تتسرعى يا ليلى ، فأنت لم تعرفى عنه شيئاً سوى ما قالته والدته .

— ماذا تقصدين ؟

غمغمت سعاد وهى تحاول أن تتحكم فى انفعال لم يغيب عن ليلى :

— ما أقصده هو أن كل أم لا ترى إلا محاسن ابنها ومميزاته ، خاصة عندما يكون وحيدها .

— أخبرينى إذاً بما تريئه أنت فيه .

تعلمت سعاد بأن الصغيرة تبكى ، وأسرعت لتتركها ، وقد أدركت بأن هناك شيئاً ما يجب أن تزيح القناع عنه .. هناك سر وعليها أن تعرفه ..

تنفست الصعداء عندما حضر فؤاد الذى انتظرتة طويلاً ، ابتسم وهو يحييها ويسألها قليلاً عن عملها قبل أن يستديرمتجهاً إلى حجرته ، أيقنت أنه لن يخبرها عن هذا العريس ربما للأبد ، فاستوقفته قائلة :

— لقد جاءت زوجة الحاج سالم لزيارتنا اليوم .

استدار إليها فى حدة قائلاً :

— ماذا كانت تريد ؟

تفرست فى وجهه قائلة :

- جاءت لتخبرنى بما لا تريد أنت إخبارى به .
- زفر بضيق قبل يستدير عائداً إلى حجرته قائلاً فى نبرة زادتها فضولاً :
- لا تشغلى بالك بهذا الأمر، لقد رفضته نيابة عنك .
- أسرعت تقول :
- وما أدراك بأننى سأرفضه ؟
- استدار إليها فى حدة فأردفت :
- فهو يبدو مثالياً، وربما أوافق على الزواج منه .
- وبلا مقدمات، وثب فؤاد، وأمسك ذراعها فى قوة، وهو يصرخ فيها :
- أين رأيت هذا القدر ؟ تكلمى ...
- صرخت فى مزيج من الألم والدهشة :
- أنا لم أره بعد، اترك ذراعى فأنت تؤلنى .
- صاح غير مبال بالأمها :
- و لماذا تريدان الزواج منه إذا ؟
- كل ما قلته هو ربما، ما الذى يغضبك لهذا الحد ؟
- تنهد فى ارتياح وهويتركها فى بعض الخشونة قائلاً :
- عليك نسيان هذا الأمر للأبد

مضى وتركها وقد تحولت حيرتها إلى جنون وفضولها إلى رغبة ملحة لا تتوقف، رغبة سلبتها نومها الليل كله، ما الذى يحدث ليتحول فؤاد الوديعة إلى وحش كاسر؟ إنها لم تره أبداً وقد فقد أعصابه لهذه الدرجة.. فهو دائماً العاقل المتزن.. حتى فى أصعب المواقف!..

\*\*\*

بدا وكأن شرودها لن يتوقف، غمغت نادية وهى تنظر إليها فى قلق :

— هل أنت على ما يرام يا ليلي؟

هزت رأسها صامتة، ترى هل يعلمون شيئاً عن هذا الذى يسبب لها كل هذه الحيرة؟ وهل سيخبرونها بما يعرفونه عنه أم سيتهربون بطريقة تزيدها جنوناً كما فعل أخوها وزوجته من قبل؟ لا بد أن تجد مدخلاً ذكياً يرغمهم على إجابة تساؤلاتها كاملة ودون مراوغة وابتهاج الفرصة عندما بدأ الحديث عن فارسها المنحرف كما وصفه دكتور عبد الرحمن قائلاً :

— يبدو أنك أمضيت الليل كله تفكرين فى فارسك المنحرف.. عيناك مرهقة للغاية

ضحك دكتور أحمد قائلاً :

— عندي لك فارس سيعجبك بلا شك، مسجل خطر قبض عليه أمس فقط، ما رأيك فى الذهاب معى إلى مركز الشرطة نطالب بالإفراج عنه حتى يتسنى لك إجراء تجربتك عليه؟

ضحك ثلاثتهم وهم يتطلعون إليها فى مرح .. ولكنهم توقفوا فجأه عن الضحك عندما قالت ليلى فى صوت هادئ :

— أشكرك يا دكتور أحمد .. لا ضرورة لهذا .. فقد وجدت المنحرف الذى كنت أبحث عنه.

تعلقت أنظارهم بها فى فضول أطردها كثيراً، فتصنعت اللامبالاة وهى تخرج بعض الملفات من أحد أدراجها وتتظاهر بالنظر فى محتوياتها.

سادت فترة من الصمت قطعها دكتور عبد الرحمن فى صوت جاهد ليبدو هادئاً :

— هل حقاً وجدت هذا المنحرف ؟

أجابته وهى تخفى ضحكة كادت أن تنطلق من بين شفطيتها :

— نعم.

— هل هو محترف ، أقصد هل هو عتيد فى الإجرام ؟

— يبدو هذا.

— هل هو فى السجن الآن ؟

— كلا.

هتفت نادية ساخطة :

— كفى لعباً بأعصابنا يا ليلى ، وهاتى ما عندك دفعة واحدة.

ضحكت ليلى فى مرح قبل أن تضغط على كلماتها قائلة :

— هو أحد أبناء قريتي.

نظر ثلاثتهم إلى بعضهم البعض، قبل أن يعودوا للتحديق فيها من جديد، وغمغم دكتور أحمد قائلاً :

— إن كان حقاً من هذه القرية، فلا بد أننا نعرفه، ما اسمه ؟

جاهدت ليلى لتتذكر اسمه الأول، لكنها لم تنجح، فهزت رأسها قائلة :

— والده رجل ثرى جداً .. يمتلك نصف القرية .. يدعى الحاج سالم وهو .....

توقفت عن الحديث، وهى تنظر فى دهشة إلى زملائها الثلاثة الذين وقفوا فجأة وهم يحدقون فيها بذهول تام، بلغ حد الفزع، قبل أن يرددوا وكأنهم لسان واحد :

— ممدوح سالم ؟!!!

غمغمت ليلى فى ذهول لا يقل عن ذهولهم :

— يبدو أنه أشهر كثيراً مما كنت أظن.

غمغمت نادبة كالتائهة :

— أين رأيته ؟

— أنا لم أره بعد، من رأيته هم والداه.

صاح بها دكتور عبد الرحمن فى فزع لم ينكره :

— هل تنوين الزواج من هذا الشيطان ؟

أجابته بلا تردد :

— نعم.

تخلى فجأة عن لياقته وهو يمسك بذراعها صارخاً فى حدة :

— كفى جنوناً وعودى لعقلك.

انتزعت ذراعها من يده صارخة :

— الجنون هو ما تفعله أنت يا دكتور، وهو ما يمكننى مقاضاتك عليه الآن.

وربما لولا تذكرها لفؤاد فى نفس المشهد تقريباً أمس، لقامت بمقاضاته بالفعل، تدخل دكتور أحمد فى محاولة لتخفيف حدة التوتر قائلاً :

— ماذا تعرفين عن هذا الرجل يا ليلى ؟

صمتت قليلاً، إنها بالفعل لا تعرف عنه شيئاً، لكن تصرفاتهم جميعاً، بمن فيهم فؤاد، تغريها للتعلق به .. وكيف لا تفعل وهو يسبب لهم كل هذا الفزع .. ؟ إنه نموذج رائع لتجربتها بلا شك.

عادت تهتف فى عناد :

— ربما كل ما أعرفه عنه أنه منحرف، وهذا ما أريده.

— أتقصدين أنك ستهبين له نفسك هكذا دون أن تعرفى عنه شيئاً ؟

— يكفينى أن أعرف نفسى جيداً، أنا واثقة من قدرتى على تغييره.

عاد دكتور عبد الرحمن يصرخ فيها قائلاً :

— غرورك وجهلك هما ما يصوران لك ذلك، إن كنت تتخيلين بأنك ستجعلين هذا الشيطان يسقط فى محرابك فأنت مخطئة.

اتسعت عيناها وهى تحدد فيه غاضبة، لكنه لم يبال، بل تابع بالنبرة نفسها:

— هذا المنحل محاط بعشرات الجميلات أينما ذهب، ربما تصيحين إحداهن، لكنك لن تكونى كلهن أبداً.

أردف دكتور أحمد وقد تخضب وجهه خجلاً :

— نسمع عنه أحاديث تشيب الوليد .. شأنه شأن رجال العصابات .. مجرم وبيجاهر بإجرامه أينما وجد دون أدنى إحساس بالخجل .. حتى النساء لم يسلمن من همجيته، فهو يقوم بتقبيلهن علانية غير مبال بعادات القرية وتقاليدها، بل أحياناً يضربهن أيضاً بلا رحمة.

قالت ساخرة :

— أهذا ما يزعجكم منه .. أنه يقبل النساء ويضربهن فى الشوارع؟! وإذا فرضنا بصحة ما تقول، فالخطأ لا يقع على عاتقه وحده، بل على عاتق هؤلاء الحمقاوات أيضاً اللواتى سمحن له بهذا، بل ربما يقع على أهل القرية جميعاً لأن أحداً لم يعترض

— ومن قال إنهم لم يعترضوا، لكنه متوحش .. عنيف إلى أقصى درجة، كم من رجل كاد يلفظ أنفاسه بين يديه ولم يجرؤ على تقديم شكوى ضده .. بما له من نفوذ كبير هو ووالده

الذى يمتلك ما يقرب من نصف القرية كما تقولين .. بالإضافة  
إلى قوته البدنية التى توازى قوة الثيران .. الويل لمن يعترض  
على ما يفعله .. لن يكون له ثمن حتى لو قتله.

غمغمت نادبة بصوت مختنق :

— ابتعدى عن هذا الرجل يا ليلى.

وهمس دكتور عبد الرحمن فى نبرة أقرب إلى التوسل :

— بالله لا تتزوجى هذا الشيطان يا ليلى .. سوف تخسرين كل شئ.

وأردف دكتور أحمد محذراً :

— إنه لا يخاف الله يا ليلى ، ومن لا يخاف الله ينبغى الخوف منه.

زفرت بضيق قائلة :

— كل ما تقولونه سيجعل لتجربتى صدى أكبر.

انتهرتها نادبة قائلة :

— إذا نجحت ، وهذا ضعيف جداً.

التفتت إليها فى عتاب قائلة :

— حتى أنت يا نادبة !؟ لم يكن هذا رأيك فى قدراتى من قبل.

— أنت لم تربيه بعد يا ليلى.

صاحت بهم فى ضيق :

— كفى ترديداً لهذه العبارة لقد سئمتها، قلت لكم: يكفيني أن أعرف نفسي.

أطلق دكتور عبد الرحمن تنهيدة طويلة يملؤها الأسى قبل أن يغمغم بصبر نافذ:

— كفى يا رفاق، يبدو أنه لا جدوى من حديثنا معها، ولكن تذكرى دائماً يا ليلي، أننا قد حذرناك جميعاً من هذه الزيجة.

غادر الغرفة فى غضب، يتبعه دكتور أحمد، بينما بقيت ليلي وحدها مع نادبة التى جلست ساهمة على عكس عاداتها المرححة. ابتسمت ليلي قائلة :

— أين ذهبت ؟

تنهدت نادبة وهى تتطلع إليها قائلة :

— ما سوف تقومين به مغامرة كبيرة يا ليلي، الله وحده يعلم ما ستؤول إليه

همست فى عتاب :

— نادبة، أين تشجيعك لى، وحديثك عن مواهبى التى لا تنتهى؟ هل فقدت ثققتك بى ؟

نظرت نادبة فى عينيها قائلة :

— أخشى أن ثققتك أنت أيضاً سوف تتلاشى ما إن تربه وجهاً لوجه.

ضحكت ليلي فى عصبية قائلة :

— بالله كيف تتوقعون منى أن أتركه وأنتم تتحدثون عنه بهذه الطريقة؟ وكأنه الرجل الأوحـد !!!

هزت نادية رأسها وهى تبتسم فى مرارة بينما برقت عينها ليلى وهى تسألها :

— يبدو أنك رأيته من قبل، أليس كذلك ؟

شردت قائلة

— كان هذا منذ زمن بعيد، ربما أكثر من ثمانى سنوات مضت.

— أين رأيته ؟

— فى ناد القرية، حيث كنا نذهب للترفيه قليلاً .. أو للحصول على بعض المراجع من المكتبة الملحقة به.

— صفيه لى إذاً ؟

تأملتها نادية طويلاً قبل أن تغغم بصوت منخفض :

— إنه نصفك الآخر يا ليلى.

قطبت ليلى حاجبيها قبل أن تبتسم قائلة :

— هكذا ..! وأنا لن أترك نصفى الآخر أبداً

\*\*\*

## المنحرف

فى أحد الملاهى الليلية بالإسكندرية، جلست مجموعة من الشباب تضم أربعة رجال وامرأتين، ظهر الغضب جلياً على وجه أحدهم الذى راح يدخن سيجارته فى شراهة وعصبية، لم تنجح كل المحاولات الخليعة التى تقوم بها الراقصة لاسترضائه، كانت ترقص له وحده وكأنها لا ترى فى الملهى سواه، اقتربت فى ميوعة لتسحب السيجارة من فمه، و تلقى بها مع العشرات غيرها فى منفضة السجائر، وهى تغمز له بعينيها غير مبالية بالمحيطين بها ولا بنظراتهم إليها، ابتعدت عنه قليلاً دون أن تكف عن النظر إليه والابتسام له حتى انتهت الرقصة، وما إن صفق الحاضرون واختفت الراقصة حتى أطلق الشاب تنهيدة طويلة وهو يتجرع الكأس التى أمامه دفعة واحدة.

التفت إليه أشرف .. أحد رفاقه قائلاً :

— بالله كفى أيها الزعيم، أكثر من أسبوع مضى حتى الآن وأنت على هذه الحال .. أنا لا أرى ما يستحق كل هذا الضيق.

هتفت إحدى المرأتين وتدعى نجوى ساخطة :

— والده يريد أن يرغمه على الزواج من قروية بلهاء، وأنت لا ترى ما يدعو للضيق !!

- وما الجديد فى هذا، وهل هى المرة الأولى ؟  
وابتسم آخر يدعى «عادل» قائلاً :
- نحن نعرفه منذ سنوات طويلة، منذ جاء إلى الإسكندرية، ولم تمر زيارة لوالده دون عروس تنتظره.  
غمغم ممدوح بضيق قائلاً :
- هذه المرة تختلف، هناك إصرار غير عادى من قبل والدى، بل ووالدى أيضاً.  
قال أشرف مازحاً :
- ألم تقل من قبل إن والدك خطب لك كل بنات القرية، من أين جاءت هذه العروس ؟  
ضحك كمال قائلاً :
- ربما لم تكن قد أكملت الثانية عشرة بعد.  
غمغم عادل مستنكراً :
- الثانية عشرة، هل سيزوجك والدك من طفلة؟!  
ضحك أشرف قائلاً :
- هذا أفضل، ستكون زوجة وحفيدة فى آن واحد، فالرجل يتوق جداً إلى حفيد.  
بادلته عادل الضحك قائلاً :
- والدك رجل حكيم، يضرب عصفورين بحجر واحد.

تأملهم ممدوح فى ضيق بالغ قبل أن ينهض ليغادر المائدة،  
أمسك به أشرف قائلاً :

— مهلاً أيها الزعيم، نحن نحاول الترفيه عنك ليس أكثر.  
هتف مستنكراً :

— بهذه الطريقة !؟

قال كمال الذى أمسك به هو أيضاً :

— طريقتنا عادية، ولكن غضبك فوق العادى.

أشعل له أشرف سيجارة قائلاً وهو يدسها فى فمه :

— اجلس ودعنا نناقش الأمر بطريقة أخرى ربما ترضيك.

جلس ممدوح على مضض، وسادت بينهم فترة من الصمت  
حتى عاد أشرف يقول :

— لا عليك، سيغضب والدك قليلاً كعادته فى كل مرة، وتمتنع  
أنت عن زيارة القرية حتى تتصل والدتك وترجوك بدموع  
العين أن تعود لزيارتها من جديد، وكأن شيئاً لم يكن. أليس  
هذا ما يحدث دائماً ؟

نفث ممدوح دخان سيجارته فى بطء قائلاً :

— أنا أعرف والدى جيداً، هذه المرة مختلفة عن المرات السابقة،  
لم أره من قبل تائراً لهذا الحد.

أطلق تنهيدة طويلة قبل أن يردف متهمكماً :

— بغض النظر عن العبارات الكثيرة التى وبخنى بها، وتهديده  
بحرمانى من الميراث كما حرمته من الحفيد الذى ينتظره  
بصبر نافذ، فقد هدد والدتى بالطلاق إذا حاولت الاتصال بى  
أو أرسلت لى جنيهاً واحداً بعد اليوم.  
غمغم أشرف مستنكراً :

— يا إلهى، الطلاق؟ هل وصل الأمر إلى هذا الحد؟!  
ربت عادل على كتفه قائلاً :

— إن كان المال هو ما يشغلك، فاعتبر مالنا مالك، وما فى  
جيوبنا فى جيبك.  
ابتسم ممدوح فى مرارة قائلاً :

— أشكركم، ما معى الآن يكفينى لوقت ليس بالقليل، ربما أضطر  
فيما بعد للاهتمام بعملى قليلاً، لكننى لن أسمح لأحد، وإن  
كان أبى ذاته، بأن يرغمنى على فعل شئ لا أريده.

— ولكنك لم تذهب للمكتب منذ شهرين على الأقل.  
— ربما حان الوقت لذهابى إليه قريباً.

مالت إحدى المرأتين على كتفه قائلة :

— ممدوح، إن كان لابد أن تتزوج، فلماذا لا تتزوجنى، نحن  
نعرف بعضنا البعض منذ خمسة أعوام.

حدق فيها ملياً قبل أن يبتسم فى تهكم قائلاً :

— ربما هذا ما يخشاه أبى.

- ماذا تعنى ؟
- أبى أيضاً يعلم أننا نعرف بعضنا البعض منذ خمسة أعوام.
- وماذا فى ذلك ؟
- نجوى ، لا تجبرينى على أن أكون أكثر قسوة.
- سقطت دمة من عينيها الجميلتين ، وهى تغمغم بصوت مختنق :
- لا أظن أن هناك ما هو أكثر قسوة من هذا.
- ابتسم كمال وهو يحاول أن يهدئ من روعها قائلاً :
- مهلاً يا نجوى ، ربما ليس هذا بالوقت المناسب ، فهو يهرب من عروس وأنت تحدثينه عن أخرى.
- تنهدت وقالت ساخرة :
- أخبرنى حين يأتى الوقت المناسب.
- قطع حديثهم اقتراب إحدى الفتيات منهم ، انحنى لتهمس فى أذن ممدوح غير مبالية بنظرات نجوى النارية التى تطلقها نحوها ، وما إن انصرفت الفتاة حتى التفت ممدوح إلى أشرف قائلاً :
- أنا مضطر لترككم الآن.
- ابتسم أشرف هامساً :
- يبدو أنك وجدت دواءً لأحزانك.
- بادله ابتسامته قائلاً :

— شئ كهذا.

صاحت نجوى فى عصبية :

— هذه الفتاة اللعينة أرسلتها الراقصة، أليس كذلك ؟

أجابها فى لامبالاة :

— بلى، هو كذلك.

نهضت نجوى فى عصبية لتغادر المائدة، تبعها عادل وأشرف بينما نظرت إليه سميرة فى غضب قائلة :

— لست أدرى ما الذى يجبرها على تحمل وحش مثلك ؟

اقترب منها وهمس ساخراً :

— وحش أقوى اسمه الحب.

جذبها كمال قائلاً :

— هيا يا سميرة، كل ما نملك أن نفعله، هو أن ندعو له بالسقوط فى قبضة هذا الوحش.

ضحك ممدوح فى لامبالاة، وهو يتجه إلى غرفة الراقصة وكأن شيئاً لم يكن.

\*\*\*

جلس فؤاد فى حجرة مكتبه يراجع بعض الحسابات الخاصة بأعماله التى قام بها مؤخراً، عندما طرقت ليلى بابه، وهى تحمل له كوباً من الشاي، تهلل وجهه قائلاً :

- يا لسعادتي ، دكتورة ليلي بنفسها تحمل الشاي إلى؟!
- ومن لي أغلى منك يا أخى الحبيب.
- أشكرك يا حبيبتي.
- توقع بعدها أن تنصرف، لكنها جلست على أحد الكراسي القريبة من مكتبه.
- رفع بصره إليها قائلاً :
- أهنأك شئ يا ليلي ؟
- نعم، أريد التحدث معك قليلاً.
- طوى أوراقه جانباً، ونظر إليها فى اهتمام قائلاً :
- حسناً، كلى آذان مصغية.
- قالت فى ارتباك حاولت أن تخفيه :
- أريدك أن تخبر الحاج سالم بأننى قبلت الزواج من ولده.
- نهض عن كرسيه قائلاً :
- ماذا؟! لابد وأنك جننت .. ألم ننته من هذا الأمر سابقاً ؟
- أبعدت وجهها عنه صامته، فتابع فى غضب :
- اسمعيني جيداً يا ليلي .. أفضل أن تمضى عمرك كله بلا زواج .. على أن ترتبطى بحيوان مثل ممدوح سالم هذا.
- غمغمت دون أن تجرؤ على النظر إليه :

— اسمعنى أنت يا فؤاد، فأنا لم أعد طفلة صغيرة، كما أننى لست إحدى فتيات هذه القرية اللواتى لا هم لهن سوى الزواج والإنجاب، أنا أستطيع أن أحدد ما أريده جيداً.  
اتجه إليها وراح يهزها بعنف قائلاً :

— وهل ممدوح سالم هو ما تريدينه ؟ ثقافتك العلمية لا تعنى أبداً أنك أصبحت خبيرة فى شئون الحياة، لن أسمح لك بدخول هذا الجحيم أبداً.

غمغمت فى عناد :

— ربما هو ليس سيئاً بالقدر الذى تتخيله.

صرخ فيها قائلاً :

— بل هو أسوأ كثيراً مما أتخيل .. ما أعرفه عنه يكفينى لأعلن أنه شيطان .. وما خفى كان أعظم بلا شك !  
هز يديه فى حيرة قبل أن يعض على شفتيه قائلاً :

— هل ستصدقيننى إن قلت لك بأننى أشعر بالخجل عندما يأتى ذكره فى جلسة ما ؟

عاد يحدق فى وجهها قائلاً فى تردد :

— ماذا أقول لك ؟ هل أخبرك بأنه أرغم والده، الحاج سالم الذى يهابه الجميع، أرغمه على أن يوفر حجرات فى منزله لاستقبال رفاقه وعشيقاته اللواتى لا تخلو زيارة لوالده منهن وإحداهن ترافقه منذ سنوات طويلة، ويقولون إنها جميلة

أيضاً، كلهن جميلات يا ليلى.

نظر إليها قبل أن يردف :

— اسألى أهل القرية لماذا يخفون بناتهم وزوجاتهم أثناء زيارته لها، اسألى عنه كل راقصات المنصورة والإسكندرية. يكفى أن تذكر المرأة اسمه لتغدو مطمعا للرجال جميعاً.

ضمها إليه فى حنان قائلاً :

— لن تحتلمى يا ليلى، صدقيني لن تحتلمى.

ظلت صامته، فعاد يصرخ فى دهشة :

— لماذا هذا الوغد هو من قبلت الزواج منه دون سائر الرجال الذين تقدموا لخطبتك ؟ رجال أقلهم شأنًا .. أفضل من هذا الوغد ملايين المرات .. ما الذى جذبك إليه وأنت لم تريه بعد ؟

غمغمت بصوت مرتبك :

— إنه مهندس وثرى و .....

— وماذا أيضاً ؟ ويسحر ناقصات العقل بوسامته وعضلاته المفتولة.

— إذا استطعت أن أغيره سيكون .....

— لن تستطيعى يا ليلى، لن تستطيعى أبداً ، بل أنت من سوف تتغيرين، ستتبدلين تماماً، ستغدين مسخاً لا حول له ولا قوة .. سيضمك إلى قفص الحريم الذى حاربت طويلاً كى لا تدخله.

صرخت فى عناد قائلة :

— كلا .. كلا.

— بل نعم .. وألف نعم.

قالت فى إصرار :

— سأرغمه على ألا يرى فى الكون امرأة غيرى، سيحببنى وحدى، سأجعل منه «قيس» جديداً.

هتف ساخراً :

— وكيف ستفعلين هذا ؟ بأن تقدمى نفسك هدية له .. وهكذا بلا ثمن؟  
هزها بعنف قبل أن يردف يائساً :

— أفيقى يا ليلى .. بزواجك من هذا القدر ستغدين ملكه ..  
سيتوجب عليك طاعته .. وسيصبح المجتمع كله ضدك فى حال عصيانك له.

— تقاليدكم اللعينة هى ما يفرض على هذه الطريقة للتقرب منه، أنا لا أملك حيلة أخرى، مجرد محاولة رؤيته خارج نطاق الزواج سيثير زوبعة من الأقاويل التى لن تنتهى أبداً.  
حذق فيها وهو يضرب كفاً بأخرى قائلاً :

— يا إلهى، ماذا حدث لك ؟ ما هذا الذى تقولينه ؟ أين عقلك  
الراجح !؟

صمت قليلاً وعاد يصرخ مستنكراً :

— إن كنت تتحدثين وكأنك عاهرة قبل أن تريه، فماذا ستفعلين  
بعد رؤيته !؟

همت أن تقول شيئاً، لكنه أراحها بعنف لتصطدم بباب  
الحجرة قائلاً :

— اذهبي ، اذهبي من أمامي.

\*\*\*

كانت عقارب الساعة تشير إلى العاشرة صباحاً، عندما استيقظ  
ممدوح غاضباً تتملكه رغبة عارمة في تحطيم الهاتف الذى لم يكف  
عن الرنين المتواصل منذ ما يقرب الساعة محاولاً تجاهله من دون  
جدوى، كانت سكرتيرة مكتبه، سهام، تدعوه للحضور لأمر عاجل  
غمغم ساخطاً وهو يتثاءب فى كسل :

— يبدو أن الوقت قد حان لبعض العمل، فما معى من مال كاد  
أن ينفد.

ابتسامه واسعة ارتسمت على شفتيه عندما بلغ مسامعه ضحكة  
سهام المدوية فغمغم يحدث نفسه :

— كان الله فى عونك يا شوقى.

شوقى هو أحد العملاء الذين يأتون إلى مكتبه ببعض المشروعات  
لوضع التصميمات الهندسية لها، وكم أقسم مراراً بأنه لن يأتى  
إلى مكتبه مرة أخرى، خاصة فى المرة الأخيرة، بعد أن انتظره  
ثلاث ساعات كاملة ضاعت بلا فائدة، لكن ممدوح كان واثقاً بأن  
دلال سهام ومواهبها الخاصة، والتي تمثل شروطاً رئيسية للعمل  
معه، سترغم شوقى على العودة إلى مكتبه من جديد.

دلف إلى مكتبه قائلاً :

- أهلاً شوقى ، كيف حالك ؟
- ها أنت أخيراً ، لولا إلحاح مدام سهام ما عدت إلى هنا أبداً .  
ضحك ممدوح وهو ينظر إلى سهام قائلاً :
- لولا ثقفتى فى قدراتها ما سمحت لها بالعمل معى .  
جلس ممدوح إلى مكتبه قائلاً :
- حسناً.. إنها المرة الرابعة التى تأتى فيها إلى مكتبى لأمر مهم ، هات ما عندك .  
جلس شوقى على المقعد المواجه له قائلاً :
- هناك رجل فرنسى على درجة كبيرة من الثراء ، يريد عمل تصميم مبتكر لفيلا فى الساحل الشمالى  
ثم أردف وهو يقدم له أحد الملفات قائلاً :
- ستجد فى هذا الملف كل ما تحتاجه من معلومات ، المهم هو أن هذا التصميم يجب أن يكون عندى بعد ثلاثة أيام على الأكثر .  
تطلع إليه ممدوح فى تهكم قائلاً :
- ثلاثة أيام ؟!
- منذ أسبوعين وأنا آتى إلى هنا عبثاً ، أنت من لا يأتى إلى المكتب ، الخطأ ليس خطئى ، لماذا لا .....  
أشار له بيده كى يصمت قائلاً :
- كفى ، دع لى عقلى إن أردت تصميماً جيداً .

نهض شوقى لينصرف قائلاً :

— حسناً أيها العبقري، أراك بعد ثلاثة أيام.

ما إن ذهب شوقى حتى دلفت سهام إلى مكتبه وهى تبتسم قائلة :

— أخيراً أنت هنا، لقد كاد الشوق يقتلنى إليك.

ضمها إليه قائلاً :

— سلامتك من القتل يا جميلتى، اطمئنى، ربما أضطر قريباً إلى نقل إقامتى لهذا المكتب.

همست فى سعادة وهى تقبله :

— أحقاً ما تقول ؟

هز رأسه إيجاباً وهو يطبع فوق شفيتها قبلة طويلة، تركها بعدها قائلاً :

— والآن .. إلى بفنجان من القهوة.

اقتربت عقارب الساعة من الخامسة عصاراً عندما رفع ممدوح رأسه عن أوراقه ملقياً بالقلم الذى بين يديه فوق مكتبه، غمغمت سهام وهى تحمل إليه صينية فوقها بعض السندوتشات وكوب من المياه الغازية :

— بقدر ما أعشق حماسك للعمل بقدر ما أبغضه أحياناً.

تناول من يدها أحد السندوتشات وهو يبتسم قائلاً :

— كم الساعة الآن ؟

- تجاوزت الخامسة
- ألا تنصرفين في الثالثة ؟
- لقد اتصلت بزوجى وأخبرته أن لدى عملاً إضافياً، هل مللت وجودى ؟
- أخشى أن يتسبب وجودك معى فى شجار بينكما كالعادة.  
أحاطت عنقه بذراعيها قائلة :
- لا عليك، الشجار ينعش الحياة الزوجية.  
عانقها فى عنف قائلاً :
- هكذا ..! امضى معى الليلة هنا إذاً، ودعيني أساهم فى إنعاش حياتك الزوجية.  
ضحكت فى دلال قائلة :
- بشرط أن تلقى بملف شوقى هذا جانباً، ولا تدع العمل يأخذك منى.  
ابتسم قائلاً :
- اطمئنى ، لقد انتهيت منه.  
هتفت فى دهشة :
- انتهيت من التصميم بهذه السرعة ؟
- نعم، وهو ممتاز أيضاً.
- أنت عبقرى يا حبيبى.

شعرت بالسخط عندما رن جرس الهاتف فتناول ممدوح سماعته مبتسماً، وما لبثت ملامحه أن تبدلت وهو يستمع إلى محدثه فى قلق بالغ، سألته بلهفة وهو يضع السماعة :

— ماذا حدث ؟

أجابها ساخراً وهو يرتدى سترته :

— عفواً يا سهام، يبدو أنه ليس مقدراً لحياتك الزوجية أن تنتعش اليوم، والدى مريض جداً، ويجب أن أسافر إلى المنصورة حالاً.

استدار إليها قبل أن يغلق الباب خلفه قائلاً :

— اتصلى بـ شوقى وسلميه التصميم، ثم اتصلى بـ أشرف وأخبريه أن يلحق بى إلى هناك

\*\*\*

تعلقت عينا والدة ممدوح به وهو يذرع الردهة ذهاباً وإياباً فى غضب قبل أن يتحرك فى عصبية نحو الغرفة التى يرقد فيها والده .. أمسك بمقبض الباب، وما كاد يستدير فى يده حتى ابتعد عنه من جديد، وعاد يهتف فى والدته قائلاً :

— لماذا لم تتصلى بى من قبل، لماذا أهدرت كل هذا الوقت حتى ساءت حالته ؟

— أنت تعلم أن والدك كان يمنعنى، وكنت أخشى أن أغضبه.

غمغم ساخطاً :

— هذا المستبد، ثم يعود ويسألنى من أين أتيت بهذا العناد والقلب المتحجر؟!

مضى الوقت كالسلفاة حتى أقبل أشرف الذى ما إن رأى ممدوح حتى احتضنه وهو يهتف قائلاً :

— ممدوح، ماذا حدث ؟

أجابه ممدوح فى قلق بلغ ذروته :

— يبدو أن الأمر لا يبشر بالخير يا أشرف، منذ الصباح وفريق من الأطباء معه بالداخل، ولم يخرج أحدهم حتى الآن ليخبرنا عن حالته.

— ولماذا لم تدخل أنت إليه ؟

— أخشى أن يرانى فتزداد حالته سوءاً

— دعنى أجرب أنا إذاً.

طرق أشرف الباب طرقتاً خفيفاً، وما إن دلف إلى الداخل حتى صدمته كل تلك الأجهزة والأدوية والمحاليل التى جعلت الغرفة وكأنها إحدى غرف العناية المركزة فى مستشفى كبير، ازداد قلقاً وهو يتأمل هذا الفريق المكون من خمسة أطباء، أحاطوا بالسرير الذى يرقد عليه الحاج سالم بلا حراك، التفت أحد الأطباء إلى أشرف حين رآه قائلاً :

— هل أنت ولده ؟ هل أنت ممدوح ؟

غمغم أشرف - وهو ينظر إلى ممدوح الذى دلف تواءً إلى الحجر، وراح يحدق فى والده وقد تشبع وجهه ألماً- قائلاً :

— ها هو ممدوح.

التفت الطبيب إلى ممدوح قائلاً :

— فى الحظاظ القليلة التى يفىق فىها من غىبوبة لا يكف عن  
ترىد اسمك.

غمغم ممدوح دون أن ىرفع عىنیه عن والده :

— ماذا به .. هل سىنجو ؟

نظر إلیه الطبیب قائلاً :

— كلنا نءو الله من أءله ، وإن كان هذا ىتوقف على معاونتك لنا.

التفت ممدوح إلیه فى دهشه وءساؤل فءذبه الطبیب إلی  
الخارج .. نظر إلیه قائلاً :

— ما فهمته من الكلمات القليلة التى ىتفوه بها والدك من حىن  
لآخر ، بأن لك دوراً مباءراً فى كل ما ىحدث له وىهدد حىاته.

ظل ممدوح ىرقبه صامئاً فأردف :

— لماذا لا ترىء أن ءءزوج وءنءب له الحفید الذى ىنءظره ؟

ءءق فىه ممدوح مستنكراً ، قبل أن ىغمغم فى نبرة ءهكمىة لا  
ءخلو من الضىق :

— ىبدو أن حىاتى الخاصة قد أصبحت محور اءءمام الجمىع فى  
هذه القرىة.

شعر الطبیب ببعض الحرج قائلاً :

— آسف لم أقصد المضايقة، كنت أعتبرها نصيحة عفوية من أخ لأخيه، على أية حال، فبرغم حبي الشديد للحاج سالم، لا أظن بأننى أحبه أكثر منك.

عاد الطبيب إلى الحجرة التى يرقد بها مريضه .. اقتربت والدته ممدوح منه وهى تبكى فى توسل قائلة :

— بالله لا تقتل والدك يا ممدوح، نفذ ما يريدك منك لأجلى، إن كنت تحبنى حقاً.

زفر بضيق قبل أن يهتف ساخطاً :

— لماذا يضع هذا الرجل حياتى مقابلاً لحياته؟!؟

قبلته والدته قائلة :

— والدك يحبك يا ممدوح، فهو لم يذق طعاماً للنوم والراحة منذ أكثر من شهرين، منذ تركتنا غاضباً فى المرة الأخيرة.

أقبل أشرف نحوهما قائلاً :

— لقد بدأ يستعيد وعيه.

تبعاه إلى حيث يرقد الحاج سالم الذى راح يتأوه فى ألم وضعف .. وما إن وقع بصره على ممدوح حتى بدأ يصيح فى عصبية قائلاً :

— ما الذى أتى بك إلى هنا، أخرجوه ... لا أريد أن أراه بعد اليوم.

استدار ممدوح ليغادر الغرفة، ولكن أشرف أمسك به وقال مبتسماً :

— ممدوح ولدك يا حاج، والظفر لا يخرج من اللحم أبداً.

صاح الرجل فى ثورة رغم معارضة الأطباء :

— ليس لى أبناء، سوف أتبرع بكل أموالى للجمعيات الخيرية،  
لن أترك له جنيهاً واحداً

لم يستطع ممدوح التحكم فى انفعالاته فبادلته عصبيته قائلاً :

— لم آت إلى هنا طلباً لأموالك.

— اذهب وحاول استعادة الأموال التى بذرتها تحت أقدام  
الراقصات، لا أريد رؤيتك مرة أخرى، لا تدخل بيتى مرة أخرى.

اندفع ممدوح كالسهم خارجاً، ولم تغلح المحاولات المستميتة التى  
قام بها أشرف والأطباء فى إقناعه بالعدول عن الذهاب، لكنه ما  
كاد يخطو خارج المنزل حتى بلغ مسامعه صراخ والدته المتواصل،  
فاستدار جزعاً ليرى والده قد رقد ساكناً من جديد، والأطباء من  
حوله يحاولون إسعافه، لم يلتفت إليه أحد سوى والدته ونظراتها  
المتوسلة، ربت على ظهرها صامتاً بينما عيناه قد تسمرتا على  
وجه والده حتى تحركتا عينا هذا الأخير قبل أن يفتحهما فى  
بطء، تنفست والدته الصعداء وهى تتمتم بالحمد والشكر لله، انحنى  
ممدوح يقبل يده، ولكن والده جذبها منه وهو يشيح بوجهه بعيداً.

أسرعت المرأة تقول :

— اطمئن يا حاج، ممدوح سيفعل كل ما تريده، لقد جاء  
ليخبرك بهذا لكنك لم تمنحه الفرصة.

نظر ممدوح إلى والدته غاضباً، لكنها أردفت وهى ترمقه فى

توسل :

— أليس كذلك يا ممدوح ؟

نظر الرجل إلى ولده قائلاً بضعف :

— أحقاً يا ممدوح، هل ستتزوج العروس التي اخترتها لك،  
وتنجب لي الحفيد الذى طالما انتظرته ؟

نظر أشرف إلى ممدوح الذى وقف صامتاً ولم يجب بالنفى أو  
الإيجاب متجاهلاً كل العيون التى ترقبه فى توسل واستعطاف.  
قال أشرف وهو ينظر إلى ممدوح ليحثه على الحديث :

— طبعاً يا حاج، ومن هذا الذى يستطيع أن يخالف لك أمراً،  
خاصة ممدوح فهو يحبك حباً كبيراً.

نظر ممدوح إلى صديقه ثم إلى والده الذى راح يرقبه فى لهفة  
وهز رأسه إيجاباً، كاد الرجل أن يقفز من فراشه فرحاً لولا أن  
أحد الأطباء انتهره قائلاً :

— مهلاً يا حاج حتى يكتمل شفاؤك.

تهلل وجه الرجل قائلاً :

— لقد شفيت.

ثم أردف وهو يمد يده إلى ممدوح قائلاً :

— سأخذ ولدى ونذهب لبيت العروس فى الحال.

تنهد ممدوح قائلاً :

— انتظر أولاً حتى يُتم الله الشفاء، وبعدها نناقش أمر هذا الزواج.

نظر إليه الرجل فى ريبة وقد عاد وجهه للتجهم من جديد ،  
فابتسم أشرف قائلاً :

— ممدوح يقصد ترتيبات الزواج يا حاج .

— انتظر أنت يا أشرف ، أريد أن أسمع هذا الكلام من ولدى .

عادت العيون كلها لتحديق فى ممدوح من جديد ، فزفر فى  
ضيق قائلاً :

— أشرف يقول ما أريد قوله يا أبى .

نهض الرجل ليغادر فراشه قائلاً :

— هيا بنا إذاً ، يكفى ما أهدرناه من وقت زاد على الشهرين  
حتى الآن .

لكن أحد الأطباء اقترب منه ليعيده إلى فراشه وهو يغمز له  
بعينه قائلاً :

— ليس الآن يا حاج ، يجب أن تستريح فى الفراش أسبوع على  
الأقل ، أى انفعال قد يتسبب لك فى انتكاسة ربما يكون لها  
مضاعفات خطيرة .

غمغم ممدوح فى مرارة قائلاً :

— استرح الآن يا أبى ، لن تفسد العروس إذا انتظرت أسبوعاً آخر .

ابتسم والده قائلاً :

— حين تراها ستكون لهفتك أكبر من لهفتى .

تناول ممدوح بعضاً من طعامه مرغماً تحت الإلحاح الشديد من قبل أشرف .. الذى حاول جاهداً أن يخفف عنه .. تارة بالعقل وتارة بالدعابة ..

جاءت والدته تحمل الشاى وعلى شفقتها ابتسامة واسعة وهى تهتف :

— كنت أتمنى أن أقدم لكما الشربات بدلاً من الشاى، ولكن لا بأس سأفعلها قريباً بإذن الله.

نظر إليها ممدوح فى ضيق جعلها تلكزه فى مرج قائلة :

— عندما ترى عروسك سوف تشكرنا.

غمغم ساخراً :

— أستطيع أن أتخيلها دون أن أراها.

نظرت إليه فأردف بمرارة :

— بلهاء بصفيرة أو اثنتين، وربما منكوشة الشعر أيضاً، تعد الأيام والليالى لنلعب سوياً لعبة العروس والعريس.

ضحك أشرف فى مرج بينما صاحت والدته فى عتاب :

— ما هذا الذى تقوله؟ أهذا ما تعرفه عن أبيك؟

حاول أشرف تصنع الهدوء قائلاً :

— صفيها أنت لنا يا خالتي.

انشرحت المرأة قائلة :

- إنها طول وعرض و.....
- قاطعها ممدوح فى مزيد من التهكم :
- طول وعرض ، يبدو أنها تصلح للحرب لا الزواج.
- عاد أشرف يضحك من جديد قبل أن يقول :
- فى أى مدرسة هى ؟
- ابتسمت المرأة فى فخر قائلة :
- فى كلية الحقوق.
- التفت أشرف إلى ممدوح فى جدية قائلاً :
- هذا رائع بالفعل يا ممدوح.
- نظر إليه ممدوح الذى راح يرتشف الشاى فى لامبالاة ، فالتفت  
أشرف إلى المرأة من جديد قائلاً :
- فى أى سنة هى ؟
- أسرعت المرأة تقول فى حماسة :
- أنها ليست تلميذة ، بل دكتورة فى الجامعة.
- بصق ممدوح الشاى من فمه لينتشر رذاذه فوق ملابسهم قبل أن  
يصرخ مستنكراً :
- ماذا ، هل اكتشف الحاج سالم أخيراً بأنك فشلت فى تربيتى  
فبحث لى عن مربية أخرى؟!

نظرت إليه والدته فى دهشة، لكنه تابع ثائراً :

— هذه العانس ربما تصلح له، لكنها لا تصلح لى أبداً.

صمت والدته مستنكرة .. حاول أشرف تهدئته بلا جدوى بل

عاد يصرخ فيها :

— أى حفيد هذا الذى ينتظره من امرأة بلغت سن اليأس؟!

غمغم أشرف :

— انتظر يا ممدوح، لابد أن هناك خطأ ما.

صاح غاضباً :

— قلبى يحدثنى بأن هذه المرأة لديها دستة من الأحفاد الجاهزة

لتلبية رغبة أبى.

صاحت والدته :

— كفى يا ممدوح، هذه الفتاة لم تتزوج من قبل، برغم كل

الخطاب الذين تقدموا لخطبتها منذ ظهورها فى القرية.

غمغم ساخراً :

— ظهورها!!! هل هبطت فجأة من السماء، أم انشقت الأرض عنها؟

نهضت والدته وهى تزفر بضيق قائلة :

— قل ما شئت ما دمت لم ترها بعد.

## الصفحة

تنفست ليلى الصعداء بعد زيارة الحاج سالم لمنزلهما بالأمس، كان بصحبته عدد من الرجال من بينهم ولده ممدوح الذى لم تره حتى هذه اللحظة، إنها الزيارة التى انتظرتها منذ ما يقرب ثلاثة أشهر، كادت فيها أن تجن، وهى ترى نظرات الريبة والشك فى عيون زملائها وتعليقاتهم اللاذعة أحياناً، وإن كانوا جميعاً وبينهم فؤاد قد أجمعوا على أن الله أنقذها من هذه الزيجة، إلا أنها شعرت بإحباط شديد واستنكار لم تشعر به من قبل.

كيف يرفضها رجل حتى وإن لم يرها؟! يا لها من مهانة لن يعادلها أى مكسب آخر! فهى ليلى التى اعتادت أن يسقط أعنى الرجال وأقساهم تحت أقدامها متيمين، أيعقل أن يرفضها منحل مثله!!

راحت تترقب التاسع من مارس بصبر نافد، إنه اليوم الذى حددوه موعداً لزفافها إلى ذلك الوغد، أول أيام تجربتها العظيمة، وانتصارها الكبير، سيركع هذا الممدوح تحت قدميها ما إن يرها، هذا الذى تحدثوا عنه وكأنه الرجل الأوحده، هذا الذى جعلوا منه أسطورة وحذروها طويلاً كى لا تقترب منه، سترتهم جميعاً من هى ليلى فاضل...

الوحيد الذى تشعر بالأسى من أجله هو فؤاد، فؤاد الذى اضطر للموافقة على هذه الزيجة مرغماً.

لم ترغمه الأعمال الكبيرة التى هو بصدها مع الحاج سالم، ولم يرغمه ضغط كبار البلدة وزعمائها، بل هى التى أرغمته على الموافقة، أرغمته عندما أبلغته فى وقاحة بأنها فى حال استمرار رفضه، ستذهب بنفسها إلى منزل الحاج سالم لتخبره بموافقتها على الزواج من ولده، لقد جن جنونه وصفعها للمرة الأولى فى حياته وفى حياتها هى أيضاً، لكنه فى النهاية وأمام إصرارها العجيب، الذى لم يستطع تفسيره، لم يجد بداً من الاستسلام خوفاً عليها من الفضيحة.

وافق وهو يغمغم فى ألم :

— كنت أتمنى أن أقتلك يا ليلى، ولكن يكفيك عقاباً ما ينتظرك على يد هذا الوغد.

\*\*\*

جلست ليلى بثوبها الأبيض وعلى شفيتها ابتسامة رائعة تخفى بها ما يعتمل فى أعماقها من قلق لا حد له، ها هى اللحظة التى انتظرتها طويلاً، إنها بالفعل ليلة العمر التى ستضع فيها الحروف الأولى لرسالتها ومستقبلها اللامع بإذن الله، لا يهمها هذه الطريقة البدائية التى تزوجت بها، ولا هذا العريس الذى لم تره أو يحاول رؤيتها حتى الآن، ولا كل هؤلاء النساء اللواتى يحدقن فيها بلا توقف منذ جلست على هذه الأريكة، ظلت الابتسامة على شفيتها ولكل الوجوه، الحاسدة والشامتة، وحتى تلك التى تعض شفيتها

حسرة على شبابها وجمالها الذى لن يصونه هذا الفاسق أبداً.  
تعالت الزغاريد فجأة لتزف العروس إلى عريسها، رعشة عنيفة  
بدأت تسرى فى جسدها بلا توقف، فابتسمت نادية التى  
تحتضن كفيها قائلة:

— هل أنت خائفة؟

— ليس بالضبط.

— يا إلهى ألا تعترفين بضعفك ولو مرة واحدة؟!!

— صدقيني يا نادية.. إنه ليس خوفاً بالمعنى التقليدى، إنه نوع  
من القلق والرغبة للموقف الجديد الذى أمسيت فيه.. هناك  
أشياء كثيرة لم أفكر فيها سوى الآن.

— اسمعيني جيداً يا ليلى، رغم كل اعتراضاتنا السابقة على هذه  
الزيجة، غير أنها الآن قد حدثت بالفعل وأصبحت واقعاً لا  
مفر منه، أنت الآن زوجته شرعاً، نصيحتى لك أن تنسى أمر  
هذه الرسالة، وألا تفكرى إلا فى إنجاح هذا الزواج من أجل  
حياتك وسعادتك

نظرت إليها ليلى وهتفت مستنكرة:

— ما هذا الذى تقولينه، هل جننت؟ لو أردت زواجاً حقيقياً،  
لما فكرت لحظة واحدة فى هذا المنحل، يكفى أن تعلمى بأن  
فؤاد يرفض الحديث معى، بل امتنع عن رؤيتى منذ حدودوا  
موعد الزفاف وحتى هذه اللحظة.

حاولت التحكم فى انفعالاتها وأردفت:

— لقد رفض أن يسلمنى إليه الليلة، بل رفض أن يرانى قائلاً  
إنه كان أهون عليه أن يرانى أرف إلى قبرى من أن يرانى أرف  
إلى هذا الوغد.

ربتت نادية على يدها قائلة :

— لا تغضبى يا ليلى، إن شاء الله سيخلف توقعاتنا جميعاً، بمن  
فيينا فؤاد، وسيهدى هذا الرجل على يديك، لتكونى أوفرننا  
حظاً وأكثرنا سعادة.

غمغمت ليلى فى مزيد من الأمل :

— كم أتمنى هذا، لتنجح تجربتى وأحصل على الدكتوراة بتقدير  
امتياز.

نهرتها نادية ساخطة :

— أهذا كل ما يشغلك ؟

— ولن يشغلنى أكثر من هذا.

غمغمت نادية حالة :

— رأيك هذا سيتبدل حتماً ما إن يقع بصرك عليه، فهذا الرجل  
فارس بحق.

ضحكت ليلى قائلة :

— وكأنك متيمة به !!

ابتسمت نادية ولم تعلق فى اللحظة نفسها التى اقتربت منها حماتها وقادتها مبتسمة إلى إحدى الحجرات التى أعدت خصيصاً من أجلها هى وممدوح، تعالت الزغاريد والهتافات والأغنيات الشعبية التى لم تفهم ليلى من بعضها شيئاً، ولم تنجح ابتسامه نادية المشجعة فى التخفيف من حدة التوتر الذى تشعر به، ولا فى الحد من سرعة نبضاتها ودقات قلبها العنيفة، توقفن أخيراً أمام إحدى البوابات الشبيهة بتلك التى للمداخل الأسطورية التى قرأت عنها وأحببتها كثيراً فى طفولتها وصبائها.

ابتسمت حماتها وهى تفتح أمامها باب الحجرة قائلة :

— ادخلى بقدمك اليمنى يا ليلى.

ضحكت ليلى فى عصبية وهى تلبى ما طلبته منها، أخيراً تفرق الحضور وبقيت ليلى وحدها مع حماتها التى راحت تقودها فى الغرفة الواسعة ومحتوياتها فى زهو تستحقه بالفعل، لقد كانت الحجرة بكل ما تحتويه من غرفة للنوم وأخرى للجلوس بالإضافة أيضاً لهذه المنضدة الصغيرة والكراسى المحيطة بها متناسقة تماماً، حتى إن ليلى شعرت بأنها انتقلت فجأة من القرية بكل بدائيتها إلى المدينة وحدثتها، فلم تتردد عندما سألتها حماتها عن رأيها فيما حولها، بل هتفت بسرعة :

— رائعة !!

جذبتها المرأة فى سعادة قائلة :

— تعالى لترى باقى المرافق.

كانت هذه المرافق عبارة عن حمام فسيح تناسقت ألوانه جميعها فى تناغم تام، يقابله فى الجهة الأخرى مطبخ يبدو صغيراً جداً بالنسبة للغرفة والحمام، فعلمت المرأة مبتسمة وهى ترى دهشة ليلى :

— هذا المطبخ للوجبات السريعة فقط، أو لإعداد المشروبات فى الأوقات التى لا تريدين فيها أن يزعجك أحد.

تجاهلت ليلى المكر الذى يطل من عبارتها قائلة :

— هل أتيتم بمهندس للديكور ؟

أجابتها المرأة فى حماس :

— أشرف صديق ممدوح الأكثر التصاقاً من الأخ، إنه يعمل مهندساً للديكور فى الإسكندرية، لقد رتب كل شئ، بل ذهب بنفسه مع ممدوح لشراء الأثاث والمفروشات من أكبر المعارض فى القاهرة.

غمغمت ليلى بصوت منخفض :

— حمداً لله أن له أصدقاء من الرجال.

نظرت إليها المرأة بدهشة قائلة :

— أتقولين شيئاً يا ليلى ؟

— أصوات الفرق الموسيقية صاحبة جداً، هل ستبقى لوقت متأخر ؟

— حتى الصباح فقط، كان الحاج يريد أن تستمر سبعة أيام وليال لولا أن ممدوح رفض ذلك.

جلست ليلى على حافة الفراش تستمع فى صبر نافد إلى حماتها التى بدأت تقدم لها بعض النصائح والإرشادات التى ستساعدها على تحقيق السعادة الزوجية كما زعمت :

— اسمعيني جيداً يا ابنتى، إن أردت أن تكونى سعيدة مع زوجك، عليك أولاً أن تنسى كل ما سمعته عنه، لكل رجل ماضٍ يا ابنتى، فلا تدعى هذا الماضى يؤثر على المستقبل غمغمت ليلى :

— تأكدى من أننى سأبذل كل جهدى لإنجاح هذه التجربة، أقصد هذا الزواج.

— دعيه يجد عندك يا ليلى ما لا يستطيع إيجاداه عند امرأة غيرك، عندى إحساس قوى بأنه سيحبك من الليلة الأولى، وأنت أيضاً كذلك. ضحكت فى بلاهة وأردفت :

— أصدقاؤه يطلقون عليه ساحر النساء.

نظرت ليلى إلى المرأة فى امتعاض، وهى تجاهد كى تتجنب النظر إلى هذا الجدار الذى صفت فوقه عشرات الصور لـ ممدوح فى مشاهد مختلفة، وكلما وقعت نظراتها على إحداها مرغمة تذكرت قول نادية لها « نصفك الآخر يا ليلى ».

تابعت المرأة حديثها قائلة :

— ممدوح عطوف جداً وطيب القلب، لكنه فى ثورته لا يستطيع أحد أن يوقفه، ممدوح لا يحب أن يستفزه أحد، لا تثيريه يا ليلى حتى

لا يغضب عليك ، بل كونى وديعة ومطبعة له بقدر استطاعتك .

ابتسمت ليلى ساخرة ، لمَ لا تقول هذه المرأة إن هذا الأبله يريد أن يعيد عصر الحريم من جديد؟ من يظن ذاته؟ شهريار أم هارون الرشيد؟! وهذه المرأة الحمقاء التى جاءت لتقدم لها النصيحة ، ألم تقدم له كل ماتحدثت عنه وربما أكثر ، وبرغم كل ذلك فقد انحرف ، بل لأجل كل ذلك انحرف ، ربما لو كانت أكثر قسوة وصرامة معه لكان هو أفضل حالاً .

— ليلى ، لمَ لاتقولين شيئاً ؟

— أنا أستمع إليك .

فجأة تحولت نبرة المرأة إلى الاستعطاف قائلة :

— من أجلى يا ليلى كونى صبوراً على ممدوح وتحمليه بصدر رحب ، إذا حصلت على قلبه ستكونين أسعد امرأة فى العالم .

تأملتها ليلى فى بعض الشفقة ، كان واضحاً بأن هذه المرأة تعشق وحيدها جداً ، وكل همها إسعاده مهما بلغت التضحيات .. ولكن ماذا عن الطرف الآخر؟ ليس هناك من يتحمل للأبد .

غمغمت ليلى وهى تربت على يدها مبتسمة :

— اطمئنى يا خالتي ، تأكدى أننى سأبذل قصارى جهدى .

ثم أردفت وهى تتذكر رسالتها العلمية والدكتوراة :

— هذا الأمر يهمنى ربما أكثر منك ، كل ما أحتاج إليه هو دعواتك لى بالتوفيق .

رفعت المرأة عينيها إلى السماء فى دعاء صامت قبل أن تنهض قائلة :

— سأتركك الآن يا ليلى ، لابد أن الجميع يسألون عن أم العريس .

ما إن وصلت لباب الغرفة حتى استدارت إليها من جديد وأطلقت زغرودة طويلة .. قالت بعدها وهى ترفع عينيها للسماء فى تمنٍ :

— وفقك الله يا ابنتى ومنحك الذرية الصالحة .

ذهبت المرأة وتركت صدى أمنيتها يتردد فى مسامعها .. ذرية صالحة .. أطفال .. من هذا الهمجى !؟

وماذا لو لم تنجح فى تقويم انحرافه ؟ صموده حتى الآن وعدم اهتمامه بمعرفة أى شئ عنها .. زادا من إحساسها بأن تجربتها معه لن تكون بالسهولة التى تتخيلها .

من الجيد أنها أحضرت معها حبوب منع الحمل .. فهى وإن كانت قد غامرت بنفسها بالدخول فى تجربة لا تعرف نهايتها ، ليست مستعدة لتحميل طفلها جينات رجل فاسد مثله .. قد تضطر لطلب الطلاق منه عاجلاً أو آجلاً .. حين تعلقت بهذه التجربة لم تفكر فى استمرارية البقاء فيها للأبد .. لذا عليها ألا تتسرع وتنجب طفلاً تتركه للمجهول .

راحت تتأمل ما حولها قبل أن تحدث نفسها قائلة :

— يمكننى الآن بسهولة أن أعدد أسباباً قوية لانحراف هذا المجرم ، أولها هذا الثراء الفاحش الذى يطل من كل شئ حولها ، ثم التدليل المفرط من قبل والدته ، فحديث هذه المرأة البلهاء لها يحمل الكثير من المعززات الخفية المباشرة التى

تدعم انحرافه بلا شك.....

تلفتت تنظر حولها، وكأنها تخشى وجود من يرقبها، قبل أن تتجه لتلبية هذه الرغبة الملحة التي تدفعها دفعا نحو الجدار الذى ربما كان الركن الوحيد الذى افتقد إلى البساطة وهو يزخر بكل هذه الصور له، غمغمت فى انبهار لم تستطع أن تنكره :

«ربما فى مقوماته الشخصية، سبب آخر قوى لانحرافه»

راحت تنقل عينيها من صورة إلى أخرى وهى تحدث نفسها بلا وعى، كم يبدو وسيماً فى هذه الصورة، وفى هذه الصورة يبدو خفيف الظل، وهذه تعلن عن لياقة جسدية عالية، وهذه.....

هزت رأسها فجأة بعنف وهى تهتف ساخطة، ما هذا الذى أقوله؟! لم يكن ينقصه سوى أن يصوره نائماً، هذه الصور إن كانت تعبر عن شيء فهو الغرور، الغرور المفرط والثقة الزائدة التى يجب أن تبدأ بتخليصه منها إن أرادت لتجربتها النجاح!..

اتجهت إلى المرأة وكأنها تبحث فى نفسها عن يقين .. عن ثقة تفتقدتها أخبرتها نادية بأنها ستفقد ما إن تراه .. لكن نادية حمقاء بلا شك، ربما لم تعرفها بعد جيداً، فصداقتهما ما زالت فى عامها الأول.....

طرقات خفيفة على باب الحجرة جعلتها ترتعد، أيعقل أن يكون هو؟ من المستحيل أن يكون بهذه اللباقة والتهذيب بعد كل ما سمعته عنه .. هل بالغوا فى وصف همجيته؟! اتجهت بخطوات جاهدت لتبدو ثابتة وهى تفتح باب الحجرة فى ترقب.....

طالعتها فتاة فى حوالى السادسة عشرة من عمرها على الأكثر،  
تحمل بين يديها صينية طعام تصلح لإطعام عائلة كبيرة وليس فردين  
فقط، ما إن رأتها الفتاة حتى اتسعت ابتسامتها وهى تهلل قائلة :

— يا إلهى أنت جميلة جداً يا سيدتى، وسيدى ممدوح يعشق  
النساء الجميلات.

ابتسمت ليلى فى مرارة وهى تفسح لها الطريق قائلة :

— ربما هن من يعشقنه يا ..... ما اسمك ؟

أجابتها الفتاة فى سعادة :

— خادمتك سعدية، يسعدنى أن ألبى كل ما تطلبينه منى، فأنت  
عروس الغالى التى انتظرناها طويلاً

— يبدو أنك تحبين سيدك ممدوح جداً يا سعدية.

— طبعاً، كل من يعرفه عن قرب يحبه مثلى وأكثر، فوجهه كالبدر،  
وخفيف الظل، متواضع القلب وكريم فى عطائه جداً و .....

قاطعها صوت والدته وهى تنادى عليها من الخارج، فصاحت  
الفتاة بصوت أعلى :

— حسناً يا سيدتى .. أنا قادمة.

أسرعت إلى باب الحجرة على عجل، وما إن تخطت عتبهته  
حتى عادت إلى ليلى قائلة :

— عذراً يا سيدتى، أتريدين شيئاً قبل أن أنصرف ؟

ابتسمت ليلى قائلة :

— أشكرك يا سعيدة، عندما أريد شيئاً لن أطلبه من سواك.

— سأكون سعيدة جداً يا سيدتى.

انصرفت الفتاة عدواً بينما ليلى ترقبها فى رثاء، ما هى إلا نموذج آخر من نماذج اضطهاد الأنثى التى لا تنتهى، خاصة فى هذه القرية اللعينة، فربما هى هكذا أسعد حلالاً مما لو كانت قد سجنتم فى بيت أحد القرويين لتعمل فيه خادمة بلا أجر، وتنجب له أبناء واحداً تلو الآخر.

اقتربت عقارب الساعة من العاشرة مساءً، كان ينبغى أن تكون فى فراشها الآن، تنهدت بعمق وهى تلقى بنفسها فوق أحد المقاعد الوثيرة قبل أن تترك لأفكارها العنان من جديد، كم تشتاق لمواجهة هذا المجرم بقدر ما تقلق منها !..

أصابها الملل وهى تنظر إلى الساعة فى ترقب .. ها هى قد اقتربت من العاشرة والنصف، لماذا يمضى الوقت بطيئاً هكذا ؟ انشغلت بعد الدقائق حتى بلغت الحادية عشرة .

هتفت ساخطة :

«مستحيل أن يكون هذا الوغد من لحم ودم مثل باقى البشر، كيف لم يحرقه الشوق لرؤيتها كل هذا الوقت ؟ مضى أكثر من شهر ونصف منذ زيارته لمنزلها مع والده لتحديد موعد للزفاف، لم يحاول بعدها زيارتهم ولو مرة واحدة !! ترى ما هى أفكاره عن شريكة حياته، هل تزوجها بالفعل مرغماً كما يقال ؟»

هل هو حقاً من أرسل كل هذه الهدايا التى قدمتها والدته لها

وزعمت بأنها منه ؟ أم أن المرأة قد اختلقت هذه الأكذوبة لتقرب المسافات بينهما ؟ كل ما يفعله حتى الآن يرجح الاحتمال الأخير. اقتربت عقارب الساعة من الثانية عشرة، كادت تجن وهي تغغم :

«يا له من تافه ، مستهتر، لا يقيم وزناً لأى شئ ....»

هل تسرعت بقبولها هذه الزيجة ؟ هل كانوا جميعاً على حق؟ هل أى رجل آخر كان أفضل من هذا الممدوح الذى لم يعبأ بها ؟ عضت على شفثيها وهي تكاد تبكى غيضاً ... سيكون انتقامها منه شديداً بالتأكيد .... فهو يستحق القتل.

\*\*\*

كان الوضع مع ممدوح قد انعكس تماماً .. جلس بين رفاقه يضحكون فى مرح ولا مبالاة، وكأنه لم يكن حزيناً بائساً حتى أسبوع واحد مضى، رفاقه قد اكتملوا بعد وصول عادل وكمال من الإسكندرية، بينما بقى معه أشرف طيلة الفترة الماضية حيث لم يستطع تركه وحيداً وهو على حافة الجنون .. ظل حائراً بين خيارين كلاهما أكثر مرارة من الآخر، إما أن يقتل والده أو يقتل نفسه .. !

أخيراً و بوحى من أشرف قرر أن يضحى ولو مرة واحدة من أجل والده الذى ضحى من أجله مراراً، خاصة وأن هذا الأخير قد وافق على شروطه كاملة، بالرغم من أن معظمها فوق أن يقبله عقل، حتى ممدوح نفسه شعر بالدهشة لكون والده وافق عليها .. ! سعادة والده بموافقته على الزواج من العروس التى اختارها له كانت كفيلاً بتذليل كل العوائق التى ابتدعها للهروب من هذه الزيجة.

قال ممدوح موجهاً حديثه إلى كمال وعادل :

— هذه البلهاء نجوى .. ألم تخبروها كيف تمت هذه الزيجة ؟

— أخبرناها بكل ما قاله أشرف عن ظروف والدك.

غمغم أشرف :

— أنا أيضاً اتصلت بها هاتفياً وأخبرتها بحالتك النفسية السيئة  
التي منعتك من التحدث إليها.

زفر ممدوح ساخطاً :

— ولماذا لم تأتى إذاً ؟

هز كمال رأسه فى أسى قائلاً :

— تركناها حزينة جداً، لا أظنها ستأتى الليلة، أخبرتنى محبطة  
بأنها لا تستطيع أن تراك عريساً لغيرها.

— كان يجب أن تأتى، لقد حدثت أبى عن حتمية وجودها  
بالقرب منى، ووافق على هذا،

أجابه كمال قائلاً :

— اعذرها يا ممدوح، كانت تأمل أن تتزوجها.

هتف ممدوح فى مزيج من القسوة والاستنكار :

— ماذا ؟ أتزوجها ! أتزوج امرأة أمضيت معها خمس سنوات !

هتف كمال غاضباً :

— ولمَ لا ؟ أنت تعلم أنها تحبك ، وأنها على استعداد تام  
للتضحية بكل شيء من أجلك ، ألم تضحى من قبل بزواج ثرى  
هائم بها لتكون معك ؟!

— هل تسمى تركها لهذا الكهل الذى امتص شبابها يوماً بعد  
الآخر تضحية ؟ ثم إننى أخبرتها منذ البداية بأننى لن أتزوج  
.. ووافقت على ذلك

عاد كمال يلومه فى عناد :

— لكنك تزوجت الآن ، كان يجب أن تكون هى العروس.  
نظر إليه ممدوح ساخراً :

— تكون هى العروس !! بالله كفى بلاهة ، أيها العاطفى ما تكتبه  
على الورق شيء ، وما يحدث فى الواقع شيء آخر مختلف تماماً.  
تلفت كمال حوله ليستغيث برفيقه قائلاً :

— لماذا تصمتان هكذا ؟ لماذا لا تقولان شيئاً لهذا المتحجر ؟

أجابه عادل فى هدوء :

— وماذا تريدنا أن نقول له ؟

صاح كمال مستنكراً :

— أيعنى هذا أنك تؤيده الرأى ؟ وأنت يا أشرف ، لا تقل أنت  
أيضاً .....

قاطعهُ أشرف قائلاً :

- قل لى أولاً أيها الرومانسى ، لماذا نتزوج ؟  
 حدق فيه كمال طويلاً قبل أن يغمغم :
- نتزوج حتى نستقر، ننجب أطفالاً، نجد امرأة نبكى بين ذراعيها .....
- قاطع ممدوح ساخراً :
- امرأة نبكى بين ذراعيها، أهذا مطلع قصيدة جديدة لك ؟  
 قابل تعليقه عاصفة من الضحك قبل أن يقول عادل :
- ألا نجد الآن من نبكى بين ذراعيها أيها الأحمق ؟  
 عاد ممدوح ليعلق ساخراً :
- وما حاجتنا إلى البكاء ما دمنا لم نتزوج بعد !  
 تأملهم كمال ساخراً وقد عادوا للضحك من جديد، فربت أشرف على كتفه قائلاً :
- اسمع واعقل أيها الرومانسى ، نحن لا نتزوج إلا من أجل الأطفال.  
 نظر إليه كمال فى ألم أقرب إلى البلاهة، فتنهد أشرف قبل أن يردف ساخراً :
- لهذا يجب أن تكون الأم مدرسة كما قال زميلك أحمد شوقى.  
 غمغم عادل متهكماً :
- زميلك ... ! وأين هذا البائس المغمور من أحمد شوقى العظيم ؟

عادوا للضحك من جديد فصاح كمال فى انفعال شديد :

— يا لكم من قساة، متحجرى القلوب، تأكلون المرأة لحمًا  
وتلقون بها عظامًا.

علق عادل ضاحكاً :

— حمداً لله أننا نترك عظاماً، فهن لا يتركن شيئاً.

حدجه كمال بنظرة مستنكرة قبل أن يلتفت إلى ممدوح قائلاً :

— وأنت هل زوجتك مدرسة كما قال أحمد شوقى ؟

ضحك ممدوح فى طرب قائلاً :

— بل زوجتى جامعة.

علق أشرف بصوت مختنق من الضحك :

— رائع، اطلب منها أن تصدر لنا زميلاتها لنكون جامعة خاصة.

عاد كمال يسأل ممدوح فى دهشة :

— عجباً، تبدو راضياً عن هذه الزيجة ؟

أجابه ممدوح فى شئ من الجدية :

— يمكنك أن تقول إننى استسلمت للأمر الواقع، ربما لست فى

حاجة إلى امرأة، لكننى حتماً فى حاجة إلى طفل أو أكثر،

حتى وإن لم أكن أشعر بهذا فى الوقت الحالى.

ثم أطلق تنهيدة طويلة قبل أن يكمل ساخطاً :

— هذا الطفل أيضاً سيشبع رغبة والدى الملحة، سيجد شيئاً يشغله عنى فيتركنى وشأنى، أحيا حياتى كما أريد.

— وهذه المسكينة التى تزوجتك، هل لاحظت أنك لم تذكرها فى مخططك حتى الآن !

أجابه فى مزيج من الغطرسة والسخط :

— هذه المصيبة يكفيها جداً أن تكون زوجتى.

هز كمال رأسه وهو يبتسم فى مرارة قائلاً :

— هل تحدثت معها ؟

أجابه فى لامبالاة :

— أنا لم أرها حتى الآن.

هتف كمال مستنكراً :

— ماذا ؟ !!

— رؤيتها لن تغير فى الأمر شيئاً، كل ما يهمنى كونها مثقفة وتستطيع أن تربي أطفالى تربية حسنة.

— أهذا كل ما يهمك فى شريكة حياتك ؟

صاح به ممدوح ساخراً :

— شريكة حياتى !!، كف عن ترديد هذه المصطلحات التى لا ملجأ لها سوى خيالك المريض.

زفر بضيق قبل أن يردف ساخراً :

— فهن لا يشاركننا حياتنا بل يسلبنها منا.

تنهد كمال بضيق وهو يغمغم :

— أنت تعتقد أن نجوى لا تستطيع تربية طفل جيد إذاً ؟

نظر ممدوح إليه قائلاً فى قسوة :

— نجوى لن تنجب لى طفلاً، أبداً.

هتف كمال فى بلاهة :

— هل قال الأطباء هذا ؟

ضحك أشرف وعادل بعمق ، بينما ابتسم ممدوح فى مرارة قبل أن يقترب من كمال ويمسك به من ياقة قميصه بعنف قائلاً :

— سأقولها لك صراحة أيها الغبى ، لا خير فى طفل يناديه الناس بابن الساقطة ، هل فهمت أم تريد مزيداً من الإيضاح ؟

جذب كمال ياقة قميصه من يد ممدوح قائلاً فى خجل :

— كلا ، لا مزيد من الإيضاح لقد فهمت.

هز ممدوح رأسه وهو يحدق فى كمال مستنكراً :

— كيف انضم هذا الأبله إلى رفقتنا ..؟! لولا ثققتى فيكما لقلت إن بيننا مرتشياً

عادوا يضحكون من جديد حتى غمغم عادل :

— كم أخشى ألا تكون عروسك جميلة ؟

ابتسم ممدوح قائلاً :

— والدتي لا تكف لحظة واحدة عن مدح مفاتنها.

ثم أردف وهو يغمز لأشرف :

— طول وعرض

ضحك أشرف بينما حدق عادل فيهما ببلاهة، فعاد ممدوح يتابع في لا مبالاة :

— لم يعد الأمر يعنيني كثيراً، حتى لو كانت دميمة، فقد قررت أن أريح أبي وأمي ولو مرة واحدة في حياتي، لكنها ستكون الأخيرة بلا شك.

ثم أردف وهو يبتسم في مكر :

— على أية حال يمكننا أن نبحث عن الوجه الحسن خارج منزل الزوجية.

ابتسم كمال في استنكار قائلاً :

— لعنة الله عليك يا ممدوح، هل تفكر في خيانة زوجتك في ليلة عرسها.

ضحك ممدوح قائلاً :

— لعنة الله على المعتوهين أمثالك، وهل كنت تظن بأنني سأكتفي بامرأة واحدة، ولو رقصت لي على شعر رأسها.

مسح كمال بيديه على شعره كالنساء، قبل أن يرفعهما إلى السماء قائلاً :

— يارب، يا قادر، اجعل ممدوح يهيم عشقاً بهذه العروس، ولا يرى فى الكون امرأة سواها

ضاقت عيننا ممدوح مستنكراً، بينما قال أشرف وهو ينظر إلى ممدوح محذراً :

— احترس يا صديقى، فالحمقى أمثاله هم أقربنا إلى الله.

— من جهة الحماقفة فهو أحمق بالفعل، لو لم يكن كذلك لما جاهر بدعوة كهذه، وهو يعلم مسبقاً بأنها لن تستجاب.

هم كمال أن يعترض لولا رؤيته للحاج سالم الذى اقترب منهم مبتسماً ووضع يده على كتف ولده قائلاً :

— ألم يحن الوقت بعد للصعود إلى عروسك ؟

— أبى لقد نفذت ما تريد، فاتركنى أنعم بما تبقى من حرىتى.

— إنها الثالثة صباحاً يا ولدى، قولوا له شيئاً يا شباب !

— لا تحمل همأ يا عمى، سنحمله إلى عروسه فى الحال، لقد كنا فى شوق لهذه اللحظة أكثر منك.

ضحك ممدوح مرغماً عندما التفوا حوله يحاولون حمله فى مروح، انتهرهم قائلاً :

— كفى أيها الجبناء، يوماً ما ستقعون فى الفخ.

وما إن نهض ممدوح عن كرسىه، حتى انطلقت الأعيرة النارية تملأ الأفق وكأنها زغاريد النساء، فى طريقهم اقترب منهم عدد من الرجال طوال القامة فغمغم عادل قائلاً :

— من هؤلاء يا ممدوح ؟

أجابه ممدوح الذى توقف عن السير بناء على رغبة والده :

— لست أدرى ، يبدو لى وكأنه غزو العمالقة.

صافحهم ممدوح الواحد تلو الآخر ، دون أن تسنح له الفرصة لسؤال والده عن هويتهم ، شدد آخرهم من قبضته على يد ممدوح وهو ينظر إليه فى بعض العدااء الذى لم يستطع ممدوح تفسيره قبل أن يضغط على كلماته القليلة قائلاً :

— اعتن ب ليلى .

أجابه ممدوح دون تفكير :

— من هى ليلى ؟

اتسعت عينا الرجل ، وهو يحدق فيه غاضباً قبل أن يلتفت إلى والده قائلاً :

— ولدك حتى الآن لا يعرف من هى ليلى يا حاج سالم ، ألم تخبره بعد ؟!

قال الرجل فى ارتباك حاول أن يخفيه :

— كيف هذا ، أيعقل ألا يعرف اسم عروسه ؟ لكنه ربما أثقل فى الخمر قليلاً

ثم أردف وهو ينظر إلى ممدوح :

— أليس كذلك يا ممدوح ؟

أجابه ممدوح فى برود ولا مبالاة وهو يحدق فى عينى فؤاد  
بعداء متبادل :

— أليست أسماء النساء عورة فى هذه القرية ؟  
هتف فؤاد غاضباً :

— العورة ليست فى اسم أختى بل فى .....  
قاطع الحاج سالم قائلاً :

— بالله كفى يا فؤاد، لا تدع الشيطان يدخل بينكما من الليلة الأولى.

تابع فؤاد فى غضب لم ينجح فى السيطرة عليه، وهو ينظر  
إلى هذه اللامبالاة فى عينى ممدوح :

— سأصمت لأجلك فقط، لكنها لم تكن له أبداً يا حاج سالم.  
علق ممدوح ساخراً :

— معك كل الحق فى هذا، رجل مثلى، عرف نساءً بعدد شعر  
رأسه، من الظلم أن ينتهى به الحال إلى عانس مثلها.

احتقن وجه فؤاد، ورفع يده ليصنع وجه ممدوح، لكن الأخير  
أمسك بها فى قوة ودفعه بعيداً حتى كاد يسقط أرضاً لولا الجموع  
المحيطة بهما .. وبرغم هذا لم يكتف ممدوح الذى خلع سترته  
وهو يتجه نحوه قائلاً :

— أنت تحاول صغى ! سألقنك درساً لن تنساه أبداً.

جاهد رفاقه ووالده لمنع بصعوبة، وكذلك أمسك آخرون بـ  
فؤاد، وكلاهما يبدى مقاومة مستميتة، ويتصيد الفرصة لقتل الآخر.

وجه الرجل حديثه إلى فؤاد قائلاً :

— الحق عندي يا ولدي، يبدو أن الخمر أفقده عقله.

صرخ فيه ممدوح ساخطاً :

— كفى يا أباي، لا تجبرني على قتله.

التفت والده إليه وأمسك كتفيه بعنف قائلاً :

— كفاك أنت، لا تحول فرحتنا إلى مجزرة، وما أدراك بتقاليد

القرية وعاداتها، الرجل لم يخطئ، فهو يدافع عن كرامة  
أخته التي أصبحت زوجتك الآن أيها المتهور.

هز فؤاد رأسه في أسي قائلاً :

— لو لم يكن القران قد عقد لأخذتها وذهبت.

نظر إليه ممدوح في تهكم قائلاً :

— لا داعي لأسفك هذا، يمكنني أن أطلقها لك إن شئت.

نظر إليه فؤاد في تحد قائلاً :

— كن رجلاً وافعلها.

أجابه ممدوح دون تفكير :

— أختك طا.....

أسرع والده بوضع يده على فمه بقوة، وهو يهمس في صوت

خشى أن يسمعه غيره :

— لا ترغمنى على فعل شئ لم أفعله معك وأنت طفل صغير، لا  
تجعلنى أصفعك أمام الجميع  
غمغم ممدوح فى جنون :

— ماذا، هل بلغ الأمر هذا الحد !!

جذبه رفاقه فى قوة لم يستسلم لها إلا بعدما رأى الوهن الذى  
أطل من عينى والده ممزوجاً بالتوسل والتهديد.

\*\*\*

ما إن وقع بصر والدة ممدوح عليه حتى لطمت صدرها فى  
جزع قائلة :

— ماذا بك يا ولدى ؟ ماذا حدث ؟

غمغم أشرف قائلاً :

— لا شيء.

أسرعت المرأة تحتضن ابنها قبل أن تهتف مستنكرة :

— كيف هذا ووجهه يشتعل ناراً ؟

غمغم عادل :

— مشاجرة كلامية بسيطة بينه وبين هذا المدعو فؤاد.

صاحت المرأة فى ضيق :

— فؤاد مرة أخرى، ألم يكفه ما فعله ب ليلى ؟

التفتوا إليها فى بعض الفضول، فأردفت قائلة :

— هذا الرجل منذ البداية يضع العراقيل لمنع إتمام الزواج، لكن حمداً لله الذى كان له بالمرصاد.

غمغم ممدوح فى ضجر :

— ليس لى الآن سوى أمنية واحدة، أن أصدق وألقى بها إليه من النافذة.

صاحت المرأة مستنكرة :

— أهذا جزاؤها بعد كل ما عانتها للزواج بك ؟ لقد بلغ مسامعى أنها حاربت من أجلك.

هتف فى تهكم :

— ولم لا، فتيات هذه القرية اللعينة، ما إن يبلغن الثانية عشرة، حتى يغدوا لا هم لهن سوى الزواج، فما بالك بامرأة تتعلق بالمحطة الأخيرة؟!

— ومن قال إن ليلى من هذه القرية ؟

سألها ممدوح فى قلق :

— من أين هى إذا ؟

— ليلى جاءت إلى القرية منذ شهر قليلة فقط، تربت فى مدينة كبيرة، ربما القاهرة، أو ربما الإسكندرية حيث تعمل أنت، ومنذ وصولها يتهافت الرجال للزواج منها، لقد تقدم لخطبتها أطباء ومهندسون، لكنها لم ترض بسواك، غير مبالية بكل ما سمعته عنك.

راحوا يحدقون فى بعضهم البعض، بينما تابعت المرأة الثرثرة قائلة :  
— لقد كاد فؤاد أن يقتلها هذا، رغم كل ما قدمه والدك من أجل إرضائه،  
حتى إنه جعله شريكاً له فى صفقة القطن الأخيرة، دون جدوى.  
حدق فيها ممدوح قائلاً :

— هل يعقل أن هذه الجامعية الجميلة، التى يتهافت رجال القرية  
وشبابها للزواج منها رفضت كل هذا للزواج من رجل لا تعرفه  
..؟ هل تحدث هؤلاء العمالقة من أجلى دون أن ترانى ..؟!  
ثم ضاقت عيناه فى تفكير عميق مردفاً :

— ليس لهذا سوى تفسير واحد !!  
أجابته والدته بسرعة :

— لأنك محظوظ بالطبع.  
غمغم فى تهكم :

— محظوظ ! بالله ابحتى لى عن صفة أخرى.

حدقت العيون فى وجهه وأجمعت كلها على تفسير واحد :  
لابد أنهم يعرفون هذه المرأة وتعرفهم، وأنها تبعته من الإسكندرية  
إلى هنا لكى ترغمه على الزواج منها بالتأثير على والده، وإيهامهم  
جميعاً بأنها قروية لا حول لها ولا قوة .. ربما كان يجب أن يلقى  
ممدوح عليها ولو نظرة واحدة قبل أن يتورط فى الأمر....

ساد الصمت والوجوم طويلاً، أخيراً تصنع أشرف ابتسامة  
قائلاً :

— أين الشربات يا خالتي ..؟ فنحن لم نره بعد !

ابتسمت المرأة قائلة :

— حالاً، حالاً سأعود إليكم بالشربات المثلج.

وما إن ابتعدت المرأة حتى أسرع كمال يحدق فى ممدوح قائلاً :

— فهمت شيئاً، لكننى لا أستطيع أن أصدق.

بادلوه تحديقه فى صمت فأردف قائلاً :

— هل سقط الزعيم فى شبك امرأة لعوب ؟

غمغم ممدوح فى سخرية مريرة :

— ما دمت أنت بالذات فهمت هذا، فلا بد أنه قد حدث بالفعل.

ضرب كمال كفاً بأخرى قبل أن ينفجر ضاحكاً فى هستيريا،

فراح ممدوح يقذفه بالوسائد كلها دون جدوى، أقبلت والدته

بالشربات والتفتت فى دهشة إلى كمال قائلة :

— ماذا حدث له ؟

انفجر ثلاثتهم يضحكون مرغمين فنظرت إليهم المرأة فى حيرة قائلة :

— الضحك أفضل من البكاء على أية حال، لقد أحضرت لكم

الشربات المثلج

هتف كمال فى صوت مختنق من الضحك :

— لن يجدى يا خالتي، صدقيني لن يجدى، فنارهم لن تهدأ

ولو ذهبت بهم إلى القطب الشمالى .

ظل ثلاثتهم يحدقون به في غيظ، قبل أن يلتفتوا إلى ممدوح  
الذى أطلق تنهيدة طويلة أسرع بعدها يرتقى السلم عدواً

غمغم أشرف :

— لم أكن أتخيل أبداً أن ينتهى الأمر بهذه الصفة القوية !

\*\*\*

## طلقني

دلف ممدوح إلى حجرته راکلاً الباب خلفه بعنف.. لكنه لم يتلق استجابة من أحد .. فاتجه في خطوات ثابتة للدخل .. هذه الشيطانة تستحق القتل .. إن كانت تظن بأنها نجحت في توريطه فهي مخطئة .. سوف تدفع ثمن حماقتها و....

وفجأة تسمر في مكانه وهو يحدق في ليلي مأخوذاً، وقد استلقت على كراسى وثير واستسلمت لسبات عميق.

غمغم هامساً وهو يقترب منها :

— يا إلهي كيف لرجل أن ينتقم من امرأة على هذا القدر من الجمال؟

اقترب منها في بطة شديد، وكأنه يخشى أن يفسد هذه اللوحة الرائعة، قبل أن ينحنى فوقها، ويقبل شفيتها في شغف زاده اشتعالاً هاتان الشمسان اللتان أشرقتا فجأة من عينيها، وانعكس ضوءهما على عيني ممدوح فتألقتا ببريق رائع.

تراجعت بوجهها للخلف حتى التصق بظهر الكرسي الذي تجلس عليه، وهي تتحاشى وجهه القريب جداً منها قائلة بصوت مرتجف :

— من أنت؟

ابتسم هامساً :

— أنا من لا يستطيع غيره الدخول إلى هذه الغرفة .

ظلت تحددق في وجهه صامتة وهي تستعيد إدراكها تدريجياً ،  
ابتلعت ريقها في صعوبة .. لم تتوقع أبداً أن يكون بهذه الوسـ...  
قال وهو يلاحق نظراتها بأعمق منها :

— ألم تعرفيني بعد ؟ كل هذه الصور المعلقة على الجدران ، ألم  
تخبرك من أنا ؟

تابعت التحديق في عينيه دون أن تهتز أهدابها الطويلة .. الجرأة  
والثقة التي يتحدث بها أخرسها لبعض الوقت ، فلم تعد تدرى  
كيف ولا من أين تبدأ حديثها معه .  
عاد يهمس في تسلية :

— يقولون إن هناك فرقاً كبيراً بين من يرى صورتى ومن يرانى  
وجهاً لوجه ، أتعرفين السبب ؟  
أجابت فجأة كتلميذ نجيب :

— فى عينيك وابتسامتك بريق لا يمكن لعدسات الكاميرا أن تلتقطه .  
لعنت حماقتها حين نهض ضاحكاً وكأنها ألقت فى وجهه  
بقنبلة للضحك حتى قال أخيراً :

— رائع .. كنت قد بدأت أشك فى كو.....  
قطع عبارته وهو يتأملها فى اهتمام قائلاً :

— ولكنك صغيرة، مستحيل أن تكونى دكتورة فى الجامعة مهما بلغ تفوقك ..!

وكان ما قاله عن عملها ولد فيها القوة والثقة التى افتقدتها منذ رؤيته ..

قالت فى ثبات مفاجئ أصابه بالدهشة :

— لقد حصلت على الماجستير ولم أحصل على الدكتوراة بعد.

ثم أردفت وقد راق لها الإعجاب الذى يطل من عينيه قوياً :

— لكننى سوف أحصل عليها قريباً ... قريباً جداً.

ألقي بسترته جانباً، وهو يعاود الاقتراب منها، فنهضت مسرعة، وابتعدت عن الكرسي، بينما أطلق صفيراً طويلاً وهو يتأمل قامتها الهيفاء مغمماً :

— طول وعرض .. تحتاج والدتى إلى تعلم المزيد من المفردات حتى تجيد الوصف.

نظرت إليه فى دهشة، فأردف متيماً :

— أنت فينوس.

قالت فى دلال زاده هيماً :

— لهذا انتظرت كل هذا الوقت حتى ترانى، أليس كذلك ؟

قال وهو يتأملها فى وقاحة :

— لو كنت أعلم هذا .. لأتيت إلى هذه الغرفة منذ أربعة أيام مضت.

قالت فى دهشة :

— ولماذا أربعة أيام ؟

ابتسم قائلاً :

— لأننا لم ننته منها قبل ذلك .

ثم بسط ذراعيه إليها قائلاً :

— اقتربى يا فينوس ...

تجاهلته وازدادت دلالاً قائلة :

— أفضل أن تنادينى ليلى .

— لماذا... ألا تروق لك فينوس، إلهة الجمال ذاته ؟

رفعت رأسها فى كبرياء قائلة :

— كل من يرانى يفضل ليلى .

ضحك قائلاً :

— حسناً يا ليلى هل تقابلنا من قبل ؟

قالت فى لهجة امتزج فيها الغرور بالعتاب :

— سؤالك إهانة لى ..!

عاد يضحك من جديد قائلاً :

— معك الحق بالطبع ..

ثم أردف هامساً وهو يقترب منها :

— اغفري لى حماقتى ...

حاولت أن تبدو هادئة وأن تتصنع اللامبالاة .. مرت بخاطرها تلك القبله التى باغتها بها أحد معجبيها منذ فترة .. كان ابناً لصديق خالها .. معتاداً على زيارتهم .. واستغل يومها وجودها بمفردها وحاول التودد إليها حتى تقبل الزواج منه .. فى مراهقتها أيضاً تعرضت لموقف مشابه وإن كان بإرادتها تلك المرة .. كانت تبادل زميلها بعضاً من إحساسه بها .. ربما تأثرت يومها بتجارب بعض صديقاتها وطيشهن .. لكنها لم تشعر أبداً بتلك اللذة والانصهار الذى تحدثن عنه .. فى المرتين لم تتعد مشاعرها التسلية والغضب ..

محاولاتها للصمود فشلت حين ضمها إليه ، وطبع على شفتيها قبلة طويلة كادت تفقدها صوابها .. هذا الوقح أخطر كثيراً من كل توقعاتها .. حاولت إبعاده عنها دون جدوى فهمست قائلة :

— أرجوك ليس هكذا.

غمغم فى وقاحة :

— علميني إذاً.

هتفت مستنكرة :

— أنا أعلمك أنت ؟!

— ولم لا .. ؟ ألسنت أستاذة بالجامعة ؟

— ما الذى تظننى أدرسه ؟

— الدلال يا ليلى .. وماذا ستدرسين سوى الدلال ؟

— أنا أدرس القانون.

— قانون الجاذبية، أليس كذلك؟

— أنت وقع جداً .

زمجر محذراً :

— حذار من اللسان السليط، فهو ما لا أحبه في نسائي .

تخلصت منه بصعوبة قائلة :

— نساؤك؟؟!

ابتسم في لامبالاة قائلاً :

— ظننتك تعلمين هذا !

— ما أعلمه هو أن لكل رجل ماضياً .. وليس عليه أن يجاهر

به إن كان مخزياً.

— ذكاء هذا أم غرور؟

أبعدت وجهها عنه في كبرياء قائلة :

— مهما بلغت لا مبالاة لك لا أحب أن تتحدث أمامي بهذه الطريقة.

جلس على أحد الكراسي ووضعاً ساقاً فوق الأخرى .. أخرج

علبة سجائره وأشعل واحدة منها .. راح يحرقها في ببطء متعمد

.. دخان سيجارته عبأ الغرفة من حولها حتى كادت أن تختنق ..

كان واضحاً أن هذه الفتاة لا تعرفه بعد كما يجب ..!

قال بعد فترة :

— ألا تحبين الصراحة ؟

سعلت بوجه محتقن قائلة :

— يبدو أنك لا تفرق بين الصراحة والوقاحة !!

دهس بقايا سيجارته فى المطفأة .. حاولت أن تبدو ثابتة عندما تحولت الحجرة إلى غابة فجأة وهو ينهض ليقترب منها فى وحشية قائلاً :

— ربما لا أعلم بعد من أنت .. ولا لماذا قبلت الزواج بهذه الطريقة المهينة .. لكن فى كل الأحوال مرحباً بك فى قفصى الذهبى يا ليلى.

صاحت فى غضب واستنكار :

— قفصك الذهبى .. وكأنك تتحدث عن إحدى سلالات القردة !!!  
ابتسم فى استفزاز قائلاً :

— هل غضبت ؟

حملقت فيه قائلة بضيق :

— يبدو أنك لم تعلم بعد من هى ليلى فاضل !!

— ما أعلمه هو أنك تمتلكين من المكر والدهاء ما استطعت به أن تكونى زوجة لمدوح سالم.

صاحت به فى انفعال :

— ممدوح سالم ..... ممدوح سالم هذا ما هو إلا همجى يطارد النساء .

شعرت فجأة بألم بالغ يعتصر ذراعها قبل أن تدرك أنه يقبض عليه بقسوة ويصرخ بها فى صوت كالرعد قائلاً :

— يبدو أن هناك أشياء كثيرة ما زلت تجهلينها عنى أيتها الجميلة ، أولها أننى لا أسمح لامرأة بأن تحدثنى بهذه الطريقة ، وإن كانت فى مثل جمالك .. أما بالنسبة لمطاردة النساء فأنا لا أحتاج إليها .

أزاحها بعيداً وهو يردف فى اشمئزاز قائلاً :

— ولمّ المطاردة ؟ أنتن كالحشرات فى كل مكان .

ذابت آلامها فى خضم ما تشعر به من إهانة ، وصاحت به قائلة :

— الحشرات هن من يسعين خلفك أيها المتوحش .

نظر إليها فى تهكم قائلاً :

— و ماذا تسمين ما فعلته أنت ؟

اتسعت عيناها وهى تنظر إليه فى ذهول .. وكأنها لا تجد ما تجيب به وقاحته .. كيف تبدلت الأوضاع بهذه الطريقة ؟ هل كانوا جميعاً على حق ؟!

أردف بنفس اللهجة التهكمية المستفزة :

— لكننى لا بد أن أشهد لك بالتفرد ، لقد اخترت أقصر الطرق وأنجحها .

— غرورك وحده هو ما يوهمك بهذا .

عاد ليجلس واضعاً ساقاً فوق الأخرى .. ناداها فى لامبالاة قائلاً :

— والآن هيا، توقفى عن غرورك هذا، قومى بأولى واجباتك الزوجية واخلى عنى حذائى .

انفجرت شفتها، وهى تحدق فيه، دون أن تتحرك من مكانها .  
تأملها ساخراً :

— هكذا إذاً، الحلو دائماً لا يكتمل، هل أنت ضعيفة السمع ؟  
هتفت بانهيبار :

— ما تطلبه هذا يحتاج إلى خادمة وليس إلى زوجة.  
قال فى تهكم :

— وما حاجتى إلى زوجة إذاً ؟  
قالت غير مصدقة ما يحدث :

— هل تزوجت من أجل امرأة تخلع عنك حذاءك ؟  
أجابها فى لهجة باردة :

— فى الحقيقة أنا لم أكن أريد الزواج، لكن بما أنه قد حدث وتزوجت فما المانع من هذا ؟  
قالت فى محاولة للنيل منه :

— عجباً كنت أظن أن النساء فقط هن من يجبرن على الزواج .  
نظر إليها قائلاً :

— إن شئت أن تطلقى على ما فعلته اسماً فقولى تضحية لا إجبار.

قالت فى مزيج من السخرية والاستنكار :

— تضحية.....!

ضغط على كلماته قائلاً :

— اعلمى أننى تزوجتك تحت تهديد الأطباء، بعد أن أجمع فريق منهم بأن حياة أبى مرهونة بموافقتى على الزواج منك .

قالت بصوت مختنق :

— ماذا تعنى ؟

قال ساخراً

— هل حديثى مبهم إلى هذا الحد ؟

رفعت رأسها فى كبرياء قائلة :

— لا تنكر أنك لو رأيتنى من قبل لفعلت المستحيل للفوز بى .

لاحت ابتسامة على شفتيه وهو يتفحصها فى وقاحة قائلاً :

— بل كنت سأفعل الأكثر من المستحيل للفوز بك يا فينوس.

ما كادت تهدأ وتللم أنفاسها التى شتتها ببرودته واستفزازه حتى تحول بريق النصر فى عينيها إلى غضب جامح حين أردف ساخراً :

— لكن ليس كزوجة .

أبعدت وجهها حتى لا يرى دموعها التى عجزت عن السيطرة عليها من هول صدمتها .. لكنه لمحها فطأطأ بشفتيه ساخراً :

- ما زال الوقت مبكراً جداً على هذه الدموع.  
التفتت إليه فى ثورة قائلة :
- ومن قال إننى سأبقى معك ثانية أخرى ؟  
— ومن قال غير ذلك ؟  
قالت بأنفاس لاهثة :
- طلقنى .  
نظر إليها فى ريبة قائلاً :
- هل أنت بلهاء ؟  
صاحت ثائرة :
- قل ما شئت عنى ، لكننى لن استمر فى هذه المهزلة بعد الآن.  
اتجهت مسرعة لتغادر الغرفة فأمسك بها فى عنف قائلاً :
- مهلاً يا حلوتى ، الدخول فى اللعبة شيء. والخروج منها شيء آخر.  
صرخت وهى تحاول التخلص منه :
- اتركنى أذهب .  
صاح غاضباً :
- أيتها الغبية... ماذا سيقول الناس عنك ؟  
— لا يهمنى ولو اتهمونى جميعاً بالجنون.

- لن يتوقف الأمر عند اتهامك بالجنون ، هل نسيت أين نحن؟  
ستجلبين العار إلى أهلك جميعاً.
- أعدك بأن أتزوج بمجرد انتهاء شهور العدة.
- كفى عن هذا الجنون.
- صرخت وهى تحاول التخلص منه :
- اتركنى أذهب، اتركنى وإلا فأنت لم تر شيئاً من جنونى بعد.  
صفعها بقوة قائلاً :
- ولا أريد أن أرى .

\*\*\*

شعرت ليلى بأنها تهوى وتهوى حتى استقرت أخيراً فى قاع الهاوية، صرخات تصم أذنيها، هناك من يهتف باسمها فى لهفة وجزع لكنها لا ترى شيئاً، الظلام الدامس يسود المكان، هناك من يضرب رأسها بالمطرقة، إنها تسمع صوت المطرقة وتشعر بآلام رهيبة لم تعد تحتملها، حاولت الصراخ دون جدوى، صوتها المختنق لا يساعدها، عادت تصرخ وتصرخ حتى سمعت صوتها أخيراً، فتحت عينيها بصعوبة، أنفاسها مضطربة، رفعت يديها فى حركة لا إرادية تتحسس وجهها، تلفتت حولها فى جزع، لم يكن فى الحجرة سواها، طرقات عنيفة تهز باب غرفتها وصوت عرفت فيه صوت حماتها تهتف فى لوعة وقلق .. لم تكن تحلم إذاً .. ليس كابوساً ما عاشته منذ قليل ..

— ليلى... ليلى هل أنت بخير؟

جمعت شتاتها بصعوبة قائلة :

— نعم ....

حاولت النهوض من فراشها، شعرت بآلام مبرحة، هناك شئ لم تعهده من قبل، شهقت فى زعر وغضب، لم تعد هى ليلى عذراء الأمس، لقد غدت زوجة لهذا القذر شاءت أم أبت .

\*\*\*

جلست ليلى فى حجرة كبيرة امتلأت عن آخرها بالنساء اللواتى أخذن يثرثرن بلا توقف حتى كاد الصداع أن يمزق رأسها إرباً، زاد من ضيقها هذا البخور الذى أحضرته حماتها خوفاً عليها من الحسد وهى تجلس بين هذه العيون النهمه، رغبة واحدة امتلكت كل حواسها، الهروب، الهروب هو الشئ الوحيد الذى ربما يخلصها من هذا الكابوس الذى لا ينتهى، ستهرب الآن وليكن ما يكون، تسمرت العيون فى ترقب وهى ترى العروس وقد نهضت فجأة واستعدت لشئ ما، شعرت ليلى بحرج بالغ زادها ضيقاً فوق ضيقها، كادت أن تطلق صرخات هستيرية لولا دخول نادية إلى الحجرة وعلى شفثيها ابتسامة مرحة، وما إن وقع بصرها على ليلى حتى تهللت قائلة :

— كيف حالك أيتها العروس الجميلة ؟

ألقت ليلى بنفسها بين ذراعى صديقتها التى تلقتها فى جزع، وقد لاحظت وجهها الشاحب وجسدها المرتعد، ثم ما لبثت أن قالت فى صوت حاولت أن تخفى ارتباكها :

— ليلى ... معى هدية خاصة جداً لك.

جذبتها ليلى إلى غرفتها غير مبالية بهمسات النسوة ونظراتهن الفضولية، وما إن دلفت إلى حجرتها وأغلقت الباب خلفها حتى أطلقت لدموعها العنان وسط دهشة نادية وصدمتها .

بعد مضى وقت ليس بالقليل نجحت محاولات نادية المستميتة فى تهدئة صديققتها، أخيراً تمت ليلى بصوت مختنق :

— الوضع أسوأ كثيراً مما ظننت، هذا القذر لا يمكن تحمله، الأمر فوق طاقتى يا نادية.

ربتت نادية على كتفها فى حنان قائلة :

— ماذا حدث ؟

— هذا الوقح يتلذذ بإهانتى وكأنه ينتقم منى.

نظرت إليها نادية فى جزع قائلة :

— هل اكتشف وجود حبوب منع الحمل ؟

هزت رأسها نفيًا .. فأردفت نادية فى مزيد من القلق.

— هل أخبرته عن سبب زواجك منه ؟

صاحت ليلى بانفعال :

— ليس بعد، لكننى سأخبره به حتى أحطم غروره فوق العادى.

انتفضت نادية وهى تصرخ فيها محذرة :

— حذار أن تفعلى هذا، الذى سيتحطم هو رأسك وليس غروره.

تنهدت ليلى فى ضيق قائلة :

— هل تصدقين أنه أخبرنى فى لا مبالاة بأنه كان يفضل أن  
أكون عشيقته وليس زوجته ، وبأنه تزوجنى فقط كى ينقذ  
والده من الموت ؟ هل تصدقين بوجود رجل يتحدث لعروسه  
بهذا الكم من الوقاحة فى ليلتهما الأولى ؟

ابتسمت نادية فى هدوء قائلة :

— تذكرى أن السبب الذى تزوجته لأجله أكثر إهانة من هذا.

أردفت ليلى فى عناد :

— سأخبره عن سبب زواجى منه لأر.....

قاطععتها نادية بصوت مرتجف :

— إنه عنيف جداً ، ربما قتلك أيتها الطائشة.

سألته ليلى ببعض الذعر :

— هل قتل أحداً من قبل ؟

— كلا ، لكنه كاد أن يفعلها أكثر من مرة ..

صاحت فى حدة :

ولماذا لم يدخل السجن إذاً ؟

— بسبب نفوذ والده وراثته بالطبع .. ألم نخبرك بكل هذا قبل الزواج ؟!

— وكيف يشاركه الحاج سالم ظلماً كهذا ؟

— الحاج سالم يعشق ولده حد العباداة، ويفتخر به كثيراً رغم كل عيوبه.

غمغمت ليلى فى يأس :

— ومن سيساعدنى للخلاص منه إذا ؟

ضحكت نادية وهى تشير إلى صورته المعلقة على الجدران قائلة :

— ولماذا تريدن الخلاص منه ومعظم النساء يتمنين أن يصبحن مكانك ؟ نظرت إليها ليلى فى عتاب فابتسمت فى مكر قائلة :

— كل ما عليك هو طاعته وإظهار بعض التعاون، وأنا على يقين من أنه يجيد معاملة الجميلات.

أحنت ليلى وجهها وزفرت بضيق قائلة :

— إنه ليس فى حاجة إلى تعاونى، فهو يأخذ ما يريد منى دون الرجوع إلى، إنه أكثر من رأيت وقاحة ولا مبالاة .. كل ما يفعله يشعرنى بالجنون.

قالت نادية فى هدوء :

— لا تنس كونك زوجته.

غمغمت ليلى فى ضيق :

— ليتنى أستطيع النسيان، ليت ما أنا فيه ليس إلا كابوساً فأستيقظ منه.

ربتت نادية على كتفها قائلة :

— لقد حذرناك جميعاً ولكنك قررت وحدك.

انهارت قائلة :

— وهذا ما يزيد من عذابي ، لماذا لم يقتلني فؤاد ؟ لماذا تركني لهذا العقاب المرير ؟

\*\*\*

في الردهة الواسعة بالطابق الأسفل ، جلس ممدوح بين والده ورفاقه يستقبلون سيلاً من الرجال المهنيين بدا وكأنه لن يتوقف أبداً .. راح يستمع في صبر نافذ وابتسامة صفراء إلى دعواتهم له بالفضيلة والهداية ، حانت منه التفاتة إلى رفاقه فوجدهم أكثر ضيقاً منه وهم يتطلعون إليه في لهفة وشوق لمعرفة ما حدث بالأمس بينه وبين هذه الغامضة التي تزوجها ، اقترب منه أشرف هامساً :

— وماذا بعد ، هل سنبقى في جلسة التعذيب هذه للأبد ؟

تنهد ممدوح بضيق قائلاً :

— ثق أنني أشعر بما تشعر به وربما أكثر.

تابع أشرف بنفس النبرة الهامسة :

— جد لنا حلاً إذاً.

— أخشى أن أسلب أبي هذه الفرحة التي تملأ وجهه.

— امنحنا نحن أيضاً بعض الشفقة.

اتسعت ابتسامة ممدوح ولكنه قبل أن يعلق بشئ ، أقبل فؤاد لتقديم التهنئة ، ونظر كلاهما للآخر في برود واضح ، بينما تقدم

الحاج سالم إلى ضيفه يحتضنه في ترحاب وحفاوة .. سرى فيض من الهمس والهمهمة بين الحاضرين ، قطعه فؤاد حين اقترب من ممدوح مصافحاً فبادله ممدوح المصافحة ، وكذلك فعل رفاقه وكأن شيئاً لم يكن. لم يمض وقت طويل حتى نهض فؤاد مستعداً للرحيل فهتف الحاج سالم مستنكراً :

— بهذه السرعة .. لن تنصرف قبل أن تشاركنا الغداء .

ابتسم فؤاد في هدوء قائلاً :

— كرمك لا يحتاج إلى برهان يا حاج سالم ، لكننى أنتظر بعض التجار من سوهاج وأخشى أن يصلوا إلى المنزل ولا يجدونى هناك ، هل يمكننى رؤية العروس قبل أن أنصرف ؟

وقف ممدوح وسط دهشة والده ورفاقه ودهشة فؤاد نفسه قائلاً :

— ما دمت مصراً على الرحيل ، سأرافقك لرؤية العروس إذاً.

تدخل والده منزعجاً :

— أنا الذى سأرفقه.

أجاب ممدوح فى حزم قائلاً :

— ابق أنت مع ضيوفك يا أبى ، هيا يا سيد فؤاد.

تقدمه فؤاد إلى الدرج ، بينما اقترب منه والده وقال هامساً :

— تذكر يا ولدى أنه فى بيتك.

ابتسم ممدوح قائلاً :

— اطمئن لن أقتله.

راح ممدوح يصعد الدرج عدواً كعادته، لكنه توقف ما إن نظر خلفه وأدرك أن فؤاد لا يستطيع مجاراته فابتسم قائلاً :

— تمتلك جسداً ثقيلاً يا سيد فؤاد.

ضغط فؤاد على كلماته قائلاً :

— العمل لا يترك لى وقتاً للاعتناء بنفسى.

قال ممدوح فى لا مبالاة :

— هذا ليس عذراً كافياً، إن لبدنك عليك حقاً.

أجابه فؤاد فى مكر :

— أخشى أنك لا تهتم إلا بهذه الحقوق.

ضحك ممدوح ولم يعلق، وصلا إلى الحجرة التى أعدت من أجل العروسين، فتحها ممدوح قائلاً: - تفضل، سأرسل لاستدعاء ليلى حالاً.

جلس فؤاد على أحد الكراسى الوثيرة، وتأمل ما حوله بإعجاب قائلاً :

— الحجرة رائعة، أتمنى لكما التوفيق.

قدم له ممدوح علبة سجائره قائلاً :

— تفضل.

لكن فؤاد رفضها بأدب متعللاً بأنه لا يدخن، فابتسم ممدوح قائلاً :

— تبدو فاضلاً أكثر من اللازم.

نظر إليه فؤاد، وابتسم مرغماً، بينما أشار ممدوح إليه بطبق من الفاكهة قائلاً:

— لا أظن أن هذه من المنوعات.

تناول فؤاد منه تفاحة شاكراً، ثم ما لبث أن سأله ببعض الاهتمام :

— هل أخبرت ليلي بما حدث بيننا بالأمس ؟

أجابه ممدوح فى وقاحة مقصودة :

— لم يكن هناك وقت.

ساد الصمت بينهما قليلاً حتى قطعه فؤاد قائلاً :

— عذراً، إن كنت قد أخذتك من ضيوفك.

هتف ممدوح ممتناً :

— لقد أنقذتني من هذه الجلسة المملة.

أقبلت ليلي فى تلك اللحظة، وأسرعت ترتدى بين ذراعى فؤاد فى لهفة، وكأنها وجدت أخيراً من ينقذها من براثن هذا الذئب، تأملها فؤاد فى قلق قائلاً :

— ماذا بك ؟

قالت بصوت مرتبك :

— كنت أخشى ألا تأتى.

تمتم وهو يتفحصها بإمعان ليتأكد من كونها بخير :

— وكيف لا آتى، ومن لى أغلى من ليلى ؟

تحجر الدمع فى عينيها وهى تتعجب كيف لم تدرك ذلك من قبل، لماذا لم تستمع إليه حين نصحتها بالابتعاد عن هذا المتوحش؟ همس فؤاد باسمها فى قلق ثم حول نظريه إلى ممدوح وسأله بانفعال :

— ماذا فعلت بها ؟

أجابه ممدوح، وهو يتطلع إلى ليلى التى تجاهلت النظر إليه منذ دخولها إلى الحجرة :

— وماذا تظننى قد فعلت بها وقد علمت بالأمس فقط أنها تحدث الجميع للزواج منى ؟

نظر إليه فؤاد فى غضب، لكنه لم يجد ما يقول .. عاد ينظر إلى ليلى فى قلق وتساؤل

فتصنعت ابتسامة قائلة :

— لا تقلق بشأنى، أنا بخير ... ربما كنت مرهقة قليلاً لأننى لم أنم جيداً.

تفحصها فؤاد فى ريبة قائلاً :

— سأسافر غداً إلى سوهاج، يمكننى تأجيل السفر أو حتى إلغائه إذا اقتضى الأمر.

كتمت ليلى غيظها بصعوبة حين أمسك ممدوح بكتفيها وأدارها إليه قائلاً :

— اطمئن يا فؤاد، يمكننى أنا الاعتناء بها جيداً، فالرجل لن يجد امرأة مثلها كل يوم، هى أيضاً قد وجدت أخيراً الرجل الذى يمكنه التعامل معها بالطريقة التى تفضلها، أليس كذلك يا عروسى الجميلة ؟

حمدت ليلى الله على أن ظهرها فى مواجهة أخيها حتى لا يراها عندما أغمضت عينيها وعضت على شفتيها حتى كادت تدميها ..  
اتسعت ابتسامه ممدوح وهو يجذبها إليه ويقبلها غير مبالٍ بوجود فؤاد الذى هز رأسه مستنكراً ولكنه وقف عاجزاً لا يدري ماذا يفعل .... ؟

\*\*\*

ما إن انفرد ممدوح برفاقه حتى تنفس عادل الصعداء قائلاً :

— يا إلهى لقد كدت أحتنق.

بادله أشرف سخطه قائلاً :

— حتى السيجارة لم نستطع حرقها وهم ينظرون إلينا هذه النظرة الطفولية.

ابتسم ممدوح قائلاً :

— مهلاً يا رفاق ما زال الوقت مبكراً على هذا الغضب، فهذه المسرحية سوف تستمر أسبوعاً على الأقل.

صاح عادل مستنكراً :

— أسبوعاً، أسبوعاً نستيقظ قبل أن ننام لنجلس مع هؤلاء الجبابرة.

أجابه ممدوح ساخطاً :

— إنها العادات والتقاليد فى هذه القرية يا صديقى.

قطع حديثهما كمال الذى قال متلهفاً :

— دعك من هذا الآن، وحدثنا عن العروس.

وقال أشرف فى لهفة أعنف :

— من هى؟ هل رأيناها من قبل؟

أجابه ممدوح فى اقتضاب زادهم شغفاً :

— كلا.

— هل رأتك هى من قبل؟

— لم ترنى ولم أرها من قبل .

— هل هى عانس بالفعل؟ دكتورة فى الجامعة كما تقول والدتك؟

— لم تحصل إلا على الماجستير، ولديها إصرار يدهشنى للحصول على الدكتوراة.

— ليست عجوز شمطاء إذاً، هل هى جميلة؟

ضغط ممدوح على حروفه قائلاً :

— فينوس.

حذق ثلاثتهم فيه فتابع فى شغف :

— ولديها من الغرور والعناد والجنون أيضاً، ما يبعث على التحدى.

صاح عادل فى عدم تصديق :

— إن كانت حقاً باهرة الجمال كما تقول، فلماذا قبلت الزواج بهذه الطريقة، هل أغرتها سمعتك الحسنة فى القرية ؟

ابتسم ممدوح قائلاً :

— يبدو هذا.

تمتم عادل ساخراً :

— كيف هذا وسمعتك فى القرية يخشاها الرجال قبل النساء ؟

ضاقت عينا ممدوح قائلاً :

— مغامرة صغيرة، تجرب اللعب مع الكبار، ولكم يسعدنى أنها سقطت فى أرضى.

قال أشرف فى تهكم :

— إنها مجنونة إذاً.

ابتسم ممدوح قائلاً :

— هذا ما أقرت به بعد الدرس الأول.

هتف به كمال مستنكراً :

— لا تقل إنك عذبتها من الليلة الأولى !!!

قال ممدوح وهو يتأمله ساخراً :

— لقد ضغطت عليها قليلاً، بعد أن وجدت أن معلوماتها عنى غير كافية.

صرخ به كمال فى ضيق :

— تَباً لك أيها المتوحش .. ! يبدو لى أنها رقيقة جداً.

— أنت أبله، فهى نمرة شرسة تحتاج لمن يروضها، وسأفعل هذا بكل سرور.

سأله أشرف فى لهفة :

— هل هى عذراء ؟

— كانت حتى صباح اليوم أيها الأحمق.

ابتسم عادل فى شغف قائلاً :

— حسناً، قص لنا الآن ما حدث بينكما من الألف إلى الياء.

صاح ممدوح مستنكراً :

— ماذا ؟

قال أشرف مندهشاً :

— ما بالك مصدوماً هكذا ؟ لقد كنت تقص علينا ما يحدث بينك وبين الأخريات بأدق التفاصيل.

— هذه المرأة زوجتى، تحمل اسمى وربما غداً تحمل طفلى أيضاً .

قال أشرف متفهماً :

— حسناً، لكن حديثك عنها ملأنا شوقاً لرؤيتها .. أم أنك ترفض ذلك أيضاً.

ابتسم ممدوح قائلاً :

— ليس لهذا الحد.

كانت عقارب الساعة تشير إلى السادسة عندما نهض ممدوح واستعد للذهاب، فأمسك عادل بذراعه قائلاً :

— إلى أين ستذهب ؟

أجابه ممدوح وهو يتشاءب :

— سأوى للفراش.

علق أشرف ساخراً :

— لكنها ما زالت السادسة مساءً وليس صباحاً أيها الزعيم.

ضحك عادل متسائلاً في خبث :

— قلت لى من سيروض الآخر ؟

انفجروا يضحكون جميعاً وبينهم ممدوح، حتى سأله أشرف متصنعاً الخوف :

— هل الأستاذة تستخدم العصا ؟

عاد عادل يضحك قائلاً :

— ربما تحرمه من درجات السلوك.

وقال كمال :

— اتركوه يمضى إذاً حتى لا تتسببوا فى رسوبه.

تصنع أشرف الجديدة قائلاً :

— إذا كان الأمر كذلك ، يجب أن ندعك تمضى فهو مستقبلك يا صديقى.

ثم نظر إلى عادل وكمال فى زعر مصطنع وقال :

— يجب أن نحترس يا رفاق حتى لا نسقط فى قبضة الأستاذات القرويات ، يبدو أن لهن سحراً خاصاً

نظر عادل إلى ممدوح الذى كان يرقبهم مبتسماً وقال :

— معك حق يا أشرف ، انظروا ماذا فعلت إحداهن بالزعيم ؟

ابتسم ممدوح فى مرح قائلاً :

— أيها العجر ..! لم أذق للنوم طعماً منذ أمس.

قال أشرف فى خبث :

— نحن نقدر موقفك.

ضحك ممدوح قائلاً :

— أنتم لا تطاقون ، خاصة وأنا فى مثل هذه الحالة.

ثم أردف وهو يفتح الباب :

— غداً سنلتقى لأخذ تأرى.

\*\*\*

دلف ممدوح إلى حجرته، وأغلق الباب بقدمه في عنف  
كعاداته، فاستيقظت ليلي مذعورة، وأسرعت تغادر فراشها، وما  
إن وقع بصره عليها حتى ابتسم قائلاً :

— هل كنت نائمة ؟

زفرت بضيق صامته فتابع في مكر :

— لماذا لم تنتظري حتى أوقظك ؟

غمغمت ساخطة :

— لقد أيقظتني بالفعل بأسلوبك الهمجي هذا .

جذبها إليه هامساً أنت تفضلين طريقة الأمس إذا ؟

حاولت التخلص منه قائلة :

— بل أفضل أن تتركني لأغسل وجهي .

تأملها متهكماً، كانت ترتدى روباً حريرياً أبيض اللون، طويل  
الذيل والأكمام، وقد لفته حولها بإحكام حتى لا يظهر منها شيء،  
تركها فجأة، فكادت تسقط أرضاً، بينما قال في لامبالاة :

— بدلي هذه الثياب، فأنا لا أنوى الصلاة الآن .

أسرعت هاربة من أمامه، وهي تغمغم بسيل من السباب  
والشتائم لم يفهم منها شيئاً لكنه صاح فيها قائلاً :

— عشر دقائق، وربما نظرت لتغيير باب الحمام .

التفتت إليه قائلة في بلاهة :

— لماذا ؟

أجابها فى نبرة باردة :

— لأنى سوف أكسره.

ظلت تحدق فيه بنفس البلاهة فأردف بصبر نافذ :

— لاتتأخرى يا..... دكتورة

أغلقت باب الحمام خلفها فى عنف، وخطوات قليلة تفصل بينها وبين الجنون، كل ما يفعله هذا الوغد يثير جنونها، نظراته الوقحة، لسانه الفظ، لمساته العنيفة، أسلوبه الهمجى، والأدهى من ذلك كله، تلك اللامبالاة التى ينتهجها، أطلقت تنهيدة عميقة ورفعت عينيها إلى السماء تلتمس المعونة، وترجو من الله أن يغفر لها هذا الذنب الذى ارتكبته فى حق نفسها، ويمنحها القدرة على التحمل والصمود حتى النهاية، كادت تنفجر باكية حين سمعت صياحه بالخارج قائلاً :

— هيا يا دكتورة، لقد انتهت الدقائق العشر.

غمغمت فى سخط :

— اللعنة عليك وعلى هذه الدكتورة التى أقلت بى فى قبضتك.

غسلت وجهها سريعاً وخرجت إليه فى عبوس صارخة :

— ماذا تريد منى ؟

أجابها فى نبرة هادئة وشبه ابتسامة تتراقص على شفثيه :

— ألا تجيدين التخمين ؟

تخضب وجهها خجلاً وهي تلملم رובהا الحريرى حولها  
بإحكام أكثر، فأطلق ضحكة طويلة قبل أن يردف فى لهجة  
زادتها خجلاً :

— لقد أخبرتني والدتي بأنك لم تتناولى طعاماً منذ أمس.

ابتلعت ريقها بصعوبة قائلة :

— لم تكن لى رغبة فى تناول الطعام.

قال فى تهكم :

— أراهن أن لك رغبة الآن.

صاحت ساخطة :

— لاتظن أننى كنت أنتظرك.

قال وابتسامة تتلألأ على شفثيه :

— أتكرين هذا ؟

أتسعت عيناها فى استنكار قائلة :

— يالك من متعجرف !

شهقت فى فزع حين أحاط خصرها بذراعه وهو يقودها إلى  
مائدة الطعام فضمها إليه وقبلها قائلاً :

— سأعلمك كيف تكفين عن الفرع كلما لمستك يا ليلى .

نزع رובהا بقوة وألقى به جانباً وهو يهمس :

— هكذا أفضل كثيراً

قالت بصوت مختنق :

— أنا جائعة جداً.

أجابها في نبرة تملؤها الرغبة :

— أنا أيضاً جائع جداً، لكنك جعلت شهيتي تسلك طريقاً آخر.

راح يلتهم شفتيها وعنقها في نهم بالغ، حاولت التملص منه حتى فقدت القدرة على المقاومة، وماتت شفثاها المرتعدتان فلم تعد تشعر بهما تحت وطأة قبلاته العنيفة الشرهة، بدأت الحجرة ترقص بها وجدرانها تقترب منها، انطفأت الأنوار فجأة وتسارعت دقات قلبها في جنون وكأنها في سباق مع الزمن وعادت لتتوقف كلها دفعة واحدة وقد وصلت إلى نهايته .

\*\*\*

## التحدي

حركت ليلى جفنيها فى بطن، الأنوار عادت إلى الحجره من جديد، وابتعدت الجدران عن بعضها البعض مرة أخرى، رائحة العطر تملأ أنفاسها بينما انحنى ممدوح فوقها وراح يسألها فى نبرة يشوبها القلق قائلاً :

— ليلى ... ليلى .. هل أنت بخير ؟

تنبّهت إلى أنها ترقد على فراشها وهو يجلس على حافته، ممسكاً بزجاجة من العطر فى إحدى يديه بينما يمسح شعرها بيده الأخرى، لمساته أكثر نعومة هذه المرة .. عاد ليكرر سؤاله من جديد فهزت رأسها صامتة.

تابع فى قلق أعمق :

— هل أنت مريضة ؟

نظرت إليه فى تساؤل، فأردف قائلاً :

— لقد انخفضت درجة حرارتك فجأة، وأصبحت بشرتك بلون الثلج ... هل تعرضت لمثل هذه الحالة من قبل ؟

تطلعت إليه ساخطة .. كيف تخبره عن طريقته العنيفة فى تفتيح مشاعرها .. كم توقع منها أن تصمد وهو يضمها ويقبلها بتلك الوحشية ؟ !

- حاولت النهوض قائلة :
- اطمئن، أنا لست مريضة .
- لماذا سقطت مغشياً عليك إذا ؟
- ابتلعت ريقها صامتة ، فابتسم بطريقة أربكتها قائلاً :
- ألن تقولى شيئاً ؟
- قالت بصوت مرتبك :
- أنت تعلم أننى لم أتناول طعاماً منذ أمس ، وربما كان هذا هو السبب.
- شدها إلى مائدة الطعام قائلاً فى خبث :
- حسناً ، ظننتك ستحاولين إيهامى بشئ آخر.
- نظرت إليه قائلة :
- ماذا تعنى ؟
- أجابها وهو يحدق فى عينيها :
- يبدو أننى أكثر أهل الدنيا حظاً ، أو أنك ممثلة بدرجة امتياز .. !
- جلسا يتناولان طعامهما ، حاول إطعامها فانتهرته قائلة :
- أظن أننى فى سن يسمح لى بتناول الطعام بمفردى.
- عض على شفتيه قائلاً :
- كاد صبرى أن ينفد.

— جيد.

— كلا .. ليس جيداً أبداً.

تجاهلت غضبه وراحت تتناول طعامها صامتة ، حانت منها التفاتة إليه ، فاتسعت عيناها وتوقفت عن تناول الطعام وهي تحرق فيه مستنكرة .. لم تصادف أحداً من قبل يتناول طعامه بهذه الشراهة والسرعة .. وكأنه سيلتهمها هي أيضاً بعد قليل .. !  
التفت إليها وغمغم ساخراً :

— لماذا تنظرين إلى هكذا ، هل تتعلمين الأكل مني ؟

صاحت قائلة :

— مستحيل.

ابتسم فأردفت مستنكرة :

— أنت تأكل كالأسد.

أجابها في لا مبالاة :

— الأسد هو مثلي الأعلى دائماً.

توقف عن تناول الطعام بعد قليل .. فبرقت عيناها قائلة :

— هل أشعرتك بالخبجل ؟

قال متهكماً :

— الخجل ... ! هذه الكلمة خارج قاموسي.

- أتعنى أنك لا تخجل أبداً ؟
- وماذا أترك للنساء إذا ؟
- الخجل ليس من شيم النساء وحدهن ... الخجل إحساس آدمي .  
ثم تمت في سخط :
- كونك تفتقده، فهذا يعود لطبيعتك الوحشية .
- نظر إليها وضاقت عيناه محذراً .. قالت وهي تنهض مسرعة :
- ساعد الشاي، هل تريد كوباً ؟
- أمسك يدها قائلاً :
- أكملى طعامك أولاً .
- لقد شبعت .
- بهذه السرعة ؟! دعيني أطعمك أنا .
- جذبت يدها وابتعدت عنه، وعندما انحنى للإمساك بها من جديد، مال كرسيه فسقط أرضاً، تشبث بمفرش المائدة فسقط فوقه بما عليه من طعام، زفر في ضيق بالغ بينما أطلقت ليلي ضحكة مدوية، أقل ما يقال عنها إنها خليعة، حتى إن ممدوح نسي وضعه الحرج، وظل يحدق في وجهها مصدوماً، فانتهرته قائلة :
- لماذا تحدد في هكذا ؟
- سألها في ريبة :
- أين تعلمت هذه الضحكة ؟

قالت مستفزة :

— هل تزعجك ضحكتي إلى هذا الحد ؟

قال فى لهجة تهكمية تملؤها الريبة :

— هذه الضحكة تذكرنى بصديقة لى، لكنها لا تعمل بالجامعة، بل ربما لم تدخلها أبداً.

ضغطت على أسنانها، وهى تنظر إليه فى غضب، لكنه تابع بنفس اللهجة القاسية :

— ربما أحتاج إلى رؤية أوراقك يا لىلى.

همت أن تعترض، لكنه دفعها إلى الأريكة وهو يخلع عنه ملابسها التى تناثر فوقها الطعام، ويلقى بها جانباً قبل أن يحدد فى عينيها قائلاً :

— من أنت بالضبط ؟

قالت فى عناد :

— لم لا تكتشف هذا بنفسك ؟

أمسك ذراعها بقوة آلتها :

— كفى عن المراوغة ؟

صاحت ساخطة :

— اترك ذراعى.

تركها فى خشونة محذراً :

— لا تجادليني.

زفرت بضيق عندما جذب أحد الكراسى وجلس فى مواجهتها .. صدره العارى وكأنه لمصارع محترف زادها قلقاً .. لم تتخيله هكذا عندما أخبروها بأنه يمتلك جسد الثيران..!

أشعل سيجارة قبل أن يحدق فى وجهها منتظراً، فصاحت فى عصبية :

— أنا لا أطيق رائحة التبغ.

— لا تستنشقيها إذأ.

اتسعت عيناها، وارتجفت شفتاها لتقول شيئاً، لكنه قال بسرعة :

— أين تعلمت هذه الضحكة ؟

ظلا يحدقان كلاهما فى الآخر فترة ليست بالقصيرة حتى قالت فى استسلام :

— فى منزل خالى.

قال فى تهكم :

— هل كانت زوجته راقصة ؟

اشتعلت غيظاً قائلة :

— ماذا ستفعل لو صفعتك ؟

تراقصت ابتسامة على شفتيه قائلاً :

— لا أعلم .. ولكننى أنصحك بأن لا تجربى.

- اتسعت ابتسامته الشرسة حين تفحصت عيناها عضلاته المفتولة  
 فى يأس قبل أن تهتف غاضبة :
- أى مبدأ هذا الذى تتعامل به ؟
- أطلقى عليه ما شئت.
- أنت ديكتاتور.
- أكملى.
- وهمجى ومتوحش و ..... .
- أكملى قصتك وليس السباب.
- نفث دخان سيجارته فى بظه قبل أن يردف قائلاً:
- كم أمضيت فى بيت خالك ؟
- عمري بأكمله.
- أطلقت تنهيدة طويلة، وشردت بعيداً، قبل أن تقول :
- منذ كان عمري ثلاثة أيام أخذنى معه إلى القاهرة، ولم أعد إلى  
 هذه القرية إلا منذ شهر قليلة.
- نظر إليها بصبر نافذ فأردفت :
- كان خالى وقتها متزوجاً منذ عشرة أعوام ولم يرزق طفلاً .
- قال بطريقته التهكمية البغيضة :
- وهل كانت والدتك تبيع الأطفال ؟

- تطاير الشرر من عينيها قائلة :
- أنت أكثر من رأيت وقاحة.
- تراجعت فى فزع حين لوح بقبضته فى وجهها محذراً .. قال ساخراً :
- وماذا تسمين ما فعلته والدتك ؟
- ثم أردف فى لهجة أشد سخرية :
- تضحية أم صدقة !....!
- أنت لا تفهم شيئاً.
- الخطأ ليس فى عقلى بل فى طريقة الشرح، يبدو أنك أستاذة سيئة، أراهن بأن طلابك لا يفهمون منك شيئاً.
- صاحت بعصبية :
- طلابى لا يتركون محاضرة لى، وينصتون إلى بكل اهتمام وتركيز.
- ابتسم وهو يتأملها فى وقاحة قائلاً :
- بدون عصبية، أنا أصدقك فى هذا.
- تجاهلت عبارته بصعوبة قائلة :
- لماذا أتيت باللوم على أمى وحدها، وكأن الرجال معصومون من الخطأ ؟
- حدق فيها لحظة قبل أن يقول فى هدوء :

— أم تترك طفلتها بعد ثلاثة أيام من ولادتها، ماذا تريدني أن أقول عنها ؟

— ربما فعلت هذا لتتقذني من الموت.

تمتم فى مزيج من السخرية والدهشة :

— تنقذك من الموت !! لا أظن أن قومك، هؤلاء العمالقة، يتصورون جوعاً.

زفرت فى وجهه ساخطة، قبل أن تنهض من مكانها، وتبتعد عنه قليلاً .. ربما هرباً .. قبل أن تتابع قصتها بمرارة قائلة.

— لقد رزقت والدتى فى بداية زواجها بانثيين، واحدة تلو الأخرى، جن جنون والدى وكاد أن يتزوج من جديد بامرأة تنجب له الذكر، ولكن لكون والدتى ابنة عمه، قرر أن يمنحها فرصة أخيرة ..! وينتظر نتيجة الحمل الثالث، ظلت والدتى المسكينة تدعو الله طوال فترة حملها الثالث حتى استجاب الله لها ورزقها بأخى فؤاد الذى أسعد والدى ولكنه لم يكتف .. بل اعتبرها البداية وأراد المزيد من الذكور، رغم صحة والدتى التى تدهورت، حملت المسكينة بعد ولادة فؤاد بأقل من شهرين، وجئت أنا إلى هذه الدنيا لأصدم الجميع، لم أكن أنثى فحسب .. بل كنت ضعيفة جداً حتى أجمع كل من رآنى بأننى لن أظل على قيد الحياة.

— وماذا قال الأطباء ؟

أجابته فى سخرية مريرة :

— أطباء !! ولماذا الأطباء؟ لقد كنت أنثى وموتى خير من بقائى.

تطلع إليها صامتاً فتابعت بنفس لهجتها المريرة :

— لست أعلم إن كان لحسن حظى أم لسوءه ، تصادف وجود خالى عبد الله فى القرية وقتها، ما إن رآنى حتى قال لأبى معاتباً :

— أرى أنك مقصر نحو هذه الطفلة.

أجابه والدى فى لا مبالاة :

— وماذا سأفعل لها ؟ ستحتاج إلى معجزة للبقاء على قيد الحياة، وإذا حدثت المعجزة فسوف تحتاج إلى عناية كبيرة من والدتها، وكما ترى فؤاد ما زال صغيراً ويحتاج إلى كل رعاية والدته واهتمامها.

— إن كنت لا تريدها أعطنى إياها إذاً .

— وماذا ستفعل بها ؟

— أنت تعلم أننى لم أرزق أطفالاً، وسوف تسعد بها زوجتى كثيراً.

— لكنها لن تعيش طويلاً.

— الأعمار بيد الله، ومن ناحيتى سأبذل قصارى جهدى، وأعرضها على أشهر الأطباء فى القاهرة، وربما تنجو من الموت ويكون لى فيها خير .

وهكذا اصطحبني خالى معه إلى منزله بالقاهرة بعد أن أخذ تعهداً من أبى أمام رجال العائلة جميعاً بعدم المطالبة بى مرة أخرى إذا ما بقيت على قيد الحياة.

كان ممدوح ينصت إليها فى اهتمام، وما إن انتهت من سرد قصتها حتى سألها قائلاً :

— ماذا كان خالك يعمل ؟

— كان موظفاً فى إحدى شركات السياحة.

ابتسمت، ثم أردفت فى حنان قائلة :

— وما إن تيقن من أننى سأبقى على قيد الحياة حتى افتتح لنفسه مكتباً صغيراً للرحلات بالإضافة إلى وظيفته التى استقال منها فيما بعد .. حين ازدهرت أعماله وتحول المكتب الصغير إلى شركة سياحية كبرى.

ابتسم ممدوح قائلاً :

— وماذا عن زوجة خالك ؟

ضغطت ليلى على كلماتها قائلة :

— كانت تعمل معلمة، تعرف إليها خالى فى إحدى الرحلات المدرسية، وأعجبته أخلاقها فتزوجها، كانت أمّاً رائعة تعلمت منها كل شيء.

تراقصت ابتسامة هازئة على شفثيه قائلاً :

— كل شيء؟!!

نظرت إليه بضيق ثم أشاحت بوجهها قائلة :

— لقد اعتاد خالى على إقامة الكثير من الحفلات فى منزله، وفى إحداها كانت إحدى الراقصات تضحك هذه الضحكة

فتدير رؤوس الرجال أمثالك.

ابتسم فى تهكم قائلاً :

— هل تهوين إغواء الرجال ؟

ضغطت على أسنانها قائلة :

— بل أهوى إذلال الرجال.

ضحك قائلاً :

— أنت معقدة إذاً.

نهض، واحتضن وجهها الساخط، ثم أردف فى مكر :

— على أية حال هذا أفضل كثيراً مما ذهببت إليه.

اتسعت عيناها قائلة :

— ماذا ظننت ؟

ابتسم فى لا مبالاة وهو يتأملها قائلاً :

— لقد اخترت الطبيب المناسب يا ليلى، فأنا الوحيد القادر

على فك عقدك واحدة تلو الأخرى.

صاحت فى عصبية :

— كف عن غرور الرجال هذا، اللعنة عليكم جميعاً.

قال متهكماً :

— جميعاً !! وماذا عن فؤاد أو خالك عبدالله؟ وكلاهما دلالك حتى أفسدا تربيتك.

هتفت في لا مبالة :

— فؤاد يحاول التحرر من الذنب الثقيل الذى يعانى منه كلما شعر بأنه السبب المباشر فى نشأتى بعيداً عن منزلى ، أما خالى عبدالله فلا أظن أن أمرى كان ليشغله لو أنه رزق أطفالاً من زوجته. غمغم مستنكراً :

— أيتها الجاحدة، ماذا فعلت بوالدك ؟

أجابته في لا مبالة :

— لقد توفى وأنا فى التاسعة من عمري ، رحمه الله من انتقامى.

— ممن جئت تنتقمين هنا ؟ وهل تركت خالك بعد هذا العمر كنوع من الانتقام أيضاً ؟

— لست جاحدة إلى هذا الحد.

— لماذا عدت إذاً ؟ ولا تقولى عشقاً لهذه القرية.

— كلا بالطبع ، لقد عدت إليها مرغمة بعد وفاة خالى رحمه الله ، لقد رأى رجال العائلة أنه من غير اللائق أن أستمر فى الحياة مع امرأة غريبة عنى !!

— ولماذا استسلمت لأمرهم ، أين كان لسانك السليط هذا ؟

صاحت فى يأس :

— لقد ظللت أقاوم مع زوجة خالى لأكثر من عام كامل حتى أشفقت عليها بعد كثرة المضايقات التى تعرضت لها.

— لماذا لم تتزوجى خلال هذه الفترة ؟

— لم أكن أفكر فى الزواج أبداً لولا هذه الفكرة المجنونة التى .....

توقفت عن الحديث عندما لاحظت أنه ينظر إليها فى ترقب واهتمام، فتنبهت إلى حماقة ما سوف تقوله، وتذكرت تحذيرات نادية لها، فتمالكت نفسها قائلة :

— التى أوقعتنى فى قبضتك.

تأملها فى ريبة قائلاً :

— بما أنك قد وضعت الرجال جميعاً فى قائمتك السوداء، لماذا تزوجت من رأس القائمة؟

نظرت إليه فى تحد قائلة :

— ألم تفهم بعد ؟

ابتسم فى طرب قائلاً :

— أريد أن أسمع من بين شفقتك الجميلتين ما الذى تنتظرينه منى بالضبط ؟

قالت فى ثقة :

— سأجعلك تندم على ماضيك الأسود.

ضحك قائلاً :

- أحقاً؟ وكيف سيكون هذا؟
- شعرت ببعض الغضب من سخريته ولا مبالاته فصاحت قائلة: -
- أعدك بأن تركع طالباً الصفح والغفران.
- هتف في تهكم قائلاً:
- ماذا؟ أركع طالباً الصفح والغفران، من تظنين ذاتك؟ إلهة أنت ولا أعلم؟
- أشاحت بوجهها في كبرياء قائلة:
- سنرى.
- أصابته ثقته الزائدة ببعض الدهشة، فقال محذراً:
- من تصيح إلهتى سيكون قتلها أول طقوسى!!
- قالت في لا مبالاة:
- وأنا لا يهمنى الموت، ما دمت سأحقق ما أريد.
- قال ساخراً:
- إن كانت علاقتنا قد أصبحت شرعية فى غفلة منى، فهذا لا يعنى شيئاً آخر.
- تجاهلت وقاحته قائلة فى مكر:
- هذه العصبية التى تتحدث بها، خير برهان على نجاحى.
- هز رأسه قائلاً:

— أيتها البلهاء ... لم تولد بعد المرأة التي تتحدى ممدوح سالم.

قالت ساخرة وقد راق لها توتره :

— ربما كنت نائماً أو سكيراً عندما ولدت هذه المرأة، لكنها

ولدت وأرغمتك على الزواج منها باعترافك أنت .. وها هي

تقف أمامك الآن .. تناطحك رأساً برأس، ولن تدعك أيها

الطاووس إلا وقد نزعت عنك ريشك هذا الذى تتباهى به.

ضاقت عيناه وهو يتأملها فى تهكم .. وما إن انتهت من

حديثها حتى استمر يضحك طويلاً قبل أن يضرب كفاً بأخرى ..

اقترب لينظر فى عينيها قائلاً : -

— وسأمنحها الآن نصراً آخر وأشاركها هذه المهزلة.

رفعت وجهها فى كبرياء ولم تعلق .. فأردف فى يقين المحترف

الذى يبارز طفلاً صغيراً :

— أعدك بأن يقتلك الشوق لى قبل أن تنتهى الأيام القليلة التى

سأمضيها معك هنا .. ستنتظرين بصبر نافد وقلب يتحرق

شوقاً .. تلك العطلة الأسبوعية التى تريننى فيها .. وكأنك

ولدت لهذه الأيام فقط.

التوت شفتها فى تهكم، بينما يتابع بنفس النبرة الواثقة :

— ستزحفين راضية إلى قفص حريمى يا ليلى، وتشعرين بزهو

تتعجبين له، لكونك الوحيدة التى حظيت بالزواج منى.

همت أن تعترض، لكنه حملها فجأة بين ذراعيه، فصرخت قائلة :

— ماذا تفعل ؟

طرحها على الفراش قائلاً :

— سنبدأ التحدى.

هتفت بصوت مرتجف :

— لم لا تتسم ببعض الرجولة وتتركنى حتى أزحف إليك كما تدعى ؟

ضحك ساخراً وهو يزداد اقتراباً منها قائلاً :

— رجولة !! أنا لا أرى فى هذا أية رجولة، بل حماقة لا تغتفر ..

\*\*\*

## ساحر النساء

فتحت ليلى عينيها فى كسل ما لبث أن تحول إلى خجل بالغ حين وقعت أنظارها على هذا الراقد بجوارها على الفراش، سحبت الغطاء وأحكمته حول جسدها المرتعد، تجمعت الدماء كلها فى وجهها وقد شردت أفكارها مرغمة إلى أحداث الأمس . ماذا أصابها وجعلها تستسلم له بهذا الشكل المهين وكأنها إحدى ساقطاته..؟ وهذا الوغد كم كان سعيداً بسذاجتها ..! كم كان مزهواً عندما أيقن بأنه الرجل الأول فى حياتها بالرغم من سنوات عمرها التى قاربت السادسة والعشرين ..!

لكن ما حدث بالأمس لن يتكرر أبداً، لن تتركه يسخر من تلك البلاهة التى أبدتها مرة أخرى ، لن تدعه...

قطعت أفكارها تلك الطرقات المتصلة على باب حجرتها، ارتعدت كزانية ضببت بالفحشاء وهى تستمع إلى صوت حماتها قائلاً:  
— استيقظى يا ليلى ، استيقظ يا ممدوح لقد وصل الضيوف.

زفرت بضيقها هو اليوم الثانى على التوالى لتلك الجلسات البغيضة التى ترغمها عليها تقاليدهم المتعفنة .. ترى كيف ستتحمّل أسبوعاً بأكمله على هذا المنوال؟

حانت منها التفاتة إلى ممدوح الذى ما زال يغط فى نوم عميق ،  
وكانه لم يسمع شيئاً ،

تنهدت بضيق تحدث نفسها :

— لماذا لم يستيقظ حين طرقت والدته الباب ؟

مدت أصابعها فى تردد لتمس ذراعه بلطف هامسة :

— ممدوح ... ممدوح استيقظ.

لكنه لم يتحرك قيد أنملة ، شددت من ضغطها على ذراعه دون جدوى ، تحولت لمساتها إلى ما يشبه اللكمات فى محاولة لإيقاظه لكنه لم يستيقظ، تحول ضجرها إلى زعر وراحت تتحسس نبضاته لتتأكد من كونه ما زال على قيد الحياة قبل أن تتمم فى تعب :

— يا إلهى نائم هذا أم قتيل ؟!

انتفضت حين ضحك ممدوح فجأة، نظرت إليه فى غضب قائلة :

— أنت مستيقظ إذاً ، لقد ظننتك فارقت الحياة.

تأملها قائلاً :

— لست من الحماقمة لأترك امرأة مثلك بعد ليلة واحدة، لكننى لم أعتد على الاستيقاظ هكذا.

— وكيف تستيقظ إذاً ؟ هل يضعون قنبلة تحت رأسك ؟

شهقت عندما جذبها إليه واستمر يقبلها فى نهم قائلاً :

— بل هكذا..

ابتلعت ريقها بصعوبة، وأبعدت خصلاتها للخلف قائلة :

— ومن هذه التى اعتادت أن توظك بهذه الطريقة ؟

عاد يضحك قائلاً :

— والدتى.

صاحت فى مزيج من البلاهة والاستنكار :

— مَنْ ؟ والدتك !!.. كيف ؟

تأمل حيرتها فى تهكم قائلاً :

— هلا أخبرتنى يا ليلى : أياً من أسلحتك استخدمت لاجتياز

كل هذه الاختبارات حتى حصلت على الماجستير ؟

قالت فى عنف :

— ماذا تعنى ؟

ابتسم قائلاً :

— أعنى اننى أشك فى أن يكون عقلك الصغير هذا سبباً فى

نجاحك المستمر.

صاحت غاضبة :

— أنت وقع.

همس قائلاً :

— وهل كان أساتذتك فى مثل وقاحتى ؟

رفعت يدها لتصفعه ، لكنه أمسك بها بقوة جعلت وجهها يحتقن  
بالدماء ، وترقرق الدمع فى عينيها وهى تهمس بصوت مختنق :  
— يدى تؤلمنى ..

قال محذراً وهو يتركها فى خشونة :

— إن أعدت هذه المحاولة مرة أخرى سوف أكسرها

\*\*\*

جلست ليلى ، وبين يديها كتاب تقرأه باهتمام بالغ ، حين  
دخل ممدوح إلى الحجرة وألقى عليها تحية أجابته بمثلها دون أن  
ترفع عينيها عن الكتاب الذى بين يديها .. فأردف قائلاً:

— هل تناولت الغداء ؟

أجابته بلا اكتراث قائلة :

— نعم.

— اعتدت تناول الطعام بمفردك.

تجاهلت إجابته ، واستمرت فى القراءة الصامتة ، مما أصابه  
بالجنون ، فانتزع الكتاب من بين يديها ، وألقى به أرضاً وهو  
يصرخ فيها قائلاً :

— عندما أتحدث إليك أتوقع أن أجد منك المزيد من الاهتمام ،  
لا أن يشغلك هذا الكتاب اللعـ... .

توقف عن صراخه حين وقعت عيناه على عنوان الكتاب  
فغمغم ساخراً :

— «الجريمة الكاملة»

ثم التفت إليها وابتسم قائلاً :

— هل تفكرين بقتلى ؟

صاحت فيه بغيظ قائلة :

— أعطني سبباً واحداً يمنعني من فعل هذا.

ابتسم وهو يتفحصها قائلاً :

— هل أنت على يقين من أنه لا يوجد سبب يمنعك من فعل هذا ؟

صاحت فى عصبية قائلة :

— لا تظن أن عضلاتك هذه ترهبنى، أنا لا أخاف أحداً.

اقترب منها هامساً :

— ومن قال إنه الخوف ؟

— وماذا سيكون إذا ؟

— الحب يا ليلى .

ضحكت فى استهزاء قائلة :

— الحب ... أنا أحبك أنت !!!

جلس واضعاً ساقاً فوق الأخرى قائلاً فى ثقة :

— نعم ... على أية حال لم يمض على زواجنا سوى أربعة أيام فقط، ما زال أماننا عشرة أيام كاملة قبل أن أسافر إلى الإسكندرية.

— ستكون أطول عشرة أيام فى حياتى، صدقت أو لم تصدق أيها المتعجرف.

— ربما تحتاجين إلى المزيد من الدروس لتعلم الحب، لكنك ستقرين بهذا قريباً.

— أنت تحلم بالمستحيل.

— لقد اعتدت أن أحصل على المستحيل، خاصة عندما يتعلق الأمر بالنساء.

زفرت بضيق قائلة :

— لماذا تركك أصدقاؤك اليوم مبكراً ؟

— لقد سافروا إلى الإسكندرية.

تنهدت بارتياح قائلة :

— حمداً لله، وأنت متى ستشعر بالملل مثلهم وترحل ؟

— لم يرحلوا شعوراً بالملل أيتها السليطة.

— ولماذا رحلوا إذاً ؟ هل اكتفوا من كرم والدك ؟

— لقد سافروا للانتهاء من بعض الأعمال وسوف يعودون مرة أخرى.

— وهل لمثل هؤلاء أعمال ؟

— ليس بيننا عاطل واحد، ربما لا نهتم بأعمالنا كما يجب،  
لكن لا أحد منا ينكر قيمة العمل.

ثم تأملها وأردف في مكر لم تفهم له سبباً :

— أحياناً يكون ملجأنا الوحيد.

— وما هي هذه الأعمال التي تنتظركم حتى تتعطفوا وتكرموا  
وتذهبوا لأدائها ؟

تنهد بصبر نافذ قائلاً :

— أشرف لديه مكتباً للديكور، يعتمد فيه على مجموعة مميزة  
من الخريجين ولا يتدخل بنفسه إلا عندما يستحق الأمر.

— ومتى يستحق الأمر ؟

— عندما يكون العميل ثرياً جداً، أو .....

توقف لحظات يتأملها قبل أن يردف في ابتسامة ماهرة :

— أو امرأة جميلة.

هزت رأسها ولم تعلق، بينما تابع حديثه قائلاً :

— عادل يعمل في شركة والده للاستيراد والتصدير، لا يريد  
والده أن يضغط عليه كثيراً، حتى لا يهاجر إلى أمريكا كما  
فعل شقيقه الأكبر.

— هذه نقطة ضعف والده إذاً، وأظن أن صديقك هذا يعرفها  
ويستغلها جيداً.

ابتسم ممدوح قائلاً :

— نعم، لكن هذا لا يمنع من كونه يحقق لوالده الكثير من الصفقات الرباحة، و التي لا ينجح فيها سواه.

تمتت ساخرة :

— بالطبع عندما يتعلق الأمر بامرأة، يبدو أن هذه الصفة مشتركة بينكم جميعاً.

ضحك ممدوح قائلاً :

— كيف تقولين إنه لا تأثير لى عليك، وهاهو عقلك قد بدأ ينضج سريعاً ؟

تجاهلت عبارته قائلة :

— ماذا عن باقى أصدقائك.

— لم يعد هناك سوى كمال.

ابتسم وهو يتذكر كمال قائلاً :

— كمال هذا هو أكثرنا جنوناً، طيب جداً إلى حد البلاهة، يهوى كتابة الشعر والروايات الرومانسية الحاملة، يؤمن بالحب والوفاء وأشياء كثيرة أخرى من هذا القبيل، لذا فقد أسس مجلة صغيرة وتولى الإشراف على الصفحة الأدبية فيها.

— وما الذى ضم هذا الأبله إلى مجموعة الحكماء أمثالكم ؟

ابتسم ممدوح قائلاً :

— كثيراً ما نسأل أنفسنا هذا السؤال، ولم نجد له إجابة حتى الآن، رغم كل شئ فهو له نكهة خاصة نحتاج إليها أحياناً.

غمغمت وكأنها اكتشفت شيئاً للمرة الأولى :

— يبدو أن جميعكم أثرياء.

أجابها وهو يتفرس في ملامحها :

— كنت تظنين أنني من يتولى الإنفاق عليهم أليس كذلك ؟

تجاهلت سؤاله قائلة :

— وماذا عنك ؟

ساد الصمت بينهما قليلاً قبل أن يتابع حديثه قائلاً :

— رغم أعمالي القليلة فأنا بشهادة الجميع .. أعظم من يبدع

تصميماً معمارياً، وهذا ما يجعل الكثيرين يصرون على أن

أتولى أعمالهم رغم عدم اهتمامي وتهربى الدائم منهم، ولا

ينجح فى دفعى للعمل إلا أكثرهم إلحاحاً.

ثم غمز بعينه قائلاً :

— أو جمالاً.

تأملته شاردة فانتهرها قائلاً :

— أين ذهبت ؟

قالت تقلد لهجته التهكمية :

— إلى والدتك ؟

ضحك قائلاً :

— أنصحك بأن لا تفكرى فيها كثيراً لئلا تصابى بالجنون.

قالت بسرعة :

— كم عرفت من النساء ؟

حذق فى وجهها قائلاً :

— إلى أى مدى تستطيعين العد ؟

تجاهلت تعليقه اللاذع قائلة :

— هل يعملن أيضاً ؟

نظر إليها فى تهكم قائلاً :

— يعملن !! نعم يعملن لدينا.

ثم أردف فى وقاحة :

— نحن شديدو السخاء معهن، وهن أيضاً يحرصن دائماً على

استحقاق ما نقدمه لهن.

غمغمت ساخطة :

— أنتم فاسدون

جذبها إليه قائلاً :

— أنتن من أفسدنا.

ضمها إليه فى رغبة، وحاولت إبعاده عنها دون جدوى،  
فصرخت فيه قائلة :

— ما تفعله بى يسمى اغتصاباً.

ابتسم ساخراً وقال :

— قاضينى إذاً أيتها المغامرة الجميلة، وأنا أضمن لك أن قضيتك  
ستكون قضية الموسم.

أردف فى مزيد من التسلية وهى تحاول جاهدة أن تدفعه عنها :

— زوج يغتصب زوجته، يا لها من قضية ..! خاصة لكونها فى  
هذه القرية ولكونى أنا هذا الزوج.

\*\*\*

مضت الأيام القليلة التالية كالحلم، لا تدرى كيف توطدت العلاقة  
بينهما إلى هذا الحد ..؟! ولا لماذا لم تعد تشعر بهذا الندم الكبير  
الذى كان يلازمها طيلة الأسبوع الماضى ؟ ما الذى أغراها بالتخلص  
من أدوية منع الحمل التى أحضرتها معها ..؟! بل ووضع فى  
عقلها رغبة ملحة فى إنجاب طفل منه مهما بلغت العواقب ..!

خرج ممدوح من الحمام وهو يجفف وجهه بالمنشفة، اقترب  
منها وطبع على شفيتها قبلة ناعمة قائلاً :

— صباح الخير يا عروسى الجميلة.

ابتسمت قائلة :

— صباح الخير، لماذا استيقظت مبكراً رغم انتهاء الحصار؟

بادلها الابتسام قائلاً :

— يبدو أننى اعتدت هذا.

طرقات خفيفة على باب الحجرة ثارت ليلى لها فى حنق قائلة :

— كلا، لا مزيد من المهنئين، ليس اليوم أيضاً، ألم تقل والدتك إن الأمس كان اليوم الأخير لهذه المراسم ؟

بادلها ممدوح سخطها وهو يتجه إلى الباب قائلاً :

— يبدو أن الوقت قد حان لبعض الطيش.

طالعه وجه والدته فابتدرها قائلاً :

— لن نقابل اليوم أحداً، مهما بلغ شأنه، نحن نحتاج إلى راحة أسبوعية على الأقل.

لكزته والدته فى مرح قائلة :

— أيها السليط، والدك يسأل إن كنتما ترغبان فى تناول الفطور معنا أم بمفردكما ؟

أجابها بسرعة :

— بمفردنا بالطبع

أقبلت ليلى فى تلك اللحظة، وعلى شفيتها ابتسامة واسعة، فاحتضنتها المرأة فى سعادة قائلة :

— مرحباً بالبدر الذى أضاء منزلنا.

ثم التفتت إلى ممدوح، وابتسمت فى مكر قائلة :

— معك حق يا ممدوح.

ضحك وهو يضم ليلى إليه قائلاً :

— أليس كذلك ؟

شعرت ليلى بالخجل رغم كونها لم تفهم ما يحدث ، وما إن انصرفت المرأة حتى نظرت إلى ممدوح فى تساؤل فقبلها صامتاً

\*\*\*

— هل أعجبك الشاى ؟

— كل ما فيك يعجبني يا ليلى.

شردت فى حنين قائلة :

— كان فؤاد يفضله دائماً من يدى.

أحاطها بذراعه قائلاً :

— عندما يعود من سوهاج سنذهب لزيارته.

— أحقاً يا ممدوح ، هل ستذهب معى إلى منزله ؟

— يسعدنى دائماً أن أكون برفقة زوجتى الجميلة.

قبلت وجنته فى سعادة ، لكنه أدهشها حين صاح بها متنصعاً  
الغضب :

— أنا لست فؤاد.

— ماذا حدث ؟

— ما هذه القبلة الفاترة ؟

ضحكت قائلة :

— هذا ما أجيده.

جذبها إليه قائلاً :

— أنت تتعلمين ببطء شديد ، لكننى مصرُّ على تعليمك يا ليلى.

عاد الطرق على الباب من جديد فقال ممدوح بضيق :

— احزمى حقائبك.

نظرت إليه فى تساؤل فتابع قائلاً :

— سنذهب إلى أى مكان هادئ لنبدأ فيه شهر غسل حقيقي لا يزعجنا فيه أحد.

ما كادت ليلى تشعر بالسعادة حتى طالعها وجه سعدية المضطرب ليوقظ فيها قلقاً ظنت بأنها دفنته للأبد .. نظرت إليها الفتاة وكأنها تريد أن تخبرها شيئاً .. لكنها بدلاً من ذلك وجهت حديثها إلى ممدوح قائلة :

— لقد وصل أصدقاؤك يا سيدى و يريدون رؤيتك.

التفت إليها، وكأنه نسى ما وعدها به للتو، قائلاً :

— عذراً يا ليلى ، سأضطر إلى تركك الآن،

ارتدى ملابسه فى سرعة البرق، واتجه إلى الباب، لكنه عاد فاستدار إليها قائلاً :

— لماذا لا تأتين معي ؟ فهم فى غاية الشوق للتعرف عليك ،

ابتسمت فى شحوب قائلة :

— أحقاً ؟ سأبدل ملابسى وألحق بك ،

بالرغم من كونه أغلق الباب فى هدوء هذه المرة ، فقد شعرت بصوت ارتطامه وكأنه صفة قوية توقفها من حلم عميق ، بل من غيبوبة أخذتها لعالم آخر ، صرخت بلا وعى تنادى سعدية وما إن جاءتها حتى حاولت التحكم فى انفعالاتها قائلة :

— هناك ما تريدين إخبارى به يا سعدية ؟

صمت الفتاة وهى تنظر إليها فى ارتباك ، فصاحت بها فى نبرة لا تخلو من العصبية :

— تكلمى يا سعدية ، ماذا حدث ؟ أشعر بأن هناك شيئاً تخفينه عنى .

تلعثمت الفتاة قائلة :

— لقد حضر أصدقاء سيدى .

نظرت إليها ليلى فى ضيق ، فتابعت بصوت مرتجف :

— ونجوى معهم

سألتها ليلى فى قلق حاولت إخفائه :

— من هى نجوى ؟

— امرأة لعوب تلاحق سيدى أينما ذهب .

حاولت ليلى التحكم فى انفعالاتها بينما استمرت الفتاة فى  
الثرثرة قائلة :

— إنها امرأة خليعة، سيدى الكبير لا يحبها ولا سيدتى أيضاً.

صاحت ليلى فى عصبية :

— ولماذا لا يعترضان إذاً على وجودها ؟

— خوفاً من غضب سيدى ممدوح، فهو حين يغضب لا .....

قاطععتها ليلى بصوت مختنق قائلة :

— اذهبى أنت الآن.

داهمتها رغبة عارمة فى تحطيم كل شئ حولها، تعجبت لهذا  
الكم الهائل من الغضب الذى اجتاحتها كالسيل، من المفترض  
أنها على علم بكل ما يحدث مسبقاً .. راحت تفسر ما تشعر  
به بأنه ثورة لكرامتها الجريحة، ماذا سيقول الناس ولم يمض  
على زواجهما سوى أيام قليلة ..؟ ماذا عليها أن تفعل الآن ؟ هل  
ترتدى أفضل ما لديها وتذهب لمواجهة تلك الغريمة المجهولة  
؟ لا شك أن هذه المرأة هى العشيقة التى يتحدثون عنها، ترى  
ما مدى تعلق ممدوح بها بعد كل هذه السنوات ؟ ماذا سيفعل  
إذا طردتها من المنزل؟ هل تخيلت أنه سقط فى غرامها بالفعل  
فى هذه الأيام القليلة ؟ كان يشبع غريزة حيوانية لا يملك سواها  
!.. لقد تناسى فى لحظة شهر العسل المزعوم ما إن سمع بقدمهم  
من جديد، هل كان يعلم بوجودها معهم ؟ سمعت كثيراً بأنها  
تلازمه كظله ..

لكنه الآن أصبح زوجاً، هذه المرأة لا يحق لها أن تأتي إلى منزلها وتشاركها فيه بعد أسبوع واحد من زواجها ..! سوف تدافع عن حقها فيه، بل عن كبرياتها وكرامتها وليس عنه هو، فليذهب للجحيم، ولكن ماذا لو استفزه الأمر؟ ماذا لو كان هو من دعاها للحضور؟

ربما أهانها أمام الجميع بمن فيهم هذه الساقطة، ربما انقلب البيت بأكمله رأساً على عقب، المؤكد هو أن الأمر سينتهي بفضيحة كبيرة تصيبها هي قبل أن تصيب سواها.. عليها أن تتريث وتعيد التفكير من جديد بلا توتر ولا انفعال، ولكن كيف هذا، من أين لها بالهدوء؟

\*\*\*

## الغريمة

ما إن دلف ممدوح إلى الغرفة التي يقيم بها رفاقه حتى ابتدرهم  
فى مرح قائلاً :

— لماذا تأخر.....

قطع عبارته فجأة عندما وقع بصره على نجوى التي جلست  
على حافة الفراش تحديق فى وجهه وعيناها يتطاير منهما الشرر،  
ابتسم قائلاً :

— حمداً لله على سلامتک

قالت بعد تنهيدة طويلة :

— عجباً، لا تبدو مهموماً ولا حزيناً ..!

اقترب منها قائلاً :

— أهذه هى أمنيتك لى بعد تلك الغيبة الطويلة ؟

تجاهلت ما قاله صارخة فى غضب وغيره لم تستطع إخفاءهما :

— يبدو أن هذه القروية تروق لك.

تأملها قائلاً :

— لن أغضب من تجاهلك واستقبالك البارد لى، فأنا أشعر بما تعانين.

صاحت به فى لوعة :

— تشعر... أى مشاعر هذه التى تتحدث عنها ؟

صاح بصبر نافذ :

— نجوى، تعلمين أننى لن أحتمل كثيراً.

صرخت فى غضب :

— لا تحتمل منى مجرد الكلمات، بينما تطالبنى بتحمل أفعالك التى لا تطاق.

بادلها غضبها قائلاً :

— تعلمين جيداً كيف تمت هذه الزيجة، فلم هذه الثورة ؟

انهارت قائلة :

— الآن وقد رأيتك، أعلم جيداً أنك خدعتنى، لقد كذبت على لكى تمتص غضب...

قاطعها فى ثورة مماثلة قائلاً :

— كذبت عليك !! تعرفين جيداً أننى لا أكذب أبداً، لأننى لا أخاف أحداً .

تدخلت سميرة فى حديثهما قائلة :

— مهلاً يا نجوى، لم نأت إلى هنا للعراك.

لاحظ ممدوح وجودها للمرة الأولى فابتسم قائلاً :

— مرحباً سميرة، كيف حالك ؟

ابتسمت فى مكر قائلة :

— بخير، ويبدو أنك أنت أيضاً بخير.

زفر بضيق قائلاً :

— ما بالكما أنتما الاثنتين ؟ كيف كنتما تتوقعان رؤيتى ؟ أمزق

ملابسى وأضفر لحيتى فى أسبوع واحد ؟

تهددت نجوى بضيق، وعيناها لا تفارقان وجهه، بينما أردفت

سميرة :

— ليس بالضبط، لكنك تبدو وكأنك أتيت من الجنة.

نظر إليهما قائلاً فى تهكم :

— عفواً إن كنت لا أجد البكاء .

سميرة هى الأخت الصغرى لأشرف، و لكونها الفتاة الوحيدة بين شقيقين فقد نالت من التدليل ما يكفى ويفيض، حتى إنها تزوجت فى سن مبكرة جداً من شاب تافه لا يعبأ إلا بثروة والدها .. لكنها أصرت على الزواج منه رغم أنف الجميع، هددت بالتخلص من حياتها ما لم يرضخوا لمطلبها ويقبلوا به زوجاً، بل إنها تناولت بالفعل بعض الأقراص التى كادت أن تقتلها لولا أنهم سارعوا بإسعافها، وما إن تعافت حتى استسلمت الأسرة لإرادتها خوفاً من أن تكرر فعلتها مرة أخرى، ولم يستمر

زواجها طويلاً، فبعد أقل من ثلاثة أشهر ظهرت النوايا السيئة لهذا الزوج، فعادت إلى أهلها تبكى كعادتها كلما أرادت شيئاً، تدخلت الأسرة للتفاوض مع هذا الوغد حتى استطاعت بصعوبة أن تطلقها منه . استجابت بعد فترة لضغوط والديها، ووافقت على الزواج من شاب ثرى، تجمع بين والده ووالدها أعمال مشتركة، لكنها طلقت أيضاً للمرة الثانية بعد فترة وجيزة، حيث يبدو أن زوجها لم يحتمل فرط دلالتها وعدم إحساسها بالمسؤولية.

توطدت علاقة سميرة بنجوى عندما كان أشرف يرسم لوحة زيتية لهذه الأخيرة، التى كانت وقتها فى قمة جمالها ونضارتها مما جعل أشرف يستغرق أكثر من خمسة أشهر للانتهاء من هذه اللوحة، حاول خلالها إغواء نجوى وإسقاطها فى شبابه بشتى الطرق دون جدوى حتى اقتنع أخيراً بحتمية كونها زوجة ملتزمة لا ترغب فى خيانة زوجها بالرغم من سنوات عمره التى تخطت الستين عاماً . وما إن رأى عادل الصورة التى رسمها أشرف لنجوى حتى جن جنونه بها، وصمم على الوصول إليها بأى ثمن، لكنه فشل أيضاً كما فشل أشرف من قبل، فزاد ذلك من يقينهما بوفائهما لزوجها الكهل.

وعندما علم ممدوح بالأمر، سخر من يقينهما، وقرر أن يدخل بنفسه فى هذه التجربة قائلاً:

— من الواضح دون أن أرى هذه الجميلة التى تحكيان عنها أنها تزوجت هذا الكهل من أجل ماله، ومن باعت نفسها مرة، فما أيسر أن تبيعها مرة أخرى .

فى أحد النوادى الرىاضية حيث يجلسون قرر أن يبدأ مغامرته  
فجذب رفاقه إلى أحد الموائد القربية منها، وهتف بصوت يصل  
إلى مسامعها :

— إنها أجمل كثيراً من الصورة التى رسمتها لها يا أشرف،  
يبدو أنك كنت طالباً فاشلاً .

اكتفت يومها برفع عينيها عن المجلة التى تقرؤها لتلقى عليه  
نظرة عابرة، بينما ابتسمت لأشرف ابتسامة ناعمة عادت بعدها  
إلى النظر فى مجلتها وكأن شيئاً لم يكن .

هتف ممدوح فى طرب :

— عذرك أيها الأحقق أن هذا الجمال لا يبدعه إلا الله وحده .

وحين تمادى ممدوح فى مغازلتها، تركت النادى وذهبت،  
مما أثار استهزاء أشرف وعادل، لكنه أجابهما فى يقين قائلاً :

— هذه المرأة لى ..

كان ممدوح قد اعتاد بما له من وسامة وجاذبية أن يحصل  
على ما يريد دائماً، النساء والفتيات اللواتى يتهافتن عليه،  
رغم علمهن بكونهن لسن أكثر من نزوة عابرة ومغامرة مؤقتة  
فى حياته، زدن من غروره وثقته بنفسه إلى حد بعيد . ويبدو أن  
نجوى قد علمت بذلك فلم تستسلم له بسهولة، وكلما ازدادت  
دلالاً ازداد هو رغبة فيها وإصراراً على النيل منها.

استمر الأمر طويلاً، حتى شعر رفيقاه بالضجر، وأخبرا ممدوح  
بأن لا لوم عليه إذا تركها وبحث عن أخرى .. خاصة وأن الشئ

نفسه قد حدث معها .. لكنه عاد وأقسم على النيل منها، فهو لن يسمح لامرأة بأن تهزمه مهما بلغ فرط جمالها ودلالها . وبالفعل لم يمض وقت طويل بعد هذا القسم حتى سقطت نجوى فى عشقه كالبلهاء، وهامت به حد الجنون، فلم تعد تطيق زوجها الكهل الذى لاحظ نفورها منه فأخذ يضيق الخناق حولها حتى قررت أن تطلب الطلاق، وشجعها ممدوح على ذلك، ووعدا بأنه لن يبخل عليها أبداً، فهو ثرى جداً ويستطيع أن ينفق عليها بسخاء أضعاف ما ينفقه هذا الكهل، فما المبرر لهذه الزيجة الكريهة التى تحصى عليهما أنفاسهما ؟

منذ ذلك الحين ونجوى تلازمه كظله فى معظم الحفلات والمناسبات التى يظهر فيها، وأطلق عليه رفاقه لقب الزعيم الذى لا يقهر، وهو، إمعاناً فى إظهار سطوته عليها وتمكنه منها، كان يدلى لهما بأدق التفاصيل التى تحدث بينهما حتى فى الفراش .. لكنه كان يرفض رفضاً باتاً أن يشاركه فيها أحد مثلما يحدث مع الأخريات .

لم يمض وقت طويل حتى ضاقت نجوى بعلاقات ممدوح النسائية المتعددة فثارت واعترضت .. تارة بالتهديد وتارة بالدلال حتى أيقنت أخيراً بأنه لن يكتفى بها مهما بذلت من أجله، لقد أخبرها منذ البداية بأنه لن يتزوج أبداً، لكنها أطاعته أملاً فى أن يأتى اليوم الذى لا يستطيع فيه الاستغناء عنها فيتزوجها صاغراً .

قررت يوماً أن تهجره حتى ينصلح حاله، بل تمادت فى دلالها وطلبت منه أن يتزوجها وإلا فهى لن تعود إليه أبداً، وشعرت بخيبة الأمل القوية حين تجاهلها، وهو على يقين من أنها سوف تعود إليه، فهو يعلم مدى عشقها الشديد له، وإن

كان عنادها الآن يمنعها من العودة إليه ، فإن عشقها له سيرغمها على ذلك عاجلاً أم آجلاً .

حضرت نجوى الحفل الذى أقامته سميرة بمناسبة عيد ميلادها بدعوة منها، حاولت الرفض لكن رغبتها القوية فى رؤية ممدوح أرغمتها على القبول، فهو سوف يسعى إلى عودتها إليه بلا شك، مستحيل أن يكون قد نجح فى نسيانها بتلك السهولة، ربما لم يعشقها بعد لكنه يكن لها إعجاباً شديداً، يمكنها أن تجزم بهذا .. !

ارتدت أحلى ما عندها وتزينت بأبهى المساحيق والحلى، جذبت كل العيون إليها، بينما تعلقت عيناها بالباب تنتظر حضوره، حتى ظهر أخيراً بأناقته البالغة وابتسامته الساحرة، وتلك الأخرى التى تتأبط ذراعه هائمة، نظرت إليه فى عتاب لكنه أبعد وجهه عنها وكأنه لا يعرفها، سقط الكأس من يدها وتحجر الدمع فى عينيها، استدار إليها الجميع يحاولون التخفيف عنها وبقي هو جالساً على الأريكة يدخن سيجارة ويتحدث إلى رفيقته وكأن الأمر لا يعنيه.

شعرت سميرة بشفقة بالغة على نجوى وعاد قول أشرف يطن فى أذنيها «ممدوح يبدل النساء كما يبدل أحذيته» حمدت الله على تلك الصداقة التى تربطه بأشرف، والتى منعه من الاستجابة لتوددها إليه ذات يوم .. أسرعت تلحق بنجوى التى اتجهت إلى إحدى الغرف الجانبية وانفجرت تبكى فى هستيريا .

عادت إلى أخيها تستنجد به وتطلب منه التدخل والتحدث إلى هذا المستبد الذى فاقت قسوته الحد، نجوى لا تستحق منه

ذلك بعد كل ما فعلته من أجله .. عاد إليهما أشرف بعد قليل  
بصحبة ممدوح الذى ما إن تنبهت نجوى إلى وجوده حتى ازداد  
نحيبها ولوعتها فى حين ابتسم هو قائلاً :

— إذا كان وجودى يضايقك إلى هذا الحد يمكننى الذهاب.

ازدادت نجوى نحيباً، بينما لكمته سميرة فى عتاب قائلة :

— كف عن سخافتك يا ممدوح.

ثم أردفت وهى تدفعه نحو نجوى قائلة :

— هيا قدم فروض الولاء والطاعة.

اقترب ممدوح من نجوى ورفع وجهها إليه، أشاحت بوجهها  
بعيداً تحاول أن تخفى دموعها المنهمرة، ضمها إليه وطبع على  
شفتيها قبلة طويلة حتى تنحى أشرف قائلاً :

— كفى أيها الزعيم، سميرة ما زالت فى الحجرة .

ابتسم الأخير وهو يلف خصر نجوى بذراعه قائلاً فى تهكم :

— يا إلهى، لقد نسيت أن أختك بكر.

هتفت سميرة فى استنكار قائلة :

— يا لك من وقح يا ممدوح.

ثم التفتت إلى نجوى وأردفت :

— أهذا من كنت تذرفين الدمع من أجله ؟

ضحك الجميع، حتى نجوى التى التفت إليها ممدوح قائلاً :

— سأذهب نصف ساعة على الأكثر، ثم أعود إليك كى نكمل  
السهرة معاً.

تعلقت بذراعه قائلة :

— أين ستذهب ؟

ابتسم قائلاً :

— لن أهرب منك، سأتخلص من رفيقتى ثم أعود إليك.

هتفت فى غيرة لم تستطع إخفاءها :

— من هى هذه المرأة ؟

— إنها سكرتيرة جديدة تعمل لدىّ فى المكتب.

نظرت إليه والشرر ينطلق من عينيها .. فأردف فى مكر :

— فتاة موهوبة جداً، وتعمل على إرضائى بكل الطرق.

لكمته ساخطة :

— أنت لا تضيع وقتك أبداً.

ابتسم ساخراً :

— لا أحب أن أكون وحيداً .. خاصة فى المناسبات .

\*\*\*

تنبهت ليلى من شرورها، وأسرعت تجفف عبراتها المنهمرة عندما  
دلف ممدوح إلى الحجره، ونظر إليها فى تساؤل فأمسكت برأسها قائلة :

— لدى مغص شديد.

ضحك وهو ينظر إليها قائلاً :

— كنت أظن أن المغص يصيب البطن لا الرأس، أم أنه نوع جديد من المغص ؟

أشاحت بوجهها قائلة :

— إنه الصداع.

نظر إليها فى ريبة قائلاً :

— مغص أم صداع ؟

— الاثنان معاً، أرجوك اتركنى الآن وحدى.

تنهد بعمق، وقد أدرك تقريباً ما يصيبها، لكنه لم يقل شيئاً، اتجه إلى خزانة ملابسه وأخرج منها سترة أنيقة للسهرة فهتفت فى انفعال :

— أين ستذهب ؟

قال دون أن ينظر إليها :

— ليلى .. هناك بعض الأسئلة التى لا أحب أن أسمعها، على رأسها هذا السؤال.

اتسعت عيناها وهى تنظر إليه فى شئ من الصدمة، كيف استطاع أن يخدعها برومانسيته الزائفة ورقته المصطنعة طيلة الأيام الثلاثة الماضية، ماذا حدث لها ؟ هل ذهب عقلها لتصدق مستبد مثله ؟ ما هذا الضعف الذى يسرى بأوصالها ويخدر مشاعرها ويسلبها القدرة على رد إهانتته !؟

انتهى من ارتداء ملابسه وراح يصف شعره فى عناية زادتها  
غضباً، جلست تتأمله صامتة، عطره الّثمين كاد أن يخنقها ،  
حتى الدبوس الصغير فى رابطة العنق لم يهمله، فكيف أهمل  
مشاعرها بهذا الشكل ؟

قالت أخيراً بصوت حاولت أن تجعله ساخراً بقدر استطاعتها،  
لكنه خرج رغماً عنها مختنقاً تطل الغيرة واضحة مع كل حروفه :

— هل أنت ذاهب إلى حفل زفاف ؟

قال دون أن ينظر إليها :

— أأست عريساً بالفعل ؟

أجابته وهى تحاول أن تتحكم فى انفعالاتها الثائرة :

— عجباً كونك تتذكر هذا، وتنسى كوني العروس ؟

التفت إليها وظل يتأملها قليلاً قبل أن يقول فى نبرة بدت  
حانية بعض الشئ :

— هل تريدن المجيء معى ؟

حدقت فيه بعينين أنهكهما الدمع قائلة :

— هل ستذهب بمفردك ؟

زفر بضيق قائلاً :

— يبدو أن أسئلتك لن تنتهى يا ليلى، هل ستأتين معى أم لا ؟

لم تكن فى حاجة إلى إجابة لسؤالها الأبلى ، كانت على يقين من أنه سيخرج للنزهة برفقة هذه المرأة ، فلماذا يحتاج إليها إذاً؟ هل يريد أن تتعامل مع وجود هذه الساقطة فى حياته كأمر حتمى ؟ أهو فى حاجة إلى المزيد من الغطسة ليجمع بين زوجته وعشيقته على المائدة نفسها ؟ وبعد أسبوع واحد من الزواج !!

استيقظت من شرودها حين انتهرها قائلاً :

— ليلى ، لماذا سكت ؟ هل ستأتين معى أم لا ؟

هزت رأسها فى عصبية قائلة :

— لا أستطيع ..... لا أستطيع .

أربكتها عيناه التى تسمرت على وجهها فتابعت :

— أخبرتك أننى متعبة .

غمغم فى تهكم :

— نعم ، لديك صداع فى بطنك ، و مغص فى رأسك .

قال وهو يستعد للمغادرة :

— سأضطر للذهاب وحدى إذاً .

هتفت دون وعى :

— لا أظن هذا ، معك من الصحبة ما يكفى .

نظر إليها وقد أيقن سر تحولها وثورتها ، أخبرتها سعيدة إذاً ..

اتجه إلى الباب قائلاً فى قسوة :

— اخلدى للنوم يا ليلى ولا تنتظري عودتى ، فربما أتأخر لوقت طويل.

لكنه ما كاد يصل إلى الباب حتى وجدها ترتدى بين ذراعيه وهى تنتحب قائلة :

— كلا ، ابق معى ، ليس عدلاً أن تذهب وتتركنى هنا مريضة.

ضمها إليه وقبل رأسها فى حنان لم يستمر طويلاً .. بل عاد ليقول فى قسوة من جديد :

— يمكن فى هذه الحالة أن تكون سعيدة أكثر نفعاً منى.

أسرع يغادر الغرفة ربما هرباً من دموعها التى انهمرت وهى تحددق فى وجهه ولا تصدق هذا الكم من القسوة التى ليس لها ما يبررها ..!

ما إن أغلق الباب خلفه حتى كاد الصداع يفتت رأسها ، والمغص ينهش أحشائها بالفعل وكأنها كانت تتنبأ بالمرض فأطلقت لجنونها العنان وراحت تنتحب فى هستيريا ، ماذا حدث لها ؟ لم كل هذا الألم الذى تشعر به ؟ لم الغضب ؟ لم الغيرة ؟! كان زواجها منه وسيلة وليس غاية ، تجربة وخطوة فى طريق مستقبلها ليس إلا ، كانت تعلم أنه ليس أكثر من منحل فاسد ، تركها تجن وذهب ليتنزه مع أخرى وربما يعود بصحبة امرأة ثالثة. هتفت فى لوعة :

— كلا .... كلا ، ليس هذا الرجل يا قلبى ، ليس هذا الرجل.

\*\*\*

همست نجوى ، وهى تميل على ذراع ممدوح فى دلال :

— حبيبى .. ماذا بك ؟

تصنع ابتسامة قائلاً :

— هل تريدان الرقص ؟

أومأت برأسها فى سعادة وهى تنهض لتراقصه ، لكنها لاحظت شروده من جديد فعادت تهمس :

— ممدوح ... يبدو أننى حسدتك هذا الصباح ، أنت مهموم جداً .  
ابتسم قائلاً :

— أليس هذا ما ترغبين به ؟

صاحت مستنكرة :

— ليس وأنت معى .

عاد لصمته من جديد ، فثارت غاضبة :

— يبدو أنك لم تعد تشئاق إلى ، فأنت حتى لم تقبلنى منذ وصولى .

ضحك وهو يقربها منه قائلاً :

— أهذا ما يغضبك ؟

أجابته فى مرارة :

— لم أعتد هذا التبلد منك نحوى .

طبع على شفيتها قبلة طويلة ثم همس قائلاً :

— أما زلت غاضبة ؟

ضحكت قائلة :

— قليلاً .

عاد يقبلها من جديد هامساً :

— دعينا نمتص هذا القليل إذاً .

ضحكت بعد فترة قائلة :

— كفى ، لقد انتقلت مساحيقى إلى وجهك .

عادا إلى المائدة حيث يجلس كمال ولحق بهما أشرف بعد قليل ، بينما استمر عادل يراقص سميرة فى وصلة أخرى .. استأذنتهم نجوى فى الذهاب إلى دورة المياه لإصلاح أصباغها فمال أشرف على ممدوح هامساً :

— احذر يا زعيم ، فأنت الآن رجل متزوج .

ابتسم ممدوح فى لامبالاة قائلاً :

— وزوجتى تعلم ما أفعله وتزوجتنى راضية .

— هذا لا يعنى أنها لن تغضب إذا علمت بأمر هذه القبلات الساخنة .

أخذته الحديث عن ليلى إليها ، وعجز هذه المرة فى التحرر من هذا الشعور الذى يملؤه حنيناً إليها ، ويدفعه دفعاً إلى البقاء حيث تكون .. فوجد نفسه يهتف بلا وعى :

— أشرف، عندما تعود نجوى من الحمام، أرجو أن تطلب منا  
الرحيل متعللاً بأى شئ.

صاح أشرف مستنكراً :

— مستحيل، ربما تقتلنى نجوى.

ثم حدق فيه قائلاً فى مكر :

— يبدو أنها جميلة بالفعل، مضى أسبوع كامل ولم يصبك السأم منها.

تنهد ممدوح قائلاً :

— ليس الأمر هكذا، لقد تركتها مريضة.

قبل أن يعلق أشرف على ما قاله، عادت نجوى إلى المائدة

وهى تبتسم قائلة :

— هل تأخرت عليكم ؟

بادلها ممدوح الابتسام صامتاً، ثم عاد ينظر إلى أشرف، ويحثه

على فعل ما طلبه منه، ولكن الأخير هز رأسه فى رفض قاطع، مما

دفع كمال للتدخل فى محاولة لتقديم المعونة فقال وهو يتشاءب :

— أشعر برغبة ملحة فى النعاس، دعونا نعود إلى المنزل....

وقبل أن يكمل جملته انفجرت فيه نجوى قائلة :

— عد بمفردك إن شئت.

بدت الصدمة واضحة على وجه كمال كمن تلقى دشاً بارداً ..

ابتسم أشرف وهو ينظر إلى ممدوح الذى ابتسم مرغماً، نظر كمال

إلى نجوى قائلاً :

— لماذا هذه الثورة ؟

نظرت إليه فى ثورة أشد قائلة :

— ما يجرى فى عروقتك ليس ماءً فقط ، بل ماءً مثلجاً أيضاً.

تصاعدت الدماء إلى وجه كمال قائلاً :

— نجوى هذا يكفى.

التصقت بممدوح قائلة :

— أتعلم منذ متى لم أر ممدوح ؟ منذ أكثر من شهرين ، لو

كنت تشعر بمقدار شوقى إليه لما تفوهت بمثل هذه الحماقات  
وطلبت منا الرحيل وسهرتنا لم تبدأ بعد .

قال كمال محاولاً الدفاع عن نفسه :

— اعذرينى يا نجوى ، ما قلت ذلك إلا شفقة على زوجته  
المریضة.

ضاقت عينا ممدوح وهو ينظر إلى كمال فى ثورة مكبوتة ..

بينما نظرت إليه نجوى قائلة فى حدة :

— أحقاً ما يقوله ؟

أجابها باقتضاب :

— نعم

صاحت فى ضيق :

- أهذا ما يجعلك مهموماً هكذا ؟
- تنهد وهو يخرج علبة سجائره صامتاً، فعادت تسأله من جديد :
- مما تشكو جلالتها ؟
- أشاح بوجهه ساخطاً فأردفت فى عصبية :
- هل شارفت على الموت ؟ لماذا الضيق إذاً أليس هذا ما نريده ؟
- قال محذراً :
- نجوى ... يكفى هذا
- لكنها لم تصمت، بل تجرعت كأسها دفعة واحدة، وصاحت فى انفعال قاتل :
- ألم تستطع تحملك أكثر من هذا ؟ أسبوعاً واحداً فقط .. كم سنة تحملتها أنا.... ولم ألمس خلالها حنانك هذا الذى تولد فجأة !!
- زفر ممدوح بضيق قائلاً فى لهجة يملؤها التحذير :
- كاد جنونك أن ينتقل إلى يا نجوى .. اخفضى صوتك.
- انهارت باكية وهى تهتف فى لوعة :
- الجنون هو ما فعلته من أجلك، لقد ضحيت بكل شئ لمن لا يستحق.
- قال ساخطاً :
- لقد سئمت حديثك عن التضحية، تعلمين جيداً أنك لم تخسرى شيئاً يذكر، إن كنت تريدين الزواج من كهل ثرى،

أخبريني بذلك، وغداً سوف أحضر لك زوجاً أكثر ثراءً من هذا الذى ضحيت به من أجلى.

تدخل عادل الذى جاء للتو بصحبة سميرة قائلاً وهو يتصنع ابتسامة :

— ماذا حدث ؟ صراخكما وصل إلينا رغم الموسيقى الصاخبة.

تنهد أشرف قائلاً :

— لاشئ يستحق كل هذا.

أخذت نجوى تنتحب بصوت مرتفع جذب إليهم أنظار رواد الملهى، فاقترب منها أشرف قائلاً :

— هيا بنا يا نجوى لنعود إلى المنزل.

أزاحته فى عنف قائلة :

— كلا، لن أذهب معكم سأعود إلى الإسكندرية.

همس عادل قائلاً :

— حسناً تعالى الآن معنا، وغداً سأوصلك بنفسى إلى الإسكندرية.

صرخت فيه قائلة :

— كلا، سأسافر الآن، وبمفردى، اتركونى وشأنى.

التفتت سميرة إلى ممدوح الذى جلس يدخل سيجارته صامتاً،

وصرخت فيه مستنكرة :

— أألن تفعل شيئاً ؟

ألقى بالسيجارة أرضاً، وراح يسحقها بقدمه ، قبل أن يتوجه إلى  
نجوى فى صبر نافذ قائلاً :

— هيا بنا يا نجوى

صرخت فيه قائلة :

— ماذا تريد منى ؟ اذهب إلى هذه القروية التى سلبتكَ عقلك  
فى أسبوع واحد.

جذب ذراعها، وهو يضغط على أسنانه محذراً، لكنها أزاحتها  
فى حدة صارخة :

— ابتعد عني، لا أريد أن ....

صرخت حين صفعها بقوة قبل أن يجذبها خارج الملهى غير  
مبال بصيحات الاستنكار التى أطلقها رواده، بينما راحت سميرة  
تلكمه فى ضيق صارخة :

— أهذا ما استطعت فعله ؟ هل جننت ؟

استدار إليها بعينين ناريتين، فالتصقت بأشرف فى فزع قائلة :

— لن أركب معه فى سيارته.

ابتسم أشرف قائلاً :

— يبدو أن العنف هو الدواء الأمثل للنساء جميعاً.

\*\*\*

لم يستطع ممدوح أن يحتفظ بصلابته أكثر من هذا وهو ينظر إلى ليلي التي استغرقت في نوم مضطرب، تنتابه موجات من التشنج تفصح عما تعانيه من ألم شديد وثورة عارمة، استيقظت عندما مست أصابعه وجنتها لتمسح عنها عبراتها التي انسابت دون وعى منها، جلست على فراشها وتعلقت حواسها بوجهه وهو يبتسم في حنان هامساً :

— أما زلت تعانين من الصداع والمغص ؟

عادت دموعها تنهمر من جديد وهي تتعلق به هامسة :

— هل عدت من أجلى ؟ قل إنك لم تستطع أن تتركنى وحدى.

فأخرج منديله هامساً :

— بالله عليك، كفى دموعاً.

تسمرت عيناها على المنديل وهي تغمغم قائلة :

— ما هذا ؟

ألقي على منديله نظرة عابرة ثم ما لبث أن نهض قائلاً فى لا مبالاة :

— أحمر شفاه.

التفتت إليه مستنكرة لتلك اللامبالاة التي يتحدث بها، لكنه راح يبدل ملابسه وكأن شيئاً لم يكن، فاتجهت إليه تحمل المنديل الذى تركه لها قائلة :

— لمن ؟

— ربما لك.

هتفت فى لوعة قائلة :

— كلا ... أنا لا أضع هذا اللون الفاضح.

زفر بضيق قائلاً :

— ربما لـ نجوى إذاً .

— من هى نجوى ؟

عاد يزفر بضيق قائلاً :

— صديقة لى ، هل انتهى التحقيق أم أن هناك المزيد من أسئلتك  
التي لا تنتهى ؟

صاحت متجاهلة غضبه :

— هل تبادل القبلات من عاداتك أنت وأصدقائك ؟

استكمل تبديل ثيابه وكأنه لم يسمعها ، لكنها عادت تكرر سؤالها  
فى ثورة حتى التفت إليها وأمسك كتفيها بعنف صارخاً فيها :

— نعم يا ليلى ، نتبادل القبلات والهمسات والأحضان الدافئة ،  
نفعل كل ما تستطيعين تخيله وكل ما لا تستطيعين تخيله  
أيضاً ، هل انتهينا ؟

صاحت به فى غضب :

— غداً قدمنى إلى أصدقائك إذاً .

ضاقت عيناه وهو يحدق فيها فتابعته غير مبالية بالعواقب :

— ربما يروق لى أحدهم .

صفعها بقوة صارخاً :

— يبدو أن الصداع قد وصل إلى عقلك.

ثم أردف وهو يدفعها إلى الفراش في مزيد من القسوة :

— عودى للنوم يا ليلى ... عودى للنوم قبل أن أفتلك.

\*\*\*

## لا....!

استيقظ ممدوح من نومه وتلفت حوله فى ضيق، أين ليلى؟ ولماذا لم توقظه كعادتها مؤخراً؟ تذكر شجارهما العنيف ليلة أمس، نهض ليبحث عنها لكنها لم تكن فى الغرفة، اغتسل وبدل ملابسه لكنها لم تظهر أيضاً، هتف ينادى سعدية، وما إن أقبلت حتى سألها:

— أين سيدتك؟

— مع سيدى الكبير.

هل ذهبت تشكوه لوالده؟ عاد يسألها فى مزيج من القلق والغضب:

— ماذا تفعل هناك؟

— تساعده فى إعداد حقيبته لأنه سيسافر غداً.

تنهد بضيق قائلاً:

— سيدتك ليلى أيتها الغيبة.

— سيدتى ليلى فى المطبخ.

صاح فى دهشة واستنكار:

— المطبخ !! ماذا تفعل فى المطبخ؟

— لقد أصرت على أن تشرف بنفسها على إعداد الطعام .

هتف ساخراً :

— هكذا، أخبريها إذاً أن تعد لى كوباً من الشاى.

عادت سعيدة بعد قليل، وهى تحمل كوباً من الشاى قدمته إلى ممدوح قائلة :

— لقد صنعتة سيدتى بنفسها، وطلبت منى أن أتى به إليك.

نظر إليها بضيق قائلاً :

— اشربيه إذاً يا سعيدة، أو أعطه سيدتك لتشربه.

\*\*\*

نفث ممدوح دخان سيجارته فى بطنه، وهو يفكر فى تلك العنيدة، التى لم يرو وجهها لأربعة أيام متتالية، كانت تحرص على النوم قبل أن يعود، وتستيقظ وهو نائم، منعه كبرياؤه من أن يوقظها مراراً، حتى عندما داهمته الشكوك فى لحظة مجنونة بأنها ربما ليست هى تلك المختبئة تحت الأغطية، لابد أن يتركها حتى تتعلم كيف تخضع له، لقد دللها كثيراً، كثيراً جداً، أكثر مما ينبغى . من تظن نفسها؟ ما الذى تريده أكثر من هذا؟ هل صدقت بالفعل ذلك التحدى الأحمق؟

سأله كمال فجأة :

— كيف حال زوجتك الجميلة؟

قبل أن يستوعب ممدوح سؤاله ، كانت نجوى تحدد في كمال قائلة :

— جميلة .. هل رأيتها ؟

أجابها كمال في بلاهة :

— كلا ، لكن ممدوح يصفها بأنها فينوس .

انتقل بصرها في حدة إلى ممدوح الذى زفر بضيق وهو ينظر

إلى كمال ساخطاً :

— دعك من هذا الأبله .

لكنها مالت عليه في دلال قائلة :

— ممدوح ، هل هي أجمل منى ؟

أحاطها بذراعه قائلاً :

— ألم تلحظى بعد أننى أمضى الوقت كله معك أنت ؟

تنهدت نجوى ووضعت رأسها فوق صدره صامتة ، عاودتها

تلك الرغبة الملحة فى رؤية غريمتها ، ترى أهى جميلة بالفعل؟

أم أن هذا الأبله يبالغ كما يقول ممدوح ، وإن لم يكن قد أنكر

قوله بعد ؟ هل بالفعل قال عنها ممدوح إنها فينوس ؟ حتى وإن

كانت جميلة ، فما أكثر الجميلات فى حياته !! ..... لكنه فى

النهاية يتركهن جميعاً من أجلها .

قطع أفكارها أشرف الذى ابتسم هامساً :

— نجوى ، أين ذهبت ؟

تنهدت قائلة :

— ما زلت هنا ... فى هذه القرية البغيضة.

زفر عادل فى صبر نافذ قائلاً :

— بدلنا ملابسنا منذ أكثر من ساعة ، ماذا ننتظر للذهاب ؟

أجابه ممدوح فى هدوء :

— كان الطقس سيئاً جداً.

— وها هو الآن أصبح جيداً ، فما الذى يمنعنا ؟

— انتظر حتى ينتهى حمدان من تنظيف السيارات.

هز كمال رأسه فى أسى قائلاً :

— كنت أتمنى أن نلحق بالغروب بين الحقول . لقد كنت واهماً

حين تخيلت أننى سأكتب كل يوم قصيدة فى أحضان هذا

الريف الرائع.

التفت إليه عادل وقال ساخطاً :

— هذه الفكرة الغبية هى التى جعلتنا نجلس محشورين فى هذه

الملابس لمدة ساعة كاملة

صاح به كمال :

— وما أدراك أنت بجمال الطبيعة ، يكفيك جمال النساء.

ضحكت سميرة قائلة :

— بخصوص الجمال، تعالى يا نجوى نصلح زينتنا التي أفسدها الانتظار.

علق كمال قائلاً :

— لست أدري ما جدوى كل هذه المساحيق ؟

صاحت به سميرة :

— ليس هذا من شأنك، فدعه لمن يفهم فيه، اهتم أنت بجمال الطبيعة .

ابتسم قائلاً :

— لماذا يسمح الرجل للمرأة بوضع هذا الكم من المساحيق لتتجمل، ثم يعود فيتشاجر عندما يبدي رجل آخر إعجابه بها.

ضحكت نجوى قائلة :

— لأن الرجل يحب دائماً أن يمتلك ما لا يمتلكه الآخرون، فيحسدوه عليه أيها الرومانسي

ثم نظرت إلى ممدوح في دلال وأردفت :

— أليس كذلك يا حبيبي ؟

ابتسم ممدوح وقبلها قائلاً :

— بلى يا جميلتي، المهم هو أن يجيد الدفاع عنها إذا لزم الأمر.

نظر كمال إلى نجوى قائلاً في خبث :

— أنا شخصياً أخاف الحسد، فكلما حسدنى الآخرون على شئ فقدته.

استدارت إليه وقالت ساخطة :

— لا أظن أن لديك ما يحسدك عليه الآخرون.

ابتسم ممدوح قائلاً :

— ربما عقله !

قبل أن يعلق كمال بشئ أقبل حمدان قائلاً :

— السيارات جاهزة يا سيدى.

\*\*\*

النسيم العليل فى الخارج داعب وجوههم، وحمل شعر النساء بعيداً، فأسرعت سميرة إلى السيارة لتحتفى بها، وتبعثها نجوى خوفاً على تسريحتها الأنيقة من أيدي النسيم الشرسة . رفع كمال رأسه إلى السماء قائلاً فى أسف :

— ها قد بدأت الشمس فى الرحيل، يا له من منظر.....

قطع عبارته فجأة وغمغم مشدوهاً :

— يا إلهى .... ما هذا ؟

التفت إليه الجميع فى فضول فعاد يهمس مسحوراً :

— انظروا إلى هذه الحورية التى سقطت مع المطر.

كانت ليلى تقف فى شرفة حجرتها ترتدى ثوباً أبيض فضفاضاً، وقد رفعت عنقها العاجى إلى السماء تتأمل غروب الشمس وكأنها

تتعبد فيها، انعكس شعاع الشمس الراحل على وجهها وكأنه  
يقبلها قبلة الوداع قبل أن يعكسه وجهها المضى من جديد فيعود  
للشمس سعيداً مرضياً .. شعرها المنسدل الذى حمله النسيم وراح  
يداعبه فى عنف .. بدا كشلال من ليل طويل أرسله ليمهد لقدمه.  
غمغم عادل مبهوراً :

— المرة الأولى فى حياتى التى أرى فيها هذا الغزل العجيب بين  
الشمس والقمر.

بادلته كمال لهجته الحاملة قائلاً :

— لست أدرى أيهما أجمل شمس الغروب أم هذه الشمس التى  
أشرفت فى شرفتك يا ممدوح؟!!

التفت أشرف إلى ممدوح وكأنه تذكره قائلاً فى نبرة ما زالت  
الصدمة تشوبها :

— من هذه يا ممدوح ؟ لا تقل لى إنها.....

تنهد ممدوح قائلاً :

— نعم، هيا بنا.

حدق فيه أشرف لحظات قبل أن يقول وكأنه لم يسمعه :

— من لى بلوح وفرشاة، فأنا لن أرحل من هنا قبل أن أسجل  
هذه المناجاة الصامتة بين القمر والشمس.

همس عادل الذى لم يرفع عينيه عنها :

— يبدو أنها تحملها رسالة إلى السماء التى سقطت منها.

وغمغم كمال كمن وجد كنزاً أضناه البحث عنه كثيراً :

— الآن فقط يمكننى أن أكتب القصيدة التى طالما حلمت بها، بل يمكننى أن أكتب ديواناً بأكمله.

صرخ فيهم ممدوح ثائراً :

— ما هذا الهراء ؟ هل فقدتم عقولكم ؟

وكان صراخه أيقظها من شرودها، فحدقت فى وجوههم لحظة ما لبثت بعدها أن اختفت. زفر ممدوح فى ضيق شديد بينما خفضوا رؤوسهم فى بطن وعادوا للتهديق فى ممدوح دفعة واحدة فقال الأخير فى لهجة تجمع بين الغضب واللامبالاة :

— هل يمكننا الذهاب الآن ؟

أمسك أشرف بذراعه قائلاً :

— ليس قبل أن نخبرنا كيف تحررت من سحر هذه الأسطورة فى أسبوع واحد ؟

ابتسم ممدوح ساخراً :

— لا تنس أننى الزعيم.

ثم غمغم بصوت يقطر مرارة :

— لديها من العناد ما يحرر الأموات وليس المسحورين فقط.

وصل ممدوح إلى السيارة فى نفس اللحظة التى نزلت فيها نجوى منها، وما أن رآته حتى هتفت مستنكرة :

- ماذا حدث، لماذا تأخرتم كل هذا الوقت ؟
- أجابها كمال وهو يفتح باب السيارة استعداداً للركوب معهم :
- أيتها المسكينة لقد فاتك نصف عمرك.
- حدقت فيه، فأكمل غير مبال بنظرات ممدوح المصوبة نحوه :
- آه... لو رأيت الشمس المشرقة.
- ابتسمت في دهشة قائلة :
- الشمس المشرقة، الآن !!!
- دفعه ممدوح إلى السيارة الأخرى قائلاً :
- يمكنك الذهاب مع أشرف، أريد أن أكون بمفردى مع نجوى.

شعرت نجوى بسعادة أعمتها عن السبب الذى دفعه للقيام بهذا التصرف، بل تجاهلت معها شروده الدائم طيلة السهرة مكتفية بكلماته المعسولة التى يمن بها عليها من حين لآخر .

\*\*\*

كانت عقارب الساعة تشير إلى الثالثة صباحاً، حين وصل إلى مسامع ليلى صوت محرك سيارته، فأسرعت تطفئ أنوار الغرفة، وتلصص مسترقة النظر من خلف شيش النافذة، أغمضت عينيها فى ألم حين ضم نجوى إلى صدره وطبع على شفيتها قبلة طويلة، وبالرغم من يقينها بأن هذه القبلة ربما تكون أقل ما يحدث بينهما إلا أنها لم تستطع التحمل، انهمرت دموعها وثارَت انفعالاتها فى شكل بات معه من المستحيل أن تتصنع النوم فأسرعت تغادر

الغرفة قبل أن يصل إليها، لم تجد سوى المطبخ لتلجأ إليه، راحت تنتحب فى صمت بينما أعماقها تصرخ فى ثورة من هول ما يحدث، شهقت فى فزع عندما مس كتفيها قائلاً فى تهكم :

— لن يمضى وقت طويل حتى تنعمى برائحة البصل.

أشاحت بوجهها فى عنف قائلة :

— ما الذى أتى بك إلى هنا ؟

جذب وجهها إليه هامساً :

— الشوق يا ليلى.

هتفت فى غضب :

— ابتعد عنى حتى لا أصرخ فيستيقظ كل من فى البيت.

جذبها من ذراعها واتجه بها إلى غرفتهما قائلاً :

— اصرخى كما شئت، لكن ليس هنا، فأنا لا أحب أن يستيقظ

الجميع ليرونى فى المطبخ وكأننى طاهى القصر.

ما إن أغلق الباب خلفه حتى صرخت فى عصبية :

— لن أمكث معك فى حجرة واحدة بعد الآن.

قال وهو يلقي بسترته جانباً :

— تتحدثين دائماً وكأن الخيار لك !..!

صاحت غاضبة :

— ماذا تريد منى ؟ لا أظن أن تلك الساقطة تبخل عليك بشئ .  
ضحك قائلاً :

— كنت أعلم أنك ترقبينا .

أبعدت وجهها الذى تخضب احمراراً بينما أردف مبتسماً :

— ما زلت صغيرة جداً فى عالم أنا الزعيم فيه يا ليلى ، كان  
يجب أن تطفئى النور قبل ذلك بوقت كاف .

طغى استنكارها على خجلها قائلة :

— لم أقابل فى حياتى رجلاً مثلك .

جذبها إليه ونظر فى عينيها قائلاً :

— بل قولى إنك لم تقابلى رجلاً من قبل .

حاولت التخلص منه قائلة :

— إن كنت تقصد الآدميين ، فقد قابلت الكثيرين منهم ، أما إذا  
كنت تقصد الوحوش أمثالك فلم أفطن إلى وجدوهم إلا عندما  
قابلتك أيها المتوحش .

عاد يهمس :

— من لا يشعرك بأنوثتك الطاغية ، لا يستحق أن يكون رجلاً .

لكمته وهى تحاول أن تدفعه عنها قائلة :

— أمثالك هم من لا يستحقون أن يكونوا من البشر .

ارتعدت حين ضمها إليه بقوة، وقبل شفيتها فى شوق بالغ لم تستطع حياله أن تفعل شيئاً، وما إن لانت قبضته حولها قليلاً، حتى غمغمت فى صوت متحشرج :

— لست أدرى كيف تنقل شفتيك من امرأة لأخرى بهذه السهولة ؟  
— لقبلاتك مذاق آخر.

— لا أظن أنك تستطيع التذوق أيها الغريزى.

— لسانك أكثر قسوة من جمالك.

— تخلص منه إذا وابتعد عنى.

— ربما كان قطعه حلاً أيسر.

— لا أدرى كيف تدعى الرجولة، وأنت تجبرنى دائماً على فعل  
مالا أريد !!

— كفى عن ادعائك بأئك لا تريدينى.

— أنا لا أطيقك إن كنت تجهل ذلك.

— دائماً تقولين هذا، وأجد لجسدك رأياً آخر .. وأكتشف أن  
شوقك لى يفوق شوقى إليك أضعافاً.

— حسناً، ما دمت تتوهم هذا، اتركنى أعانى مع شوقى إليك،  
ابتعد عنى.

— سأمنحك نصراً آخر أيتها المغامرة الصغيرة، وأعترف بأننى لا  
أستطيع .

وعادت فى الصباح لتختفى من جديد قبل أن يستيقظ من  
نومه، وأدرك هذا فتمتم فى حنق:

— حسناً يا ليلى، سنرى إلى أين يحملك رأسك العنيد هذا !!؟

\*\*\*

أطلقت نجوى زفرة ارتياح طويلة وهى تهتف فى سعادة :

— أخيراً، سنرحل غداً إلى الإسكندرية.

حاول ممدوح أن يخفى ضيقه قائلاً :

— أين تريدون الذهاب اليوم ؟

أجابت نجوى بسرعة :

— أنا لا أريد الخروج اليوم.

نظر إليها فى تساؤل فأردفت :

— أريد أن أركب الخيل، نحن لم نقم بذلك منذ وقت طويل.

بادلها أشرف رغبته قائلاً :

— فكرة جيدة، ما دمنا سنسافر غداً، فلا داعى لمغادرة المنزل اليوم.

تنهد ممدوح وهو ينهض قائلاً :

— حسناً، سأذهب لأبدل ملابسى، بدلوا ملابسكم ريثما أعود.

صعد الدرج مسرعاً ورغبة ملحّة تغمره وتملؤه شوقاً لرؤية هذه

العنيدة التى كادت أن تفقده صوابه، دلف إلى حجرته فى لهفة

حاول إخفاءها، وتبدلت بخيبة أمل قوية عندما تبين له عدم وجودها بالحجرة، ازدادت رغبته فى رؤيتها إلحاحاً، ترى هل تعلم أنه سيرحل غداً، هل تشعر بما يشعر به من ضيق أقرب إلى الحزن .. أم أن فراقه يسعدها كما تدعى ..؟ هذه الحمقاء تستحق القتل، كيف وهو الزعيم الذى لا يقهر كما يقولون عنه..؟ كيف سمح لبلهاء مثلها أن تفعل به كل هذا؟ كيف وصل الأمر إلى هذا الحد فى غفلة منه..؟ أين صلابته التى طالما تغزلوا فيها؟

هز رأسه فى دهشة واستنكار: كيف يداهمه كل هذا الشوق لرؤية المرأة الوحيدة التى يمتلكها شرعاً، أخرج الملابس التى يريدتها وألقى بها على الفراش وهم بارتدائها، لم يستطع مقاومة هذه الرغبة التى عادت تلح عليه من جديد، سيطلب من سعدية أن تأمرها بالحضور إليه وإن لم تطعه سيقتلها، فهى ملك له شاءت أم أبت .. وعليها أن تدرك ذلك جيداً .

اتجه إلى الباب لينفذ ما اعتزم عليه، لكنه ما كاد يضع يده على مقبضه حتى عاد أدراجه من جديد . لن يتنازل ويذهب إليها أبداً، على الأقل ليس بهذا الشكل المهين، عندما ينتهون من ركوب الخيل سيكون الوقت ما زال مبكراً، سيتعلل بأنه يريد النوم حتى يستطيع القيادة فى اليوم التالى، ربما لن يصدقوه، وربما يسخرون منه بطريقتهم المعتادة، وربما تثور نجوى وتعترض، لكن كل هذا لا يهم، المهم هو أن يراها، إن تصنعت النوم سوف يوقظها، فليدع اليوم كبرياءه جانباً، ليوم واحد فقط، فشوقه إليها لم يشعر بمثله من قبل، فهو يشفق حتى إلى لسانها السليط، هى أيضاً تشفق إليه فهو على يقين من هذا، لكن

عنادها هو ما يحجبها عنه ، زفر بقوة وهو يلتقى بالقميص الذى يرتديه جانباً حين بلغ مسامعه هذا الصوت فامتلاً حيناً أخفاه سريعاً وهى تحدد فى وجهه ، يبدو أن وجوده فى الحجرة كان مفاجأة لها كما له ، أشاحت بوجهها عنه حتى لا يرى حينها الذى لا تجيد إخفاءه كما يفعل .

قال بعد فترة من الصمت :

— هل انتهيت من أعمالك فى المطبخ ؟

ظلت صامتة ، فاقترب منها فى ببطء ووضع يديه على كتفها قائلاً :

— لماذا تفضلين دور الخادمة يا ليلي ؟

أجابته دون أن تستدير إليه :

— دور الخادمة أفضل من أدوار كثيرة لا أحب القيام بها .

ارتعدت حين قبل كتفها العارى قائلاً :

— سأرحل غداً .

— أعلم .

— ألن تقولى شيئاً ؟

— وداعاً .

— وداعاً ... تتحدثين وكأنك لا تريدين رؤيتى مرة أخرى .

— إن كانت رؤيتك تسبب لى كل هذا الألم ، أفضل ألا أراك أبداً .

— و ماذا ستفعلين بعد ذهابى ؟

- ما كنت أفعله قبل أن أراك.
- ما الذى كنت تفعلينه قبل أن ترينى ؟
- سأذهب إلى عملى ، فهو عشقى الوحيد.
- حتى الآن ؟
- ماذا تعنى ؟
- إن كان عملك هو عشقك الوحيد كما تقولين فأنا لن أسمح لك بالعمل.
- استدارت إليه فى حدة سقطت معها المنشفة من فوق شعرها المبلل ، لكنها لم تبال فقد كان خوفها على عملها أكبر من أى شعور آخر .. صاحت به كنمرة شرسة تعرض وليدها للخطر :
- العمل كان من أهم شروطى لقبول الزواج منك.
- قال فى تهكم واستنكار :
- شروطك !!!
- قالت فى عصبية :
- نعم شروطى أيتها المتعجرف ، سل والديك إن كنت لا تصدقنى.
- ضرب كفاً بأخرى وهو يهتف قائلاً :
- أى زمن هذا ؟ أنت تضعين شروطاً لقبولك الزواج منى !!؟
- جذبها إليه بعنف قائلاً :

— امرأة غيرك، كان يجب أن تشكر الله نهاراً وليلاً على ما أخذته منى حتى الآن.

أزاحته وهتفت ساخرة :

— أخذته منك !!

— ألا يكفيك كونك زوجتى ؟

نظرت إليه فى استنكار وكأنها لا تجد ما تقوله .. فابتسم وهو يغوص فى عينيها قائلاً :

— ولا كونك أقربهن إلى قلبى ؟

صاحت فيه غاضبة :

— هل ستكف عن غرورك إذا علمت أن الشئ الوحيد الذى فعلته وندمت عليه كل الندم هو زواجى منك؟

قبلها فى لهفة هامساً :

— كفى دلالاً يا ليلى.

عجزت فى التخلص من ذراعيه فراحت تلکمه فى غضب قاذلة :

— دلالاً... لماذا لا تصدق أننى لا أطيقك ؟

قال فى ثقة زادتها غضباً :

— لأنك كاذبة يا ساحرتى.

حاول تقبيلها من جديد، لكنها أشاحت بوجهها بعيداً وهى

تصرخ :

— كلا، لقد أقسمت ألا تلمسنى مرة أخرى.

قال ساحراً :

— أقسمت ..! ما أكثر ذنوبك ..!

عادت تصرخ فى انفعال :

— ذنبى الوحيد هو زواجى من متوحش مثلك.

تأملها فى شغف قائلاً :

— وجمالك هذا، ألا تعتبرينه ذنباً !! بل إنه أعظم ذنوبك يا ليلى، جمالك هو الذنب الذى لن أغفره لك أبداً.

حدقت فى عينيه بعينين تتراقص النار فيهما، قذفه لهيبيهما وزاده اشتعالاً فراح يهتف فى نبرة أكثر ولعاً :

— وكيف أغفره وقد أغراك بإغواء رجل مثلى، لقد عبرت منطقة محرمة يا جميلتى، وعليك أنت وحدك تحمل ما تفعلينه بى.

وفى جنون راح يبثها بعضاً من ناره المشتعلة حتى انهمرت دموعها وهى تلکمه بعنف، هتفت يائسة عندما شعرت وكأنها غزال يصارع أسداً جائعاً :

— اقتلنى إذاً وخذ ما تريده من جثتى أيها الغريزى المتوحش.

ابتسم فى شراسة قائلاً :

— أخشى أن أفعل هذا يوماً.

خدمت مقاومتها وانهارت قواها فاتسعت ابتسامته هامساً :

— هل أيقنت أخيراً أن العنف لن يجدى معى ؟

استجمع جنونها ما تبقى لها من قوة فبصقت على وجهه  
وهى تصرخ بأنفاس لاهثة :

— ربما أقنعك هذا بأننى لا أتدلل أيها المنحل.

تحولت رغبته المجنونة فيها إلى رغبة أكثر جنوناً فى الانتقام  
لكبريائه الذبيح ، فانهاهال عليها صفعاً ولكمأ حتى كادت أن تلفظ  
أنفاسها الأخيرة وهو يصرخ فيها :

— أيتها البلهاء الغبية ، من تظنين نفسك ؟ إلى أى مدى تتوقعين  
أن أحتملك ؟ اعلمى أنك لست أكثر من امرأة من مئات  
يزحفن خلفى ، وستبقين هكذا للأبد ، وسأبقى أنا رجلك  
الوحيد ، وسترضخين لهذا شئت أم أبيت .

ذهب ليغسل وجهه وعاد وهو يجففه بعنف كاد يسليخ معه  
جلده وكأن بصاقها قد عبر تحته .. ! ألقى بالمنشفة أرضاً ، اقترب  
منها وما زال الغضب يكسو وجهه ، كانت ترتعد كالمحمومة وقد  
عجزت عن الصراخ لهول آلامها .. نظر إلى وجهها الذى اختفت  
ملامحه تحت سيل من الدماء ، راودته رغبة فى إسعافها ، لكنه بدلاً  
من ذلك انحنى ليجذب شعرها بعنف وضغط على أسنانه قائلاً :

— سأروضك يا ليلى مهما كلفنى الأمر ، سأجبرك على طاعتى  
ولو اضطررت إلى تكسير رأسك العنيد هذا .

تأوهت فى ضعف عندما تركها فى جفاء وأسرع ليبدل ملابسه  
ويغادر الغرفة دون أن يلتفت إليها ، داهمها شعور مريع بأنها

ستفارق الحياة قبل أن يأتى أحد لنجدتها، لن تكتمل رسالتها أبداً مع هذا المتوحش، فلتذهب الدكتوراه للجحيم، لقد تسرعت في هذه الزيجة .. أخطأت .. أجمت .. لكن هذا العقاب فاق كل ذنوبها، كثيراً ما سمعت وقرأت عن النهايات المأساوية لمعظم الجميلات على مدى التاريخ، فهل كن بقدر حماقتها ؟ هل فعلن ما فعلته من تهور وطميش ؟ أهذه نهايتها هي أيضاً ؟ ماذا ستكتب جرائد الغد عنها ؟ هل سيثار لها القضاء ويحكم بإعدامه على ما فعله بها .. أم أنه سينجو بفعلته مستغلاً ما له من نفوذ ؟ وماذا سيفعل فؤاد ؟ هل سيتركه طليقاً .. أم سيقتله ويشرد أسرته ؟ وماذا عن أساتذتها وزملائها وطلابها، هل سيترحمون عليها ويقدرّون ما قامت بها في لحظة مجنونة ظنت فيها أنها تضحي من أجل العلم ؟ لا تدري كم دهوراً مضى قبل أن تدخل سعدية إلى الغرفة، وما إن رأتها الفتاة حتى صرخت فى فزع، واندفعت تهلل فى صدمة وهى تحددق فى ليلى التى سكنت عن الحركة ..

همت بمغادرة الغرفة وهى تهتف :

— سأستدعى أحداً لنجدتك وأعود حالاً.

حركت ليلى أهدابها فى توسل، وارتجفت شفاتها لتقول شيئاً فاقتربت الفتاة منها حتى كادت تلتصق بوجهها لتستمع فى صعوبة إلى صوتها الواهن حين قالت :

— لا أريد أن يعرف أحد ما أنا فيه، أرجوك يا سعدية.

ربت الفتاة على كفها فى إشفاق قائلة :

— اطمئنى يا سيدتى .. لن أخبر أحداً.

لم يمض وقت طويل حتى عادت الفتاة بصحبة حماتها وانهمكتا فى محاولة مستميتة لتضميد جراحها بعد أن أصرت على عدم استدعاء الطبيب خوفاً من انتشار الخبر، تمكنتا أخيراً من وضعها فى الفراش فى حالة مستقرة، مسحت حماتها على شعرها فى حنان هامسة :

— هل تشعرين بتحسن الآن ؟

عادت دموعها تنهمر رغماً عنها، قبلت المرأة جبهتها قائلة :

— لا تغضبى يا ابنتى .. حقك عندى.

حدقت فيها صامته، فتنهدت المرأة قائلة فى مرارة :

— ممدوح سقط من فوق ظهر الحصان.

غمغمت قائلة :

— حمداً لله كوني وجدت من يدافع عنى ؟

ابتسمت المرأة فى عتاب قائلة :

— هل أنت شامته فيه ؟

قالت باكية :

— كاد أن يقتلنى ولم يحاول حتى إسعافى.

ابتسمت المرأة فى حنان قائلة :

— يقول رفاقه إنه كان شاردًا كل الوقت ، وهذا ما جعله يسقط  
من فوق ظهر الحصان الذى اعتاد أن يركبه منذ نعومة أظافره .

أغمضت عينيها فى ألم بينما تابعت المرأة لتخفف عنها :

— أنا على يقين من أنه كان مشغولاً بك .. لو لم يكن مهتماً لأمرك ما  
كان طلب من سعدية أن تترك العجين وتذهب إليك على عجل ..

قالت سعدية

— أقسم بالله يا سيدتى .. بأننى لم أرى سيدى ممدوح مهتماً  
وقلقاً بهذا الشكل من قبل .. كان يدفعنى دفعاً إليك .. لم  
يكن باستطاعته أن ينتظر حتى أغسل يدى من العجين .. !

قالت والدته

— صدقينى يا لىلى .. ممدوح مهتم بك .. بدأ يحبك بالفعل .. أنا  
أدرى بولدى .. لكنه هكذا دائماً لا يحب الاعتراف بضعفه أبداً .

★★★

دلف الطبيب إلى الغرفة التى يرقد فيها ممدوح ومن حوله رفاقه  
فى قلق بالغ ، تحول انتباههم إلى هذا الطبيب بالرغم منهم مع ما  
يبدية من تصرفات مريبة تثير القلق ، وهو يتلفت حوله وكأنه طفل  
تائه يبحث عن والديه فى أرجاء منزلهم بل وفى ملامحهم أيضاً ،  
راح يحدق فى وجوههم جميعاً حتى استقرت عيناه أخيراً على  
وجه ممدوح الذى نظر إلى أشرف فى مزيج من القلق والألم هامساً :

— من أين أتيتم بهذا الطبيب ؟

نظر أشرف إلى الطبيب في دهشة قائلاً :

— لست أدري ، كمال هو الذى .....

قاطع ممدوح فى قلق أعنف :

— كمال ... !! ألم تجد سوى كمال ليأتى لي بالطبيب ؟ لقد أتى بطبيب يبدو أنه أكثر منه جنوناً.

اقترب الطبيب من ممدوح قائلاً :

— مبروك

ابتسم أشرف مرغماً ، بينما تفرس ممدوح فى وجهه ملياً قبل أن يغمغم فى تهكم :

— هل تقدمون التهئة فى المصائب أيضاً ؟

ارتبك الطبيب الشاب وهو يضبط نظارته الطبية قائلاً :

— علمت أنك تزوجت حديثاً لهذا ....

قاطع ممدوح فى سخط فاق آلامه قائلاً :

— لهذا بدأت البركات تتوالى على.

ابتسم الطبيب قبل أن يصاب بحالة لم يستطع ممدوح أن يفسرها فعاد ينظر إلى أشرف هامساً :

— أخشى أن أمضى بقية عمري بعاهة مستديمة ، هذا الأحمق يثير قلقى بالفعل.

كتم أشرف ضحكة كادت تفلت من بين شفثيه قائلاً :

— العجيب أن كمال يقول إنه أكثر الأطباء مهارة فى القرية كلها.  
غمغم ممدوح وهو يكاد يقفز من فراشه عندما بدأ الطبيب  
يفتح حقيبته :

— اللعنة عليك يا كمال، وعلى اللحظة السوداء التى قررنا فيها  
ضمك إلى رفقتنا.

استسلم مرغماً حين اقترب منه الطبيب لفحص إصابته حتى انتهى  
أخيراً فى مهارة أدهشتهم، من لف ساق ممدوح بالجبس قائلاً :

— إصابتك ليست خطيرة، لكن يجب أن تبقى فى الجبس لمدة  
شهر ولا تتحرك إلا للضرورة.

هتف ممدوح ساخطاً :

— شهر..! كيف سأحتمل هذا ؟

ابتسم الطبيب فى هدوء قائلاً :

— احمد الله أن إصابتك أسفل الركبة و إلا كا... .

قطع حديثه فجأة وهو يستدير إلى الباب فى حدة أثارت  
ربيبته من جديد عندما دلفت والدة ممدوح إلى الحجرة قائلة :

— مرحباً دكتور مسعود، كيف حال ممدوح الآن ؟

— اطمئنى، سيكون بخير، أنا مضطر للذهاب الآن لكننى سأمر  
غداً لرؤيته.

غادر الغرفة فأشار عادل إلى أشرف قائلاً :

- رافقه إلى الباب لئلا يخرج من النافذة ويسبب لنا كارثة .
- ربتت المرأة على جبهة وحيدها فى حنان، فقبل يدها قائلاً :
- اطمئنى .. أنا بخير.
- سألت نجوى المرأة فى مكر :
- أين العروس يا خالتي، لماذا لم تأت لتطمئن على سلامته ؟
- نظرت إليها المرأة فى ضيق قائلة :
- العروس مشاعرها مرهفة جداً، لن تستطيع رؤيته فى هذه الحالة، ستأتى عندما يتعافى قليلاً.
- قالت نجوى فى تهكم :
- إلى هذا الحد !! كنت أظن أن القرويات أكثر صلابة من هذا !!
- حولت المرأة عينيها إلى ممدوح فى عتاب لم يفهمه سواه، فأشاح بوجهه وزفر بضيق قائلاً :
- هلا سمحتم بإخلاء الغرفة، أنا متعب وأحتاج إلى النوم.

\*\*\*

- جلست ليلى فى حجرتها ساهمة، حين أقبلت حماتها نحوها وعلى شفيتها ابتسامة قائلة :
- كيف حالك اليوم يا ليلى ؟
- بخير، أشكرك

ترددت المرأة قائلة :

— ألم يحن الوقت لرؤية ممدوح بعد ؟

أحنت ليلى وجهها صامته ، فأردفت المرأة فى رجاء :

— اغفرى له من أجلى يا ليلى ، حالته سيئة جداً فهو لم يعتد الرقاد لهذه المدة الطويلة .

قالت ليلى فى هدوء لا يخلو من السخط :

— أنا أيضاً لم أعتد التغييب عن عملى ، لقد أجبرنى على أخذ أجازته لعدم قدرتى على الذهاب إليه بوجه مشوه كهديه زوج حذرنى منه الجميع .

نظرت إليها المرأة وابتسمت قائلة :

— لكنك شفيت الآن وأصبحت أجمل من ذى قبل .

— لكن نفسي ما زالت مريضة ، لن أنسى له ما فعله بى ما حييت .

تنهدت المرأة فى يأس قائلة :

— لن أضغط عليك كثيراً يا ليلى ، أنت أكثر عناداً منه .. جنئت لأخبرك أن الطبيب سوف ينزع الجبس عن ساقه بعد غد .. وكم أتمنى أن تكونى بجواره بدلاً من تلك العقرب المدعوة نجوى .

\*\*\*

انتهى دكتور مسعود من جمع أدواته ووضعها فى حقيبته ثم  
نظر إلى ممدوح قائلاً :

— حمداً لله على سلامتكَ، الآن تستطيع أن تفعل ما تريد، ولكن  
عليك توخى الحذر.

شكره ممدوح الذى اعترف حقاً بقدراته الطبية الرائعة، وإن  
كان سلوكه الغريب ما زال يثير ريبته فى كثير من الأحيان، هم  
بمغادرة الغرفة حين دلفت إليها ليلى قائلة فى عذوبة:  
— صباح الخير .

سقطت الحقيبة من يده، وتبعثرت محتوياتها فى الغرفة، وهو  
يهمس باسمها فى حنين لم تخطئه أذن ممدوح، ابتسمت وانحنى  
معه تجمع محتويات الحقيبة التى تبعثرت أرضاً، بينما عيناه لم  
تفارق وجهها فى شغف .. وكأنها سمرت فوقه.

هتف ممدوح غاضباً :

— ليلى ..

رفعت وجهها إليه فتابع فى ضيق :

— أريد كوباً من الماء.

وبالرغم من أن الكوب ممتلئ بجوار السرير الذى يرقد عليه  
فقد اقتربت منه وناولته له، فغمرها بنظرة طويلة حملت معانى لا  
حصر لها .. قبل أن يلتفت إلى دكتور مسعود، الذى بدا له وكأنه  
يراه للمرة الأولى، حين هتف قائلاً :

— سأتى غداً للاطمئنان عليك يا ممدوح.

أجابه ممدوح فى لهجة باردة :

— لا داعى لأن تتعب نفسك أكثر من هذا، لقد أصبحت بخير الآن.

تجاهل الدكتور عبارته قائلاً فى سعادة :

— لا عليك، دعنا نرد القليل من كرم والدك.

هم ممدوح بالاعتراض لكن مسعود قال فجأة موجهاً حديثه إلى ليلى :

— هل لى بدقيقة من وقتك يا سيدتى، أريد التحدث معك فى بعض الأمور التى تتعلق بصحة زوجك.

وقبل أن يستوعب أحد منهم ما يحدث كانت ليلى تغادر الغرفة بصحبته، ساد جو من الوجوم المطبق قطعه عادل مستنكراً :

— هل هى دائماً هكذا تظهر فجأة و تختفى فجأة؟

حذق فيه ممدوح فى غضب زاده أشرف حين قال فى بعض التهكم :

— كنت أظن أن هذا الطبيب أحق، لم يخطر فى عقلى أبداً أنه .....

لم يستطع أن يكمل عبارته عندما أغلق ممدوح عينيه فى ألم، بينما علقت سميرة وهى تنظر إلى نجوى التى بدت وكأنها غابت عن الوجود :

— يبدو أن هناك علاقة حميمة بين هذا الطبيب و .....

صمتت قليلاً ثم أردفت تتصنع الجهل :

— ما اسمها ؟

أجابها كمال حاملاً :

— اسمها ليلي.

قالت نجوى فى نبرة تملؤها الغيرة :

— ليلي !! يا له من اسم قروى بشع.

اعترض كمال قائلاً :

— بل هو اسم مأخوذ من الأساطير وقصص الحب الخالدة، اسم غاية فى الرومانسية، ألم تسمعى عن قيس وليلى.....

قطع عبارته وهو يحدق فى ليلي التى وقفت ترقبه وهو يتحدث عنها وعلى شفقتها ابتسامه رائعة، وقف فى ببطء دون أن يرفع عينيه عن وجهها قائلاً فى بلاهة :

— أنا كمال.

تحولت ابتسامتها إلى ضحكة رنانة رقصت على أنغامها قلوبهم بينما صاح ممدوح غاضباً :

— أين كنت ؟

ابتسمت فى مكر قائلة :

— ألم يكن كل شئ أمام ناظريك ؟

نظر إليها محذراً فتابعت فى لامبالاة قائلة :

— كان مسعود، أقصد دكتور مسعود .. يحدثنى عن بعض  
الاحتياطات التى يجب مراعاتها من أجل سلامتك يا حبيبى.

ضغط على أسنانه قائلاً :

— إلى أين ذهبتما ؟

أجابته فى استفزاز :

— حتى الحديقة فقط

قال فى سخرية مريرة :

— الحديقة !! تتحدثان عن صحتى فى الحديقة !!

علقت نجوى فى تهكم قائلة :

— يبدو أن حالتك عويصة جداً.

استدارت ليلى إليها وحدقت فيها بشئ من اللامبالاة، بينما  
عقلها يحفظ ملامحها عن ظهر قلب، بادلتهما نجوى نظراتها فى عداء  
واضح وقد عجزت عن إخفاء ما تشعر به من غضب وضيق وغيره ..  
استدارت من جديد لتغادر الغرفة عندما هتف فيها ممدوح محذراً :

— ليلى، عندما يأتى هذا الطبيب غداً، لا أريدك أن تغادرى غرفتك  
حتى ينصرف، هل هذا واضح أم أكرره على مسامعك مرة أخرى ؟

ابتسمت فى هدوء قائلة :

— أمرك يا حبيبى، المهم هو ألا تتشور هكذا، لقد كانت هذه هى  
أولى نصائح مسعود.

تركته يحترق غيظاً واتجهت للباب حين وقف عادل فجأة  
وأمسك بذراعها قائلاً :

— كلا، لن تذهبي

حدقت في وجهه بدهشة فأردف كأنه استيقظ من نوم عميق :

— أنت لم تجلسي معنا بعد.

ابتسمت في دلال قائلة :

— غداً يا ....

أسرع يقول :

— عادل، اسمي عادل.

اتسعت ابتسامتها قائلة :

— غداً يا عادل ربما تتاح لنا الفرصة.

ما إن ذهبت حتى صاح بهم ممدوح في ضيق قائلاً :

— عندما ترونها غداً، أرجو أن تحتفظوا بعقولكم أيها الحمقى.

تنقلت عيناه بين وجوههم وهو يضيف ساخطاً :

— فهي ليست في حاجة إلى المزيد من التدليل.

ابتسم أشرف وهو يتأمله ثم ما لبثت ابتسامته أن تحولت إلى  
ضحكة كبيرة، شاركه فيها الجميع عدا نجوى، وراحوا ينظرون  
إليه في شماتة، كان واضحاً أنها كادت ان تفقده عقله.

لم يرفع ممدوح عينيه عن وجه الدكتور مسعود الذى راح  
يجرى على ساقه فحوصاً لا حصر لها، فى محاولة يائسة لرؤية  
ليلى من جديد .. أخيراً قرر أن يذهب فنظر إلى ممدوح قائلاً :

— غداً سأجرى الفحص الأخ .....

قاطع ممدوح فى حسم قائلاً :

— غداً لن أكون بالمنزل.

سأله فى لهفة أقرب إلى البلاهة :

— أين ستذهب ؟

حدق فيه ممدوح صامتاً مما أصابه ببعض الحرج فغمغم قائلاً :

— لا بأس .. فقط حاول ألا تجهد نفسك أكثر من اللازم.

ما أن غادر الغرفة حتى تنهد قائلاً :

— هذا الأبله لا يطاق.

ابتسم أشرف بمكر قائلاً :

— اعذره يا ممدوح، فهو يبدو متيماً حد الجنون.

حدجه ممدوح بنظرة غاضبة وهو ينادى على سعدية التى  
سألها عن ليلى فأجابته قائلة :

— لا أدرى يا سيدى ربما فى الحديقة

ضاقت عيناه قائلاً :

— ماذا ؟

نهض من فراشه فجأة وهو يصرخ باسمها كالمجنون، حاول  
أشرف أن يهدئ من روعه لكنه ثار قائلاً :

— سأقتلها هذه المرة يا أشرف

تحرك بلا وعى غير مبال بتحذيرات الطبيب، اصطدمت ساقه  
المصابة فى ذروة انفعاله فاتجه إلى أحد الكراسى فى ألم بينما التفوا حوله  
فى قلق، وجدها تهبط الدرج مسرعة وتتجه إليه فى لهفة قائلة :

— ممدوح ماذا حدث ؟

هدأت ثورته وهو يتأملها قائلاً :

— أين كنت ؟

— كنت نائمة، ما الذى يزعجك إلى هذا الحد ؟

تنبه فجأة إلى قميصها العارى ، وإلى العيون التى تجمعت فوق  
جسدها وانقسمت ما بين حالة وحاسدة فانتهرها قائلاً :

— اذهبي وبدلى ملابسك.

تلقت حولها وتخضب وجهها خجلاً ثم أسرع ت غادر إلى  
حجرتها، عادت بعد قليل مرتدية ثوباً أحمر ينسجم مع عينيها  
الناريتين، وتبارى كل من كمال وعادل للترحيب بها غير مباليين  
بتحذيرات ممدوح لهما، نظرت إلى المقعد المجاور إلى ممدوح  
وتصنعت الأدب قائلة :

— هل يمكننى الجلوس بجوار زوجى ؟

حدقت نجوى فى وجهها بشراسة لكنها لم تجد مفراً من ترك مقعدها لها، التفتت إلى ممدوح الذى كان يرقبها صامتاً وابتسمت قائلة :

— كيف حالك اليوم يا حبيبى ؟

أجابها فى اقتضاب :

— بخير.

ثم عاد ليقترّب منها هامساً :

— لم أكن أعلم أن التمثيل أيضاً أحد مواهبك التى لا تنتهى.

ابتسمت وهى تزداد اقتراباً منه هامسة :

— أنت لم تر شيئاً بعد.

همس :

— حذار من الجنون يا ليلى، لن تتكرر المعجزات وتبقى على قيد الحياة فى كل مرة.

ضحكت فى ميوعة وكأنه يغازلها، وامتنع فى صعوبة من أن يصفعها، حانت منها التفاتة إلى أشرف الذى كان يحدق فيها مصدوماً فابتسمت :

— أنت أشرف، أليس كذلك ؟

هز رأسه إيجاباً وكأنه فقد النطق، فأتسعت ابتسامتها قائلة :

— أريد أن أشكرك على ذوقك الرفيع فى تصميم غرفتى.

ابتسم قائلاً :

— لو كنت أعلم أن من ستشغلها على هذا القدر من الجمال  
لبذلت المزيد.

شاركت عيناها شفتيها الابتسام قائلة :

— يبدو أن لك ذوقاً رفيعاً فى كل شئ.

التفت أشرف لا إرادياً إلى ممدوح الذى تعلقت عيناه بوجهها  
وهو يحاول التكهن بما تدبره فى رأسها العنيد هذا، والذى  
تراوده أفكار مجنونة بتكسيه حتى يستطيع الكشف عن مكنونه،  
اقترب منها كمال وراح ينشدها إحدى قصائده قائلاً إنه كتبها من  
أجلها هى، ولدهشته وجد ممدوح نفسه وللمرة الأولى مرغماً على  
التوحد مع كمال حين قال :

لو لا يعاقبنى الله من أجلك

جعلتك إلهة فى الأرض وقدستك

معابد من نور فى عينى شيدتك

آه ... حبيبتي بكل الحب أحببتك

وما إن أنهى كمال قصيدته حتى دوى فى الحجرة تصفيق لم  
يعهده، وصيحات من الإعجاب والاستحسان جعلت وجهه يتخضب  
احمراراً .. فى محاولة لتخفيف شدة توتره أشار إلى أشرف قائلاً :

— أشرف أيضاً يجيد الرسم، ويتمنى أن يرسم لك صورة يتنبأ  
بأنها ستكون أفضل لوحاته.

نظرت ليلى إلى أشرف وابتسمت قائلة :

— وأنا أوافق

استدار أشرف إلى ممدوح الذى كان يحدق فيهم بنظرات نارية جعلت أشرف يقول فى قلق :

— ينقصنا إذاً موافقة الزعيم.

التفتت ليلى إلى ممدوح وما إن تلاقى عيونهما حتى أيقنت أنه لن ينتظر طويلاً حتى يقتلها، فكرت بمغادرة الغرفة حين اقترب منها عادل وانهمك معها فى حديث طويل شاركهما فيه كمال عن كذب، بينما اكتفى أشرف بالمداخلة من حين لآخر حتى تلاشت تلك الرهبة التى تحول بينهم، فراحوا يضحكون فى مرح وكأنهم يعرفون بعضهم البعض منذ زمن بعيد .

تنهدت نجوى بضيق قائلة :

— سأذهب إلى الحديقة، فالجو هنا لم يعد يحتمل.

ضمد ممدوح جراحاتها دفعة واحدة حين قال :

— انتظري سأتى معك.

ابتسمت نجوى فى سعادة بينما نظرت ليلى إليه فى غضب لم تستطع إنكاره، أما هو فقد تنهد بارتياح بعد أن كاد يجن وهو يفقد ثقته بنفسه للمرة الأولى فى حياته .

لم يمض وقت طويل حتى أقبل رفاقه الثلاثة للانضمام إليهما فى الحديقة فقالت نجوى فى لهجة تهكمية لا تخلو من الغيرة :

— هل انتهيت من وصلة الغزل العفيف ؟

- ابتسم أشرف وهو ينظر إلى ممدوح قائلاً :
- ما إن ذهب الزعيم حتى تبدل الوضع تماماً.
- تراقصت ابتساماً رضا على وجه ممدوح بينما نهضت نجوى قائلة :
- سأذهب كي أستعد للسهرة.
- هتف أشرف مستنكراً :
- بهذه السرعة، لم لا تنتظر حتى تستريح؟! أجابه ساخطاً :
- لقد مللت الراحة.
- ابتعدت نجوى فنظر أشرف إلى ممدوح قائلاً :
- وماذا عن ليلى؟
- حدق فيه ممدوح فتابع :
- هل ستأتى معنا؟
- ازداد فيه تحديقاً، فهتف أشرف مستنكراً :
- لا تنظر إليّ هكذا، كلنا على يقين من أنها لا تريد سواك.
- أطلق ممدوح تنهيدة ارتياح فأردف أشرف :
- لا تقل إنك كنت تجهل هذا!!
- كيف أجهله وهذه البلهاء لا تجيد إخفاء مشاعرها!
- ولماذا يأكلك القلق إذا؟

- كان من أجلكم وليس من أجلها.
- ابتسم أشرف قائلاً :
- كادت أن تفقدك عقلك أليس كذلك ؟
- نظر إليه صامتاً، فاتسعت ابتسامته أشرف قائلاً :
- عندما حدثتنا عنها، لم أكن أتخيل أبداً أنها على هذا القدر من الجمال، لقد ظننتها فتاة حمقاء تجرب اللعب مع الكبار كما تقول، دون أن أدري أن لديها ما يمكنها من اللعب بجدارة، حتى أمام ممدوح سالم.
- اقترب منه قائلاً في عناد :
- لم تولد بعد هذه المرأة التي تتحدث عنها.
- ماذا تسمى ما أنت فيه إذا ؟
- زفر ممدوح بضيق شارداً :
- ليلى ليست أكثر من امرأة تريد أن تمتلكني كالعادة، ربما لديها من المقومات ما يفوقهن، لكنها فى النهاية ستستسلم للأمر الواقع وترسخ لما أريده أنا .. ربما الأمر فى حاجة إلى بعض الوقت.
- هل وجود نجوى هو ما سبب المشكلة بينكما ؟
- نظر إليه صامتاً فتابع :
- لم لا تستخدم الحيلة ؟ فليس جيداً أن تجتمع العشيقة والعروس معاً فى هذا الوقت المبكر.

اسود وجهه قائلاً :

— أسمع يا أشرف .. أنا لن أصل أبداً إلى الحد الذى يجعلنى أكذب من أجل امرأة.

هتف أشرف مستنكراً :

— تكذب .. ! منذ متى وأنت تعتبر هذا كذباً ؟

— ماذا تعنى ؟

ابتسم أشرف وهو يتأمله قائلاً :

— أخشى أن تصل إلى الحد الذى تخشى فيه أن تخذعها حتى بينك وبين نفسك.

حدق فيه ممدوح بعصبية قائلاً :

— كفى هراءً

\*\*\*

لم تستطع ليلى التحكم فى أعصابها وهى تصرخ فى سعدية قائلة :

— اذهبى وأخبرى سيدك، أن من يريد شيئاً عليه أن يأتى ليأخذه بنفسه.

نظرت إليها الفتاة فى تردد وكأنها تحذرهما .. فعادت لتصرخ

فيها من جديد :

— اذهبى ونفذى ما أمرتك به.

وما إن ذهب الفتاة ساخطة حتى وجدت نفسها تتحسس وجهها فى زعر، يا له من ديكتاتور متوحش، كيف يريد لها أن تختار له الملابس ليتنزه بها بصحبة امرأة أخرى..؟ فليات ويقتلها إن شاء، لكنها لن تفعل هذا أبداً، لكنها لا تريده أن يأتى إلى الغرفة، فهى لا تريد رؤيته، أسرعت إلى الخزانة وأخرجت منها أول بدلة وقع بصرها عليها وكذلك الحذاء، اتجهت فى عصبية إلى الباب، ستطلب من سعدية أن تلقى بهما فى وجهه ..

ما كادت تفتح الباب حتى وجدته فشقت مذعورة، أبعدت وجهها سريعاً حتى لا يرى اضطرابها وهى تلقى بين يديه بما معها قائلة :

— كنت سأرسلها لك مع سعدية، لكن يبدو أنك متلهف جداً لهذه النزهة.

قال بعد فترة من التحديق فيها :

— عجباً، لقد أخبرتنى سعدية شيئاً آخر.

ألقت عليه نظرة سريعة عادت بعدها لتشيح بوجهها من جديد، لكنها كانت كافية لتخبره بمدى اضطرابها، فابتسم فى مكر قائلاً :

— على أية حال أنا لم أصدقها، كنت على يقين من أنك لست حمقاء إلى الحد الذى يغريك بعصيانى مرة أخرى.

انفجر ضاحكاً حين التفتت إليه فى ثورة قائلة :

— تباً لك أيها المتعطر، من تظن ذاتك؟ كيف تريدنى أن .....

اختنق صوتها فلم تكمل عبارتها، تأملها قائلاً :

— هل تأتين معي ؟

قالت بسرعة :

— معك وحدك.

ابتسم فى تهكم ، فتابعته بانفعال :

— لا تنس أننى ما زلت فى شهر العسل.

هتف فى مزيج من السخرية والاستنكار :

— عسل ، أين هذا العسل ؟ أنا فى أسوأ فترات حياتى.

انهمرت دموعها التى حجزتها طويلاً فتنهت قائلاً :

— حسناً .. لا تغضبى .. لا بأس من يوم سئٍ آخر.

بدت كالطفلة وهى تحدد فى وجهه فى غضب والدمع ما زال

يتلألاً فى عينيها ، ابتسم وهو يمسح وجنتيها بأصابعه قائلاً :

— استعدى غداً سنذهب فى نزهة ، بمفردنا أيتها الجشعة.

ابتسم حين لاحظ سعادتها التى تحاول إخفاءها ، وسادت فترة

من الصمت أشعلت الجو بينهما .. أحنت وجهها وعضت على

شفتيها فى ارتباك .. توقعت فى حنين أن يقبلها ولكنه لم يفعل بل

اتجه لتبديل ملابسه التى ما كاد ينظر فيها حتى هتف مستنكراً :

— يا إلهى ، كيف استطعت جمع كل هذه المتناقضات دفعة واحدة !!؟

أطلقت ليلى ضحكة مستنكرة وهى تحدد فى الملابس التى

أخرجتها بنفسها من الخزانة وكأنها تراها للمرة الأولى ، لقد كان

محققاً في صدمته، البدلة كحلية اللون، الحذاء بنى، ورابطة  
العنق بلون ثالث لا يمت للآخرين بصلة ..

هز رأسه استنكاراً وابتسم في مكر قائلاً :

— حمداً لله أنك لم ترسليها مع سعيدة، ولو أن ذلك حرم نجوى  
من متعة كبيرة.

أصابها ذكر غريمتها بالضيق وكذلك باستفزاز خفي، فأسرعت  
إلى الخزانة وأخرجت منها أجمل ما فيها وأكثره تناغماً، تأملت  
ابتسامته الواسعة التي زادتها غضباً وشعوراً آخر أنكرته حتى  
على نفسها وهي تهمس ساخطة :

— هل رأيت حماقة أكثر مما أنا فيها، أفعل كل هذا لتتنزه  
مع غيري ؟!

تمادت في جنونها وراحت تساعد في ارتداء ملبسه، تفرس  
في ملامحها صامتاً حين همست فجأة :

— هل تفعل نجوى هذا ؟

ابتسم دون أن يرفع عينيه عن وجهها قائلاً :

— ليس دائماً.

تأوه في ألم حين جذبت رابطة العنق بقوة كادت أن تخنقه،  
قبل أن تبتعد عنه قائلة في سخط :

— يا لها من صديقة !

ابتسم وهو يدلك عنقه قائلاً :

— الغيرة جيدة، ولكن ليست لهذا الحد.

هتفت غاضبة :

— ماذا تعنى ؟

ابتسم متسلياً وهو يصف شعره أمام المرآة قبل أن يقول مودعاً :

— شكراً على المساعدة، أتمنى لك أحلاماً سعيدة.

ضحك فى مرح عندما غمغمت فى سخط بلغ مسامعه :

— وأنا أتمنى لك نزهة تجعلك أسوأ حالاً منى.

\*\*\*

## لا أريد قيساً سواك

نامت ليلى نوماً متقطعاً وهى تراه كلما أغمضت عينيها،  
استيقظت متلهفة تترقب وجوده فى أية لحظة، لكنه لم يأت،  
لقد نسى وعده لها كما نسى كل الوعود السابقة، لكم تبغضه..!  
لا تشعر بالإهانة أبداً إلا عندما تتعامل معه، من يصدق ما يفعله  
بها؟ ماذا سيحدث لو علم فؤاد بما آل إليه أمرها؟ ما الذى سيقوله  
دكتور عبد الرحمن أو أى زميل آخر يصل إلى مسامعه أخبارها  
المخجلة؟ منذ متى وهى لا تجيد التحكم بانفعالاتها إلى هذا الحد؟  
كانت عقارب الساعة تشير إلى السادسة مساءً عندما دلف إلى  
الحجرة وحدق فى وجهها العابس قائلاً :

— ألم تستعدى بعد؟

قالت كمن استيقظ فجأة من غفوة طويلة :

— ظننتك نسيت ما وعدتني به.

ابتسم قائلاً :

— كنت أتمنى هذا، لكننى لم أستطع.

نظرت إليه فى مزيج من السعادة والاستنكار، فاتسعت  
ابتسامته قائلاً :

— أين تريدان الذهاب ؟

قالت فى لهفة :

— الملاهى بالطبع.

بدل ملابسها سريعاً واتجه إلى الباب قائلاً :

— سأنتظرك بالسيارة، لا تتأخرى.

لم تستغرق وقتاً طويلاً حتى أسرعت تغادر المنزل .. ترقبها عينان ناريتان من خلف إحدى النوافذ .. وما إن ابتعدت قليلاً حتى استدارت نجوى إلى سميرة وهى تهتف فى ثورة وضيق :

— انظرى إلى هذه القروية، انظرى ماذا ترتدى ؟!

— ماذا ترتدى ؟

ابتعدت نجوى عن النافذة لتترك لـ سميرة فرصة المشاهدة .. فصاحت الأخيرة مستنكرة:

— ما هذا ؟! بنطلون من الجينز وتى شيرت !!

التفتت إلى نجوى وابتسمت قائلة :

— اطمئنى، سيقتلها ممدوح ما إن يراها.

زفرت نجوى وهى تكاد تنفجر غيظاً :

— ليته يفعل هذا..! هذه اللعينة تثير جنونى

صعدت ليلى إلى السيارة وهى تبتسم قائلة :

— هل تأخرت عليك ؟

أجابها دون أن يلتفت إليها :

— كلا .

نظرت إليه وهمت أن تعترض على شيء ما ، لكنها فضلت الصمت الذى ساد بينهما طويلاً حتى شعرت ليلى بالضجر فقالت ساخطة :

— تبدو وكأنك مرغماً على هذه النزهة.

قال فى نبرة واثقة :

— لا يستطيع أحد أن يرغمنى على فعل شيء لا أريده.

— لماذا تصمت إذاً ؟

— أنا فقط منتبه للطريق أمامى.

توقف أخيراً أمام أحد الملاهى الكبيرة قائلاً :

— هيا لقد وص .....

قطع عبارته فجأة واتسعت عيناه فى صدمة قبل أن يهتف قائلاً :

— ما هذا ؟

قبل أن تعلق بشيء كان قد استدار عائداً بالسيارة إلى الخلف وكأن حية قد لدغته ، حدقت فيه بدهشة قائلة :

— ما الذى يزعجك إلى هذا الحد ؟

قال ثائراً :

— ألم تكفى عن استفزازى يا ليلى .. ما هذا الذى ترتدينه ؟  
وما هذه التسريحة البلهاء ؟ ألم ترى نجوى حين تخرج معى  
فى نزهة ؟

صاحت غاضبة :

— لا تشبهنى أبداً بتلك الساقطة.

تابع فى قسوة :

— معك حق هذه المرة، فهى امرأة، أما أنت فى هذا الجينز،  
وذيل الحصان هذا، تجعليننى أشعر وكأننى خطفتك من  
إحدى المدارس.

ضرب كفاً بأخرى وهو يزفر فى ضيق قائلاً :

— ماذا سيقول كل من يراك معى ؟

هتفت غاضبة :

— ليس الخطأ فى ملابسى أنا، بل فى ملابسك أنت.

سألها متهمكماً :

— ملابسى أنا !!

حذق فى وجهها ثم أردف غاضباً :

— هل الخطأ فى سترتى أم حذائى، أو ربما كان فى رابطة العنق  
أو فى العطر الذى أضعه ؟

زفرت فى ضيق قائلة :

— ما قصدته هو أن ملابسك لا تلائم المكان الذى سنذهب إليه.

تابع تحديقه فيها قائلاً :

— هل ذهبت إلى الملاهى الليلية من قبل ؟ هل رأيت الرجال والنساء يقفزون بالجينز فوق حلبة الرقص ؟ هل ..... هل .....

قاطعته فى حدة قائلة :

— مهلاً .. ومن قال إننى أريد الذهاب إلى الملاهى الليلية ؟

ضغط كتفها فى عنف صارخاً :

— أما زال لديك شك فى أن إثارتى ليست لصالحك ؟ ألم تخبرينى منذ قليل عن رغبتك فى الذهاب إلى الملاهى ؟

تراقصت ابتسامة على شفتيها قائلة :

— بلى ، لكننى لم أقصد الملاهى الليلية.

ضاقت عيناه وهو يحدق فيها قائلاً :

— أية ملاهى تقصدين إذاً ؟

ثم أردف وهو يشير بإصبعه محذراً :

— لا تقولى .....

لم تستطع ليلى أن تتحكم فى انفعالاتها وهى ترى الجنون المتجسد على ملامحه ، فانفجرت ضاحكة حتى عجزت عن النطق ، واكتفت بهز رأسها موافقة وهو يحدق فيها مصدوماً.

ضحك في عصبية قائلاً :

— قلت لى كم عمرك ؟

— سأكمل السادسة والعشرين قريباً.

قال ساخراً :

— احذفى عشرة سنوات إذاً، أو ربما الأفضل أن تحذفى عشرين،  
فهذه الرغبة لا تداعب سوى الأطفال.

صاحت غاضبة :

— عد بى إلى المنزل إن كانت رغبتى تضجرك إلى هذا الحد.

ما كادت تنهى عبارتها حتى أدار محرك السيارة وانطلق بها  
مسرعاً، حولت وجهها إلى نافذة السيارة حتى لا يرى هذا الكم  
الهائل الذى انتابها من الغضب والألم، هل كان ينتظر قولها هذا  
ليتخلص من صحبتها ؟ ليس من حقه أبداً أن يغتال فرحتها بهذا  
الشكل .. فرحتها ..!! ولماذا تفرح وهى بصحبة وقح مثله ؟!

ولماذا لا تفرح ..؟ فرحها شعور طبيعى، لا بد أن تفرح لكونها  
ستذهب فى نزهة بعد أن بقيت حبيسة المنزل كل هذا الوقت،  
كما أن وجودها معه خارج جدران المنزل سيتيح لها الفرصة  
لملاحظة سلوكه بشكل أفضل، لهذه الأسباب فقط ربما كانت  
سعيدة، لا لشئ آخر، فهو ....

استدارت تنظر إليه حين توقف فجأة أمام أحد المراكز الكبيرة  
لبيع الملابس الجاهزة، قال وهو يغادر السيارة

— ابقى هنا حتى أعود.

انتظرتَه فى لهفة، وقد خمّنت ما سيفعله ؟ عاد بعد وقت قصير وهو يرتدى بنطلوناً من الجينز، وتى شيرت أبيض اللون .. تبرز عضلاته المفتولة من كمه القصير، ممسكاً فى يده بسترته التى غلفها بكيس بلاستيكي كبير ..

هل لاحظ أنه يرتدى نفس الألوان التى ترتديها ..؟! هل فعل ذلك عن عمد؟!!

ألقي عليها نظرة سريعة قبل أن يتابع القيادة من جديد فهمست :

— أتعلم أنك الآن تبدو أكثر وسامة من ذى قبل ؟

نظر إليها فى تهكم قائلاً :

— أحقاً ؟

أجابته فى سعادة قائلة :

— حقاً.

التفت إليها وضاقت عيناه ثم ما لبث أن ابتسم مرغماً وهو يهز رأسه قائلاً :

— سارى إلى أين ننتهى أيتها الطفلة ..!

ترجلا من السيارة أمام أحد الملاهى الكبيرة، كان الزحام شديد جداً، فغمغم ممدوح ساخطاً :

— يبدو أن الحمقى أمثالك كثيرون.

ارتعدت .. وانتفضت كفهها الصغيرة حين أمسك بها ليغرقها  
فى قبضته الكبيرة .. لم يخف عليها ابتعاده عنها مؤخراً .. لم  
يحاول لمسها منذ كاد أن يقتلها لكماً وشفعاً .. ليس من المعقول  
أن يكون خائفاً منها ..! ولكن ليس من المعقول أيضاً .. أن يكون  
هو الغاضب بعد كل ما فعله بها ..!

شعر بارتباكها وورعدها .. فالتفت إليها قائلاً فى تهكم:

— من أجل الزحام فقط.

تستطيع الآن أن تقسم بأنها لم تشعر بمثل هذه السعادة من  
قبل، ربما يعود هذا لما أبداه من رضا وهو يتنقل معها من لعبة  
لأخرى، وربما لتلك الرجولة المفرطة التى يحيطها بها من حين  
لآخر وتجعل الأخريات ينظرن إليها فى غيرة وحسد، كل ما  
حولها يتألاً ببريق رائع، حتى المصابيح الكهربائية التى تملأ  
الملاهى غدت نجوماً فى سماء حملها إليها .....

أفاقت من شرودها على صوته قائلاً وهو يشير إلى إحدى

التجمعات الكبيرة :

— ما رأيك هل تريدان مشاهدة الرقص الشرقى ؟

صاحت بسرعة :

— كلا.

ابتسم فأردفت وهى تنظر إليه فى مكر :

— إلا إذا كان هناك صديقة لك تود رؤيتها.

اتسعت ابتسامته قائلاً :

— كلا، فأنا لم آت إلى هنا منذ أكثر من عشرين عاماً على الأقل،  
لم أكن فى سن تسمح بإغوائى حينها.

سارا معاً وسط الزحام الذى لم يعد يعنيهما كثيراً، وهمست  
فجأة فى صوت وصل إلى مسامعه بصعوبة مع هذا الزحام الشديد :

— ممدوح أريد أن أطلب منك شيئاً.

اقترب بأذنه منها فتابعت فى تردد :

— أنا ... أنا جائعة جداً.

قال فى تهكم :

— ظننتك ستطلبين منى أن أقبلك.

تخضب وجهها احمراراً وهى تهمس فى خجل :

— ممدوح ..!

— آسف يا طفلى العريضة إن كنت قد خدشت براءتك.

تأملته ساخطة .. فابتسم قائلاً :

— حسناً، هيا بنا.

— إلى أين ؟

— سنذهب لتناول الطعام فى أى مكان.

— كلا، أنا .....

- لا تخافى ، سأعود بك إلى هنا من جديد.
- أشارت إلى أحد الباعة الجائلين قائلة :
- أريد فطيرة بالسكر.
- همس مستنكراً :
- ليلى ...!
- جربها وأنا على يقين من أنها ستعجبك.
- هز رأسه فى عدم اقتناع ، لكنه ما لبث أن تنهد فى استسلام قائلاً :
- حسناً ، كم فطيرة تريدان ؟
- ابتسمت قائلة :
- واحدة تكفى
- ابتسم قائلاً فى لهجة ذات مغزى :
- لا أظن أن واحدة تكفى أبداً.
- اتجه إلى البائع واشترى لها ما طلبته ، تناولا وجبتهما سيراً ، حتى وصلا إلى أحد المقاهى الصغيرة فجذبها إليه قائلاً :
- تعالى لنشرب شيئاً بعد هذه الوجبة الدسمة.
- أشارت إلى صف لا نهاية له قائلة :
- ما رأيك فى قرطاس من الآيس كريم ؟
- هم بالاعتراض لكنه عاد ليشير بيده قائلاً :

— آيس كريم، هكذا تكتمل الصورة، طفلة وأرجوحة وقرطاس  
من الآيس كريم.

ضحكت قائلة :

— نسيت فطيرة السكر والصبي المجاور.

بادلها الضحك قائلاً :

— حسناً، لا تتحركى من هنا حتى أعود، فالزحام شديد  
وسأجد صعوبة فى العثور عليك.

تنهدت بعمق وهى تتأمله مبتعداً، إنه أطول الموجودين قامة،  
وأكثرهم رشاقة ووسامة، إنه الرجل الوحيد الذى شعرت وهى  
بقربه بكل هذه السعادة وكأنها لم تقابل رجلاً من قبل كما  
أخبرها، الرجل الوحيد الذى تخلت معه عن تمردها لكونها  
خلقت امرأة، كم تمنى مراراً لو أنها خلقت رجلاً، لماذا فى هذه  
اللحظة تعتز بل وتتلذذ أيضاً بكونها امرأة، بل وتعشق ضعفها  
وهى تذوب بين نظراته وابتسامته، هزت رأسها بعنف لتطرد  
منها هذه الأفكار التى لا تريد أن تصدقها، إنه ليس أكثر من  
تجربة لهدف أسمى، لقد ارتبطت به لتصعد إلى مكانة أعلى،  
لا لتهبط إلى الهاوية وتصبح إحدى غانياته كما حذروها جميعاً،  
تنهدت بعمق وأغمضت عينيها تحملها موجة من الحيرة، عادت  
لتفتحهما عن آخرهما وهى تحدى فى هذا الرجل ذى الوجه  
البشع الذى أخذ يتفرس فيها وعلى وجهه ابتسامة كريهة،  
تكشف عن أسنان أمامية شبيهة بتلك التى للفأر، أما بقيتها  
فقد تحطم بعضها واستبدل البعض الآخر بأسنان ذهبية وفضية

بدت وكأنها نثرت فى فمه الكبير بلا انتظام.

ابتلعت ريقها قائلة بصعوبة :

— أتريد شيئاً ؟

ظل يتأملها بنظرات أفزعتهما وكأنه لم يسمع ما قالته ، استدار أخيراً وقال موجهاً حديثه إلى عملاقين آخرين لا يختلفان عنه سوى فى قصر القامة ، فقد كانا يمتلكان الجسد الضخم ذاته والرأس الأصلع الصغير نفسه :

— ما رأيكما فى هذه الجميلة ؟

بادله الرجلان ابتسامته الكريهة وقال أحدهما :

— يبدو أننا سنمضى ليلة رائعة أيها الزعيم.

تلقت ليلى حولها بحثاً عمّن يساعدها ، ولدهشتها وجدت الناس يهرولون وكأنهم لا يرون شيئاً ، تحول الزحام الشديد فجأة إلى ما يشبه الصحراء ، ذهب أفكارها إلى ممدوح فوجدت نفسها تهرول بلا وعى ، بينما أسرع ثلاثتهم خلفها فى إصرار كوحوش جائعة ، شهقت فى زعر عندما جذبها أحد القائمين على الألعاب إلى مكان خفى خلف لعبته هامساً :

— ابقى هنا.

انتظرت بأنفاس لاهثة وقلب يكاد يتوقف عن النبض حتى عاد الرجل أخيراً والقلق يمالأ قسماته قائلاً :

— لقد ابتعدوا الآن، لكنهم ما زالوا يبحثون عنك، ولا أظنهم سيتوقفون عن ذلك، عليك مغادرة هذا المكان حالاً .

أجابته في زعر :

— لقد أتيت بصحبة زوجي .

قال الرجل بسرعة :

— ابحتي عنه وأسرعاً بالفرار من هنا .

ثم أردف محذراً :

— إذا سقطما في يده فلن يساعدكما أحد .

عاد ممدوح بعد عشاء بالآيس كريم الذى طلبته ليلى ، جن جنونه عندما لم يجدها وكاد أن يلقى به أرضاً لولا أنه لمحها تتجه إليه عدواً، فتح فمه ساخطاً ليقول شيئاً لكنها ابتدرته قائلة :

— أريد العودة إلى المنزل .

حدق فيها بدهشة قائلاً :

— ماذا حدث ؟ لم يكن هذا رأيك منذ قليل ؟

أجابته بصوت مرتبك :

— أشعر بصداع رهيب لا يمكننى تحمله .

قال ساخراً :

— صداع أم مغص ؟!

تحجر الدمع فى عينيها وهى تهمس بصوت مختنق :

— ممدوح أرجوك عدْ بى إلى المنزل ولا تسألنى لماذا.

تأملها ملياً ثم قال فى نبرة هادئة :

— أَلن تتناولى الآيس كريم أولاً ؟ لقد انتظرت فى صف لا نهاية له حتى حصلت عليه .

تناولت قطعتها بيد مرتعشة، وهى تتلفت حولها فى زعر بينما عينا ممدوح لا تفارقان وجهها فى محاولة لمعرفة ما لا تريد الإفصاح عنه، ما كاد الآيس كريم يمس شفقيها حتى لمحت رأساً أصلع فسقط من يدها أرضاً وهى تهرول إلى المقهى القريب، تاركة ممدوح يتلفت حوله فى جنون قبل أن يتبعها إلى الركن المظلم الذى قبعت فيه .. تدفن وجهها بين كفيها .. وما كاد يمسهما حتى انتفضت مذعورة وانهمرت دموعها كالطرر، قربها منه ليضمها إليه صامتاً وراح يمسح شعرها فى حنان لم تعهده فيه كثيراً حتى هدأت أنفاسها أخيراً فرفعت وجهها إليه وتلاقت عيونهما فهمس :

— هل أنت أفضل الآن ؟

هزت رأسها صامتة، وابتعدت عنه قليلاً، ويداه ما زالتا تحتضنان يديها وتغمرانها بدفء هى فى أمس الحاجة إليه .. قال بعد فترة من الصمت :

— هلا أخبرتنى الآن عما يسبب لك كل هذا الذعر.

هزت رأسها قائلة :

— لا شئ

تنهد بصبر نافذ وهو يضغط على حروفه قائلاً :

— ثقى أننى أستطيع حمايتك يا ليلى.

تأملته طويلاً، ليقبل ما يشاء فهو لم ير هؤلاء العمالقة بعد، ولكم تتمنى ألا يراهم، أبدأً لأنها على يقين من أن جنونه وتهوره وعجرفته التى لا حد لها ستدفعه إلى المواجهة، وبعدها .. ربما تخسره للأبد، لقد طلبت من الله مراراً أن يوقعه فى قبضة من لا يرحم حتى تنتقم منه، لكنها الآن لا تريد شيئاً من هذا، لا تريده أبداً.

فوجئت به يقبل يديها هامساً :

— ليلى ... أين أنت ؟

تنهدت فى مرارة قائلة :

— للأسف، ما زلت هنا، هيا بنا نذهب.

نظر إليها فى مزيج من العتاب والغضب قائلاً :

— ما زلت لا تثقين بى.

مشت معه وخطواتها تسابق خطواته، وهى تنظر حولها فى كل الاتجاهات، تلاقت عيناها الفزعة بعينى ممدوح الثائرة فأسرعت تبعدهما فى توتر .. عض هو على شفتيه حتى كادت أن تنزفا، كانت تنظر خلفها بينما تسرع الخطى بصبر نافذ لتتخلص من الأمتار القليلة التى تفصل بينها وبين بوابة الخروج، شهقت فزعاً ويأساً حين استدارت فجأة تحديق فى هذا الوجه الذى زادتة قبحاً ابتسامته الكريهة قائلاً :

- تأخرت يا جميلتي ، لقد انتظرناك طويلاً لكننا لم نفقد الأمل.
- وفى عيني ممدوح لمحت كل مخاوفها ، فهتفت وهى تتعلق به فى توسل :
- ممدوح ، ليس من الشجاعة أن تدخل فى معركة تعلم مسبقاً أنها خاسرة .
- أجابها فى تهكم :
- ربما الشجاعة هى أن أقدمك هدية لهم !!
- أيقنت أنها لن تستطيع إقناعه مهما قالت له .. فوجهت حديثها إلى العملاق قائلة :
- سأذهب معكم بعد أن تتركه يمضى .
- ابتسم الرجل فى شراسة قائلاً :
- حسناً ، يمكنه أن يذهب الآن ، لقد انتهت مهمته على أية حال .
- انكشفت ليلى فى رعب حينما اقترب منها ومد يده ليجذبها نحوه ، لكن قبضة ممدوح كانت أقرب إليه منها فسقطت على فكه كالصاعقة ، وهو يصرخ فيه غاضباً :
- ابتعد عنها أيها الخرتيت .
- استعاد العملاق توازنه سريعاً ، وراح يقترب من ممدوح والشرر يتطاير من عينيه قائلاً فى لهجة بثت الرعب فى قلب ليلى :
- سأحطم عنقك أيها الو....

وقبل أن يكمل عبارته كان ممدوح قد انهال عليه بسيل من اللكمات العنيفة التي أفقدته ما تبقى في فمه من أسنان دفعة واحدة، بينما التفت الجموع من حولهما وهم ينظرون إلى ممدوح في ذهول وإعجاب، أما ليلى فقد اتسعت عيناها عن آخرهما وهى تحدق فى ممدوح شاردة، ها هى قد استطاعت أخيراً أن تكشف عن وجه ذلك الفارس المثلث الذى طالما داعب أحلامها فى اليقظة والنام، وبحثت عنه طويلاً فلم تجده حتى ظنت أن لا وجود له، إنه هو من تحب، لن تنكر ذلك بعد الآن.

أفاقت من شرودها حين أمسك بها أحد العملاقين الآخرين بطريقة مقززة، فصرخت تستنجد بممدوح الذى ما كاد يستدير إليها حتى انتهز العملاق الذى يصارعه هذه الفرصة ليهوى بقبضته على فكه ويمزق شفثيه، غير أن الأخير لم يبال واتجه إلى ليلى، لكن العملاق عاد ليركله بعنف فى ساقه المصابة، حاول ممدوح تحمل آلامه صامتاً ف صرخت ليلى :

— ساقه مصابة أيها المتوحش.

نظر إليها ممدوح فى غضب لم تستطع فهمه إلا عندما عاود العملاق ركلاته العنيفة على الساق المصابة حتى سقط ممدوح أرضاً، وهو يصرخ فى ألم شاركته فيه ليلى وهى تهتف باسمه فى لوعة جعلت العملاق يستدير إليها قائلاً :

— ما الذى يروك فى هذا الوغد حتى تضحى بنفسك من أجله ؟

انهمرت دموعها وهى تتطلع إلى وجه ممدوح الذى تصبب عرقاً وبدأ وكأنه يلفظ أنفاسه الأخيرة، فعاد العملاق يصرخ فى

هستيريا وهو ينظر إلى ممدوح فى تشف :

— عيناه الجميلتان أم لسانه الوقح ، قولى يا جميلتى وسأسمح لك بالاحتفاظ به .

اقترب من ممدوح وهو يزمجر فى وحشية قائلاً :

— أنا أفضل أن أقتلع عينيه .. وسأمنحهما لك هدية .

صرخت ليلى فى جنون وراحت تتشبث بملابسه يائسة ليبتعد عنه ، ولكنه أزاحها بعيداً كريشة فى مهب الريح .. تراجع المحيطون بهما فى زعر دون أن يجروُ أحد منهم على التدخل ، بينما انحنى العملاق لينفذ فعلته البشعة ، لكنه ما كاد يفعل حتى اصطدمت رأسه بضربة قوية سددها له ممدوح بساقه السليمة ، ضربة جمع فيها كل ما يعتمل فى نفسه من ألم وغضب وخوف على ليلى ربما أكثر من خوفه على عينيه اللتين هدده باقتلاعهما .. ضربته كانت كالجبل الذى انهار فوق رأس العملاق ، فسقط أرضاً مصدراً صوتاً عنيفاً وكأن قنبلة قد انفجرت ، استيقظ على أثرها ذلك الحشد المحيط بهما ، أسرع الرجال فى صحوة استغرقت زمناً لتحدث ، فانقضوا على العملاقين الآخرين اللذين حاولا الهرب دون جدوى ، أوسعوهما ضرباً ثم قيدوهما بالحبال انتظاراً لوصول الشرطة .

اندفعت ليلى إلى ممدوح تحتضنه قائلة :

— ممدوح .. حبيبى .. كنت رائعاً .. من علمك كل هذا ؟

غمغم قبل أن يفقد الوعي :

— صحبة النساء

فتح عينيه ببطء ليجد نفسه فوق فرش لأحد العاملين بالملهى ،  
محاطاً بعشرات الرجال والنساء ، ابتسم أحد الرجال الذى فهم  
ممدوح من مظهره أنه الطبيب قائلاً :

— حمداً لله على سلامتك أيها البطل ، لقد حققتك ببعض المسكنات ،  
لكنك يجب أن تعرض نفسك على المتخصص مرة أخرى .

انصرف الرجل تاركاً ممدوح وسط عشرات المراهقات ، اللواتى  
تسابقن لخدمته و بدت ليلى على رأسهن ، يقدمن له الشراب  
المثلج والساخن ، ويجففن له العرق المتصيب على وجهه ، ويهمسن  
فى أذنيه بسيل من عبارات الإعجاب والغزل ، حاولت ليلى  
التخلص منهن دون جدوى حتى هتفت إحداهن ساخطة :

— صديقتك تغار عليك بشكل لا يطاق .

بادلتها ليلى سخطها قائلة :

— أنا زوجته ولست صديقه .

همس ممدوح فى أذنها مبتسماً :

— أرجو أن تتذكرى هذا حين نعود للمنزل .

تجاهلت عبارته قائلة :

— هؤلاء هن حشراتك إذاً .

ابتسم قائلاً :

— حشرات صغيرات لم تنضج بعد .

زفرت بصبر نافذ قائلة :

— هل نستطيع الذهاب الآن ؟

أجابها وهو يحاول النهوض :

— أظن هذا

مشيت بجواره مزهوة، وقد جعله المحيطون به بطلاً بعد أن خلصهم من هؤلاء الأوغاد الذين حولوا الملاهي إلى مدينة للرعب، وهم يهاجمونها من وقت لآخر للسطو على الرجال أو خطف النساء كما فعلوا اليوم.. ولم يجرؤ أحد على الشهادة ضدهم، سواء من العاملين بالملاهي أو مرتاديها خوفاً من بطشهم، عرض عليه بعض الرجال توصيله إلى منزله لكنه رفض هذا زاعماً أنه أصبح بخير .

ما كاد ممدوح يضع ساقه فى السيارة حتى وجد إحدى الفتيات العاملات بالسيرك وقد أقبلت نحوه تحمل فى يدها عقداً من الفل، ووقفت على بعد أمتار قليلة، وهى تهتف باسمه هائمة، غادر السيارة متجهاً إليها فوضعت العقد حول عنقه، ثم ما لبثت أن قبلته فى مزيج من الشوق والخجل، فقبلها وهو يهمس مبتسماً :

— أشكرك.

اتجه عائداً إلى السيارة، فلحقت به، وعادت تهمس من جديد غير عابئة بوجود ليلى التى احترق وجهها غضباً وغيره :

— ستأتى مرة أخرى للاطمئنان علينا، أليس كذلك ؟

— يسعدنى هذا يا جميلتى.

\*\*\*

ساد الصمت بينهما طويلاً، رفع بصره عن الطريق قليلاً لينظر إليها فوجدها تحددق فى وجهه شاردة .. ابتسم فى تهكم قائلاً :

— هل أبدو أكثر وسامة الآن، وهذه الضمادات تزين وجهى؟!!

أحنت وجهها ولم تعلق فى حين أردف فى لهجة لا تخلو من الغضب :

— هل تلذذت بمشاهدتى وأنا أصرخ كالنساء؟

هتفت مستنكرة :

— ألم تلاحظ أننى حاولت أن أجنبك كل هذا منذ البداية؟

أجابها ساخطاً :

— لأنك بلهاء، لا تثقين فى البتة.

زفرت بضيق بينما تابع :

— كيف تخيلت أننى يمكن أن أخرج مع امرأة لا أستطيع حمايتها!!

تنهدت بعمق وهى تلتهم قسماته، خيل إليه أنها لا تصدقه

فهتف غاضباً وهو ينظر إليها :

— اعلمى أنه لولا إصابتى لقتلت ثلاثتهم.

ظلت تتأمله صامتة، بينما هتف يعاتبها مرة أخرى.

- لو أخبرتنى بالأمر منذ البداية، لاتخذت بعض الحذر .. وما كنت فوجئت بهم كما حدث
- هتفت أعماقها فى توسل :
- بالله كفاك واصمت ، لن أستطيع أن أحبك أكثر من هذا.
- ساد الصمت بينهما من جديد حتى قطعته وهى تحاول أن تخفى انفعالاتها قائلة :
- هل أعجبتك ؟
- ألقى عليها نظرة سريعة قائلاً :
- من هى ؟
- لا تتصنع الجهل.
- أتكرين أنهن كن كثيرات.
- تلك التى قبلتها متجاهلاً وجودى.
- فتاة السيرك .. أتسمين هذه قبلة ؟
- وماذا تسميها أنت إذا ؟
- رد فعل ، فتاة قبلتنى ، ماذا كنت تريدننى أن أفعل معها ، هل أصفحها ؟
- كلا ، تقبلها !!!
- وهذا ما فعلته ، فلماذا أنت غاضبة ؟

هتفت مستنكرة :

— أنت لا تطاق

ضحك ولم يعلق، وساد الصمت من جديد، وعادت تقطعه  
أيضاً قائلة :

— هل هي أجمل مني ؟

أجابها دون أن ينظر إليها :

— أنت أجمل امرأة رأيته في حياتي.

تهلل وجهها قائلة :

— أحقاً يا ممدوح ؟

— نعم

— لماذا لا تكتفى بي إذا ؟

— ماذا ؟

— لماذا تنظر للأخريات مادمت تراني جميلة ؟

— اسمعيني يا ليلي ، وحاوولي أن تتفهمني الأمر ، أخبرتك من قبل  
أن الأسد هو حيواني المفضل ، لكنني لن أذهب إلى حديقة  
الحيوان لأمضي الوقت كله أمام قفصه أتغزل في مفاتنه وحده.

صاحت غاضبة :

— مع احترامي لعشقك الشديد للأسد لكنني لا أرضى أن تشبهني به.

ابتسم قائلاً :

— حسناً ما رأيك فى التفاح يا تفاحتى ؟

صاحت بصبر نافذ :

— التفاح شئ والنساء شئ آخر !

ضحك قائلاً :

— أنتن أشهى بالطبع.

عادت تكرر فى مرارة :

— أنت لا تطاق، أنت حقاً لا تطاق.

تأملها ضاحكاً :

— أنت تتصرفين كالمراهقات يا ليلى.

— المراهقات، منذ قليل كنت ترانى طفلة والآن ترانى مراهقة،

وماذا بعد ؟

همس فى وقاحة :

— أتمنى أن تبلغى مرحلة النضج حين نصل للمنزل.

أبعدت وجهها عنه فى ضيق لكنها وجدت نفسها تستدير نحوه وفى حركة لا شعورية، امتدت يدها إلى عقد الفل الذى يحيط عنقه وكأنه ذراعاً تلك الفتاة الوقحة، انتزعتة فى قوة لتلقى به من نافذة السيارة .

جن جنونه، وكاد أن يصفعها فصاحت غاضبة :

— ألم تقل من قبل إنك لا تحب القيود، أم أن قيدها له ملمس آخر؟

صاح ثائراً وهو يعرض على شفتيه :

— لتذهبن جميعكن إلى الجحيم، لقد كدت تتسببين فى كارثة، ألم تلاحظى تلك المقطورة التى كدت أن أصطدم بها ؟

شعرت بالخجل من سلوكها الذى لا مبرر له سوى حماقتها، فانهارت باكية وزاد من نحيبها كونه لم يلتفت إليها، ولم يحاول أن يهدئ من روعها، كيف أمكنها أن تتخيل منذ قليل أن هذا المتحجر هو فارسها الذى طالما انتظرتة ؟ ألكونه وسيماً وشجاعاً وأنيقاً والشهد يقطر من شفتيه حتى عندما يسخر منها و.....؟!!

عادت تنتحب بصوت أعلى فالتفت إليها فى دهشة ثم زفر بضيق قائلاً :

— كفى، لست فى حاجة إلى المزيد من التوتر.

وصلا أخيراً إلى المنزل، وما إن التفتت إليه حتى شعرت بالقلق، كان وجهه يتصبب عرقاً ويكسوه ألم واضح، قال بصوت واهن :

— هيا لقد وصلنا.

سألته فى قلق :

— ماذا بك ؟

أجابها وهو يعرض على شفتيه ألماً :

— يبدو أن مفعول المسكن قد ذهب.

— استند إلى حتى نصل إلى غرفتنا.

وصل إلى مسامعها صوت ارتطام عنيف لم يستطيعا تحديدا هويته ، صرخت نجوى فى ثورة وغضب لم تستطع التحكم فيهما :

— انظرى ، انظرى ماذا فعلت به هذه القروية ، انظرى ماذا يرتدى؟ انظرى كيف يحيطها بذراعه مشتاقاً وكأنه لم يمض معها كل هذا الوقت حتى الثالثة صباحاً ، سأجن يا سميرة ، سأجن ... احتضنتها سميرة وهى لا تدرى ماذا تقول .. غمغمت أخيراً وهى تتصنع ابتسامة :

— لم كل هذا القلق ؟ فهى ليست المرة الأولى التى يذهب فيها مع أخرى للنزهة ، غداً سيعود إليك من جديد.

حاولت نجوى التحكم فى دموعها المنهمرة ، وقالت بصوت مختنق :

— هذه المرة ينتابنى خوف رهيب ، أشعر أن ممدوح تغير ، مهما حاولت أن أنكر هذا ، لكنه تغير ، أخشى أن أفقده للأبد ، إن لم أكن قد فقدته بالفعل.

— أنت تبالغين كثيراً .. لو أنه يهتم بها كما تقولين ما كان تركها وأمضى كل الوقت معنا منذ مجيئنا إلى هنا .. ألم تلاحظى هذا ؟..

غمغمت من بين دموعها

— حتى وأنا بين ذراعيه أشعر به غريباً وبعيداً عنى .. أصبح دائم الشرود وكأنه فى عالم آخر .. كان ينسى الأخريات ما إن يتركهن لم يكن أبداً بهذا الفتور نحوى.

تحسست ليلى جبهة ممدوح التى ذهب لونها وهى تهتف  
فى هلع :

— سأستدعى الطبيب حالاً.

أشار محذراً :

— ليس دكتور قيس يا ليلى.

استدارت إليه وغمغمت فى دهشة :

— من هو دكتور قيس هذا ؟

ثم ما لبثت أن ابتسمت حين أدركت ما يعنيه، وهى تغمغم  
بصوت لم يصل إلى مسامعه

— أنا لا أريد قيساً سواك أيها المتوحش.

حاولت ليلى الوصول إلى الطبيب عن طريق الهاتف دون  
جدوى، عادت تنظر إلى ممدوح فى قلق، كان يعض على شفثيه  
صامتاً رغم الألم الهائل الذى يصرخ فوق ملامحه، وكأنه يخشى  
أن يتأوه فتشمت به، هذا المعتوه ..!

لا يدري أنها تتألم لآلامه ربما أكثر منه.

هل تذهب لتوقظ والدته ؟ لكن ماذا ستفعل هذه الأخيرة سوى  
النحيب والبكاء، برقت عيناها وأسرعت تهبط الدرج حتى وصلت  
إلى الغرفة التى يقطنها رفاقه وطرقت بابها فى بعض التردد،  
دلفت إلى الغرفة فى ببطء وخجل بعد أن وصل إلى مسامعها صوت  
يدعوها للدخول، هب أشرف واقفاً ما إن رآها وكذلك فعل عادل،

أما كمال فلم يشعر بوجودها وقد استغرق فى سبات عميق.

سألها أشرف فى قلق :

— ليلي !! ماذا حدث ؟

وقبل أن تنتهى من سرد ما حدث، كانا قد بدلا ثيابهما غير عابئين بوجودها فى الغرفة، قال عادل وهو يتجه للباب :

— سأذهب أنا لاستدعاء الطبيب، وابق أنت يا أشرف مع ليلي ربما احتاج ممدوح شيئاً.

ما كاد ممدوح يبصر ساقه وقد كساها الجبس من جديد حتى صرخ ساخطاً :

— كلا، ليس مرة أخرى

ابتسمت ليلي للتخفيف عنه قائلة :

— عشرة أيام فقط، وسوف ينزعه الطبيب.

أمسك فجأة بذراعها قائلاً :

— من الذى قام بوضع الجبس فوق ساقى ؟

صمتت فى حيرة فازداد ضغطاً على ذراعها قائلاً :

— دكتور قيس أليس كذلك ؟

هتفت فى بلاهة :

— اسمه الدكتور مسعود.

صرخ فى عصبية قائلاً :

— فليذهب إلى الجحيم، هل انتهزتما فرصة غيابوتى لتمضيا الوقت معاً فى غرفة نومى

تأوهت فى ألم قائلة :

— يبدو أنك ما زلت تهذى.

استمر فى الضغط على ذراعها غير مبال بالآلامها قائلاً :

— لا تظنى أن وجودى فى الفراش سيتيح لك الفرصة لفعل ما يحلو لك يا ليلى، يمكننى قتلك دون أن أتحرك من مكانى هذا.

طرقات على باب الحجرة أوقفت صراخه فدفعها بعيداً فى ضيق، دلف أشرف إلى الحجرة مبتسماً وقال :

— كيف حالك الآن أيها الزعيم ؟

أجابه ممدوح ساخطاً :

— لست أدرى أية كارثة تلك التى حلت بى ..!

ضحك أشرف قائلاً :

— أخبرت الطبيب بأنك ستثور حين تستيقظ من غيابوتك.

سأله ممدوح فى لهفة :

— هل كنت معى أثناء غيابوتى ؟

— وهل كنت تتوقع غير هذا ؟ فعلت ليلى الصواب عندما لجأت إلينا.

قال ممدوح وهو ينظر إلى ليلى :

— ألم تجد سوى هذا الطبيب لتأتى به ؟

ابتسم أشرف وهو ينظر إلى ليلى بدوره :

— يبدو أنه الوحيد المقيم فى مركز الصحة.

عاد ممدوح ينظر إلى ليلى التى بادلته نظراته غاضبة ، وازدادت ضيقاً وغضباً عندما دلف إلى الحجرة عادل وكمال وبصحبتهمما نجوى وسميرة، تأملت نجوى ما حولها حاقدة وما لبثت أن أسرعرت لترتمى بين ذراعى ممدوح وهى تهتف متصنعة الجزع :

— ممدوح حبيبى ... ماذا حدث لك ؟

ابتسم هو فى لا مبالاة قائلاً :

— مشاجرة بسيطة.

ابتسمت فى مكر قائلة :

— كان ينبغى عليك أن تستمع إلى نصيحتى ، ولا تخرج بمفردك وأنت ما زلت فى مرحلة النقاهة.

قال كمال فى حماسة :

— تقول ليلى إنك أديت عرضاً رائعاً، هزمت فيه ثلاثة عمالقة.

ضاقت عينا ممدوح قائلاً :

— لقد ضربت واحداً فقط ، أعاققتنى إصابتى من فعل المزيد.

نظرت إليه نجوى قائلة :

- إلى أى الملاهى ذهبتما ؟
- ابتسم ممدوح وهو ينظر إلى ليلى قائلاً :
- ملاهٍ لم تخطر ببالك أبداً.
- نظرت إليه فى تساؤل، فأتسعت ابتسامته قائلاً :
- ما رأيك فى الأراجيح ؟
- شهقت نجوى مستنكرة :
- ماذا .. هل أنت جاد ؟
- نظر رفاقه إلى ليلى ضاحكين مما جعلها تشعر بالحرى الشديد، فصاحت غاضبة :
- لا تنكر أنك كنت مستمتعاً بكل لحظة هناك حتى حدث ما حدث.
- همت بمغادرة الغرفة، فأمسك بها أشرف قائلاً :
- ليلى نحن نمزح معك، إن كنت غاضبة من وجودنا يمكننا نحن أن ننصرف.
- تنهدت بضيق وهى تنظر إلى نجوى قائلة :
- لست أنت من يضايقنى على أية حال.
- نظر إليها أشرف وابتسم صامتاً بينما صاح عادل :
- ليلى .. عندما تفكران فى الذهاب إلى هناك مرة أخرى سأكون فى المقدمة .. فهو تغيير نحتاجه جميعاً.

وأردف كمال :

— عندما يشفى الزعيم لابد أن نذهب إلى هناك.

ابتسمت ليلي راضية، فى حين صاحت نجوى مستنكرة :

— يمكنكم أنتم الذهاب، أما أنا وممدوح فدعونا نذهب إلى أماكن أكثر تحضراً ورقياً، ويكفى ما أصابه هناك فى تلك المناطق الغوغائية.

أجابتها ليلي فى حدة :

— ممدوح فى غاية الشوق للذهاب إلى هناك ليقتل هذا العملاق الذى حاول تقبيلى.

ابتسمت نجوى فى لا مبالاة قائلة :

— عجباً، مع أن مظهرك يومها لم يكن على قدر من الإغراء.

\*\*\*

## رجل لكل النساء

انتهى دكتور مسعود من نزع جبيرة الجبس عن ساق ممدوح للمرة الثانية، وقال موجهاً حديثه إليه :

— حمداً لله، لا توجد خطورة حتى الآن، ولكن عليك توخى الحذر فى المرة القادمة.

حانت منه التفاتة حانية إلى ليلى التى تعمدت الوقوف بجوار ممدوح وكأنها سمرت فى مكانها، أشاح ببصره مرغماً أمام نظرات ممدوح الغاضبة، ثم ما لبث أن غادر وهو يغمغم :

— أتمنى أن تكون هذه هى المرة الأخيرة، حتى لا تحدث مضاعفات.

التفت ممدوح إلى ليلى الشاردة قائلاً :

— بماذا تفكرين ؟

تنهدت قائلة :

— لا شئ.

حاول أن يبدو هادئاً وهو يتأملها قائلاً :

— ما مدى علاقتك بدكتور قيس هذا ؟

- اسمه دكتور مسعود.
- تأملها غاضباً فأردفت :
- مجرد صداقة.
- قال فى تهكم :
- صداقة ، من أى نوع ؟
- حدقت فيه غاضبة :
- ماذا تعنى ؟
- قال ساخراً :
- أخشى أن تكون صداقتك معه من نوع صداقتى بـ نجوى.
- صاحت مستنكرة :
- هل تسمى ما بينك وبين تلك الساقطة صداقة ؟!
- تابع بنفس اللهجة الساخرة :
- ربما الحمى التى تصيبه كلما رآك هى الصداقة بعينها ..!
- لا تظن أن الرجال جميعاً مثلك.
- تجاهل غضبها قائلاً :
- فيما كنتما تتحدثان فى الحديقة ؟
- أشار محدزاً وأردف :
- ولا تقولى أنه كان يحدثك عنى ؟

- نعم هذا ما حدث بالفعل.
- جذب ذراعها فصرخت فيه ساخطة :
- كف عن عنفك معي ، تذكر أنني امرأة.
- تأملها في وقاحة قائلاً :
- لست في حاجة لتذكر كونك امرأة ، فأنا أرى هذا دائماً ، لكنك من تصرين على الإنكار.
- تلاقت عيناها في نظرة طويلة ، استسلمت بعدها لسيل من قبلاته الشرهة ، حتى استطاعت أن تتحرر منه أخيراً قائلة بأنفاس لاهثة :
- عليك أن تعلم بأنني لن أسمح لك بأكثر من هذا ، حتى تصبح رجلى.
- حرق فيها وهو يهتف مستنكراً :
- كفى بلاهة يا ليلي ، رجل من أنا إذا ؟
- أنت رجل لكل النساء.
- وكيف تريدني أن أكون ؟ مثل هذا القيس ؟
- ومن أوصلك أنت لقيس ؟
- قيس هذا كان أحرق ، ترك امرأة تسلبه عقله .
- قيس كان عاشقاً وظل مخلصاً لعشقه حتى الموت .
- كفى أوهاماً ، إن كنت أصدق شيئاً في هذه الأسطورة الغيبية ، فهي أن قيس هذا كان مجنوناً .

- ليتك تجن مثله إذاً.
- أهذا ما تريدينه ؟ أراهنك بعدها ستهجريننى بلا رحمة.
- تنقصك بعض الثقة بالنساء.
- بعض الثقة ! أنا لا أثق فيمكن أبدأً، وهذا ما يجعلنى ممدوح سالم .
- يا لك من متعجرف ، تتحدث عن نفسك وكأنك من بنى الأهرامات.
- أنا لا أبني الأهرامات ، بل أسقطها.
- زفرت فى ضيق ، بينما ابتسم وهو يتأملها قائلاً :
- أتنكرين ذلك يا هرمى الأكبر ؟
- أنت لا تطاق.
- احتضن وجهها بين راحتيه ، وعيناه تغزو عينيها قائلاً :
- لكنك سقطت فى حبي ، أليس كذلك ؟
- لا أعلم سوى شىء واحد ، وهو أننى لن أكون لك قبل أن تكون أنت أيضاً لى .
- أنت تلعبين بالنار يا لىلى ، حذار أن تقتربى من حصونى أكثر من هذا.
- لا تدرى كيف استسلمت لقبلاته كالمسحورة من جديد ، لكنها ابتعدت عنه فى حدة حين دلف أشرف إلى الحجره فجأة .. وكأن

ارتباكها قد انتقل إليه فغمغم فى بعض الخجل :

— لقد طرقت الباب ولكن يبدو أنكما .....

عضت ليلى على شفيتها فى خجل ، بينما صاح به ممدوح ساخطاً :

— ماذا حدث لك ؟

عاد يردف فى لهجة ما زال الخجل يشوبها :

— لقد نسيت أن آخذ معى الورقة التى كتبها الطبيب لكى  
أحضر الدواء.

ناولته ليلى الورقة دون أن تجرؤ على رفع وجهها إليه ،  
فانصرف وهو ينظر إلى ممدوح مبتسماً ، غمغم ممدوح وهو ينظر إلى  
ليلى فى تهكم :

— يبدو أن حماقتك شديدة العدوى.

— ليت عداها تنتقل إليك إذاً ، فربما أصابتك ببعض الحياء .. !

\*\*\*

فى المساء دلفت ليلى إلى حجرتها لتوقظ ممدوح ، لكنها وجدته  
واقفاً أمام المرآة وقد انتهى تقريباً من ارتداء ملبسه ، حدقت فيه  
قائلة :

— ماذا تفعل ؟

— كما ترين ، لقد مللت جدران هذه الحجرة.

قالت فى بعض التردد :

- هل يمكنني الذهاب معك ؟
- نظر إليها قائلاً
- لن نكون بمفردنا.
- ابتسمت في مكر قائلة :
- هل أنت خائف أم أن هذه نصيحة نجوى ؟
- بادلها الابتسام قائلاً :
- كفى عن استفزازي يا ليلي ، هل ستأتين معنا ؟
- إن لم يكن لديك مانع.
- ابتسم وهو يقبلها قبلة صغيرة قائلاً :
- سأنتظرك بالأسفل ، لا تتأخري.
- ما كاد يصل إلى باب الحجرة حتى استدار إليها وقال محذراً :
- ليلي ... سنذهب إلى ملهى ليلي هذه المرة
- ظل يذرع الغرفة ذهاباً وإياباً وهو يغمغم ساخطاً :
- اللعنة على النساء جميعاً ، لمَ كل هذه العطلة ؟
- خرجت نجوى من غرفتها أخيراً ، وقد أعادت زينتها من جديد بعد علمها بوجود ليلي معهم ، التفتت إلى ممدوح قائلة :
- ما رأيك الآن ؟
- تأملها بإعجاب قائلاً :

— رائعة، أنت دائماً رائعة يا نجوى.

قالت ماكرة :

— أرجو أن لا ترتدى ليلى الجينز.

ابتسم ممدوح قائلاً :

— لا أظن.

— هذه البلهاء لها ذوق قروى لا يطاق.

نظر إليها صامتاً وهو يجلس ساخناً في انتظار ليلى ، فجلست فوق مسند كرسيه وهمست فى دلال :

— ممدوح، أنا من ستجلس بجوارك، أليس كذلك ؟

ابتسم فى خبث قائلاً :

— أنا سأجلس بجوار أشرف، ربما أمكنك الجلوس بجوار ليلى فى المقعد الخلفى.

— وماذا عن سميرة ؟

نظر إليها مستنكراً، فتابعت فى وقاحة :

— سميرة ستكون معنا فى السيارة.

— وماذا عن ليلى ؟

لوت فمها فى مزيد من الدلال قائلة :

— يمكنها أن تتركب فى السيارة الأخرى ، لقد أصبحت علاقتها حميمة جداً معهم وكأنها تعرفهم منذ دهر كامل.

— ما هذا الهراء ؟ كوني معقولة يا نجوى.

— وهل طلبت المستحيل ؟

— هل نسيت أنها زوجتى ؟

نهضت غاضبة :

— قلت لك مراراً، كف عن ترديد هذه الكلمة أمامى.

استدار ممدوح إلى حيث تعلقت عيناها فجأة قبل أن تغادر الغرفة ساخطة، كانت ليلى تهبط الدرج فى نعومة، وعلى شفيتها تالأت ابتسامة أحلى من كل الجواهر التى تزينت بها، والتى تحلى بها فستانها السماوى الرائع الذى التصق بجسدها فى عشق تولد عنه أنوثة طاغية، صعد ممدوح الدرجات المتبقية عدواً.

همست فى دلال :

— هل يعجبك هذا ؟

همس وهو يقبل يدها :

— ماذا ترين ؟

\*\*\*

شعرت نجوى بالجنون وهى تصرخ فى عادل قائلة :

— لماذا تصر على أن تكون سيارتنا فى المقدمة ؟

كان عادل قد فهم الإشارة التى وجهها إليه أشرف بناء على طلب ممدوح فقال ممطلاً :

— ولماذا تصرين أنت على السير خلفهم ؟

— عادل ، هل أصابك العته فجأة ؟

— الطريق ضيق كما ترين وأخشى أن أعرضكما لمكروه.

— تتحدث وكأنها المرة الأولى التى نسلك فيها هذا الطريق.

جلست ليلى بجوار ممدوح على المقعد الخلفى وقد أحاطها الأخير بذراعه ، بينما احتضن كفيها بيده الأخرى مما جعل قلبها يهتف فى عنف حتى كادت تبكى وهى تتلقى الترحيب من أشرف وكمال بكل العبارات الرائعة .. ما إن بدأ الطريق يزدحم بالسيارات حتى غمز ممدوح لأشرف قائلاً :

— نريد أن نرى مهارتك فى القيادة يا أشرف.

ضحك أشرف وهو ينعطف بالسيارة فجأة فى طريق جانبى تاركاً السيارة التى يقودها عادل فى الطريق الآخر.

فابتسم ممدوح بينما غمغمت ليلى :

— ماذا تفعلون ؟

ضحك أشرف قائلاً :

— نلهو قليلاً.

توقفوا بالسيارة أمام مقهى كبير لبيع المشروبات الساخنة والمثلجة ، وسألهم أشرف :

— ماذا أحضر لكم ؟

قال كمال بسرعة :

— عصير مانجو

نظر ممدوح إلى ليلى وقال مبتسماً :

— بل آيس كريم.

ضحك كمال قائلاً :

— منذ متى وأنت تأكل الآيس كريم ؟!

بادله أشرف دهشته قائلاً :

— ما هذه الطفولة المتأخرة أيها الزعيم ؟!

همس ممدوح فى أذن ليلى :

— هل أخبرهما ؟

اتسعت عيناها الجميلتان تحملان التحذير والرجاء معاً، فابتسم

ممدوح قائلاً دون أن يرفع عينيه عنها :

— ليلى تحبه كثيراً

ابتسم أشرف قائلاً :

— إن كان الأمر كذلك، فليحيا الآيس كريم.

انتابها بعض الضيق عندما عاد أشرف إلى القيادة من جديد،

معلناً انتهاء اللحظات السعيدة التى تمضيها مع ممدوح بعيداً عن

غريمتها، يا لها من لحظات رائعة، ليتهما تدوم للأبد.

همس ممدوح وهو يتأملها :

— هل أنت سعيدة ؟

— جداً.

مال عليها يقبلها، فابتعدت عنه فى خجل هامسة :

— ممدوح، لسنا بمفردنا

استدار إليهما كمال قائلاً :

— لا عليك يا ليلي، نحن معتادون منه على ما هو أكثر من هذا.

عضت ليلي على شفيتها، بينما أزاحه ممدوح فى عنف قائلاً :

— انظر أمامك يا ذنبي الأسود.

\*\*\*

حدقت نجوى فى ممدوح بغضب وهو يقترب منها مبتسماً ،

جلس بجوارها قائلاً فى لا مبالاة :

— هل تأخرنا عليك ؟

ضحك فى مرح عندما أعلنت نظراتها بأنها تتمنى قتله ، بينما

ابتسمت ليلي مرغمة وهى تشعر بالشفقة تجاه نجوى، وتجاه نفسها

أيضاً، يا له من قدر هذا الذى أوقعها فى عشق رجل بهذه القسوة،

قدر وضعها فى موقف، لو أقسم كل من تعرفهم ومن لا تعرفهم منذ

أيام قليلة بأنها ستوضع فيه لكذبهم جميعاً واتهمتهم بالجنون.

رغم ما تشعر به نجوى من ضيق بالغ، فقد أصرت على أن لا تدع ليلى تنعم وحدها بهذه السهرة أبداً، لن تدعها تخطف منها ممدوح مهما حدث، ابتسمت وهي تعاتبه فى دلال مفرط، وراحت تهمس فى أذنه بعبارات لم تسمع منها ليلى شيئاً، عدا هذه الضحكات التى تعقب الهمس حتى شعرت بالجنون وارتفعت حرارتها غيضاً.

أقبل الجرسون فى هذه الأثناء وقدم لهم قائمة الطعام، فنظر ممدوح إلى نجوى قائلاً :

— ماذا تفضلين ؟

همست فى نبرة بدت ليلى كريهة جداً :

— ألم تعرف بعد أن أفضل ما عندى هو ما تفضله أنت ؟

ابتسم ممدوح، وهو يلقي على ليلى نظرة عابرة قائلاً :

— سأطلب لثلاثتنا إذاً، لحوماً باردة و.....

قاطعته ليلى ساخطة :

— يمكننى أنا أن أطلب ما أريد.

حذق فيها وهو يقدم لها قائمة الطعام صامتاً، فقالت فى محاولة لاستفزازه :

— سأتناول سمكاً وأرزاً بالخلطة.

صاح مستنكراً :

— ماذا ؟ سمكاً فى المساء !!

نظرت فى عينيه قائلة :

— ألدك مانع ؟

ابتسم وهو يتفحصها قائلاً :

— كما تشائين ، إنها معدتك على أية حال.

ثم أردف هامساً وهو يقترب منها :

— على الأقل سيكون هناك مبرر قوى ، حين تشتكين من المغص بعد قليل.

— ماذا تعنى ؟

ضحك ولم يعلق ، بينما نظرت إليها نجوى وقالت ساخرة :

— لذك ذوق رهيب يا لىلى.

بادلتها لىلى نظراتها ساخطة .. قبل أن تغغم بابتسامة صفراء :

— حمداً لله أن لى ذوقاً ، إنها نعمة يفتقدها كثيرون.

ضحك ممدوح مستمتعاً بهذه الحرب الباردة بينهما من أجله ، فنظرت إليه لىلى فى ضيق لم تستطع إخفاءه ، ضيق تحول إلى ثورة مكبوتة عندما أقبلت تلك الراقصة ، وراحت ترقص له وحده ، وكأنها لا ترى فى الملهى سواه كالعادة مع غيرها من الراقصات ، بينما هو ينفث دخان سيجارته ببطء وثقة وفى عينيه نظرات وقحة تخترق جسدها العارى ، وهى تتلوى كالحية أمامه ، وتقترب منه فى ميوعة ، ثم ما لبثت أن أحاطت عنقه بالإشارب الذى ترقص به ، وجذبتة معها إلى حلبة الرقص ليتشاركاً معاً

فى رقصة خليعة اقشعر لها بدن ليلى .. حانت منها التفاتة إلى  
نجوى فوجدت الأخيرة تبتسم فى سعادة ورضا .. ازداد جنونها ..  
هل يعقل أن تكون هذه الحمقاء تحبه بالفعل، مستحيل ؟!

أما نجوى فى هذه اللحظة بالذات، فلم تكن فى حاجة إلى  
تصنع السعادة، كانت سعيدة بالفعل، وهى ترى الغيرة والغضب  
يفتكان بغريمتها .. التى اعتبرتها الوحيدة

التفتت إلى سميرة قائلة :

— انظرى إلى وجهها الذى كاد أن يحترق، ماذا كانت تظن هذه البلهاء ؟  
أجابتها سميرة ساخرة :

— ربما كانت تحلم بأن يسقط ممدوح أسيراً لجمالها !

اتسعت ابتسامة نجوى بينما أردفت سميرة :

— حان الوقت لتتجرع بعضاً من الكأس الذى لا أظن أنها  
ستتحمل مذاقه كثيراً.

تنهدت نجوى قائلة :

— لكم أتمنى أن يكون سماً، يقضى عليها سريعاً.

عاد ممدوح إلى المائدة وعلى شفثيه ابتسامة، استقبلته نجوى  
بمثلها، بينما أشاحت ليلى بوجهها غاضبة، أقبل الجرسون بعد  
قليل بالطعام، راح ممدوح يتناول طبقه سريعاً كعادته، وحانت  
منه التفاتة إلى ليلى، فوجدها توقفت عن تناول الطعام، وهى  
بالكاد قد مست طبقها.

فابتسم قائلاً فى تهكم :

— لماذا توقفت عن تناول الطعام ؟ هل اكتشفت أن السمك ليس جيداً فى المساء ؟

زفرت بضيق قائلة :

— لقد فقدت شهيتى.

أشار فى مكر إلى نجوى قائلاً :

— كيف هذا والصحبة رائعة ؟

تنهدت ليلى فى ضيق بينما أطلقت نجوى ضحكة خليعة ، جذبت إليها الانتباه ، ثم مالت على ممدوح وهى تهمس فى دلال :

— ممدوح ، أريد أن أرقص.

جذبها فى مرح قائلاً :

— أمرك يا جميلتى.

شعرت ليلى برغبة عارمة فى تحطيم المائدة وما عليها ، ما هذا الكابوس البشع الذى تحياه ؟ مستحيل أن تكون قد سقطت فى عشق رجل منحل كهذا ، رجل يتنفس إثمًا ، لكنها يجب ألا تستسلم أبداً ، حان الوقت لتلقن هذا المنحل درساً من دروسها الخفيفة ، نظرت حولها تبحث عن معجب بعينه .

عجياً ... !! كل أعين الرجال تنصب عليها فى رغبة متوحشة ، كيف لم تلاحظ هذا من قبل ؟ لم تكن ترى -فى غمرة غيرتها على هذا الوغد- سوى نساء يتهافتن عليه ، لقد نسيت

نفسها تماماً فى خضم غروره .. توقفت عيناها لحظات فوق أحد الوجوه المحدقة بها، ثم ما لبثت أن ابتسمت فى عذوبة، وكأنها دعوة خفية .. اقترب منها الرجل قائلاً :

— هل أتشرف بهذه الرقصة معك ؟

ابتسمت قائلة :

— بكل سرور

أوقفها أشرف قائلاً :

— مهلاً يا ليلى ، الزعيم لن ..... أقصد ممدوح لن يعجبه هذا.

أجابته ساخطة :

— فليذهب زعيمكم إلى الجحيم.

ما إن انطلقت إلى حلبة الرقص حتى شمر أشرف عن أكمامه وكذلك فعل كمال ، أما عادل فقد كان منهمكاً فى الرقص مع سميرة .

كانت نجوى هائمة بين ذراعى ممدوح حين انتفض الأخير فجأة وتصلب جسده، فرفعت رأسها لترى فيما يحدق، وقعت عيناها على ليلى بصحبة هذا الرجل، فزفرت فى ضيق قائلة :

— هذه البلهاء تهوى المشاكل !

قادها ممدوح إلى المائدة التى يجلسون عليها صامتاً، ثم عاد لينفجر فى وجه هذا الذى يراقص ليلى قائلاً :

— هلا تركتها لى ؟

نظر إليه الرجل فى ضيق قائلاً :

— الرقصة لم تنته بعد.

أزاحه ممدوح جانباً فى شئ من العنف وهو يغمغم محذراً :

— يكفيك ما نلته حتى الآن.

هم الرجل بالاعتراض ، لكنه ما إن تفحص بنية ممدوح القوية ، والشرر الذى يتطاير من عينيه ، حتى تركها له وانصرف وهو يغمغم ساخطاً.

ابتسمت ليلى مرغمة ، بينما عينا ممدوح تحدقان فيها بغضب لاحد له ، استمرت فى الرقص معه غير مبالية حتى قال أخيراً :

— ما الذى تريدينه بالضبط يا ليلى ؟

ابتسمت قائلة :

— ما أردته حصلت عليه

توقف عن الرقص وهو يحدق فيها قائلاً فى تهكم :

— أتقصدين أنك فعلت كل ذلك من أجل الرقص معى ؟

اتسعت ابتسامتها قائلة :

— نعم .. هو كذلك.

صاح ساخطاً :

— وما الذى منعك من طلب هذا منى ؟

رفعت رأسها إلى أعلى قائلة :

— كبريائى.

قال وقد ازداد سخطاً :

— كبرياؤك !! كبرياؤك هذا كان من الممكن أن يتسبب لى فى عاهة مستديمة.

قالت فى نبرة هادئة :

— من قال هذا ؟

صاح بها غاضباً :

— ألم تسمعى تحذيرات الطبيب ؟ أم أنك كنت غارقة فى جاذبية دكتور قيس ونظراته الهائمة فلم تنتبهى لمّ قاله لى.

قالت فى لا مبالة :

— لم يحدث شئ .. فلماذا أنت غاضب إذا ؟

ضغط على كفها بقسوة حتى تأوهت قائلاً :

— ماذا لو أصر هذا الأبله على الرقص معك، هل كنت تتوقعين أن أتركك له ؟

ثم أردف وهو يضغط على أسنانه غيظاً :

— إن كنت لم تفهمى بعد، فأنا أفضل الموت رجلاً على الحياة فى الظل.

برقت عينها وهى تتأمله قائلة :

— اطمئن أيها المتهور، كان سيسقط سريعاً بعد لكمة واحدة من يدك الطائشة.

تراقصت ابتسامة على شفثيها وهي تنظر في عينيه قائلة :

— ألم تلاحظ بعد أنه أكثر الموجودين نحافة ؟

استدار ممدوح إلى الرجل الذي كان لا يزال يحدق فيه غاضباً، ثم عاد ينظر إلى ليلي وقد برقت عيناه قائلاً: ومعه رفيق واحد لايزداد عنه وزناً.

ضحك طويلاً قبل أن ينظر في عينيه قائلاً :

— وماذا لو تعاطف معه بعض الحضور ؟

ابتسمت قائلة :

— نحن لسنا بمفردنا.

عادت ترفع رأسها إلى أعلى قبل أن تضيف :

— وكنت سأدخل بنفسى للدفاع عنك إذا لزم الأمر، وأخبرهم أنك زوجي، ولك كل الحق فيما تفعل.

برقت عيناه ببريق تعشقه وهو يبتسم قائلاً :

— يروق لى كبرياؤك يا ليلي

همست :

— كبرياؤى فقط ؟

اتسعت ابتسامته قائلاً :

— وذكاؤك أيضاً.

عادت تهمس :

— فقط.

ضحك قائلاً :

— كل ما فيك يروق لى أيتها الجشعة

ضمها إليه بقوة استسلمت لها وأعماقها تهتف :

— لن يمكننى مقاومتك ، لن يمكننى التصدى لغزو حبك العنيف  
لقلبي ، لا حيلة لى سوى الدفاع عن هذا الحب ، فالتصدى  
لكل نساء العالم أيسر كثيراً من التصدى لحبك الذى أجدنى  
غارقة فيه وكأئننى ولدت به ، لكننى لن أكتفى أبداً بكونى  
أقربهن إلى قلبك .....

كل ما فيك إبداع ... إبداع

لا لوم لقلبي إن لبي . إن أطاع

إن قال لماض لست به الوداع

ولأجلك أودعه سفناً ما فيها شرع

بلغت العصبية مداها من نجوى ، وهى تراهما يرقصان وكأنهما  
يسبحان معاً فى عالم آخر ، غادرت المائدة وهى تهتف فى رفاقه  
غاضبة :

— ماذا حدث لزعيمةكم ؟ انظروا كيف تحركه هذه القروية كطفل  
صغير !

ذهبت وتبعتها سميرة وهى تحاول التخفيف عنها، بينما نظر رفاقه الثلاثة بعضهم لبعض فى دهشة بالغة، وقال أشرف بعد فترة من الصمت :

— نجوى معها حق، ماذا حدث للزعيم ؟ لم أره هائماً هكذا من قبل.

تهلل وجه كمال قائلاً :

— يبدو أن دعواتى له يوم عرسه قد تحققت.

تمتم عادل قائلاً :

— إذا حدث هذا سأؤمن بك يا شيخ كمال.

ابتسم أشرف قائلاً فى تهكم :

— رغم علمى بأن البلهاء هم أقربنا إلى الله، لكن ما تفكروا فيه مستحيل.

ثم هز رأسه مستنكراً وأردف :

— لن أصدق أبداً أن ممدوح يقع فى الحب.

قال كمال فى عناد :

— ولم لا ؟ أليس بشراً مثلنا ؟

عاد أشرف ليغمغم وكأنه يحدث نفسه :

— أفكار ممدوح عن المرأة، تمثل حاجزاً منيعاً بينه وبين الحب.

نظر عادل إلى ممدوح ولىلى ثم ابتسم قائلاً :

— ربما وجد أخيراً من تحطم هذا الحاجز.

\*\*\*

أغلق ممدوح باب الحجر، وأقبل إلى ليلي وعلى شفتيه ابتسامة واسعة، استسلمت طويلاً لقبالاته الجائعة قبل أن تبتعد عنه قائلة :

— يكفي هذا الآن.

همس معاتباً :

— كفى عناداً يا ليلي، أما زلت تنكرين حبك لى؟

تنهدت بعمق قائلة :

— أحبك حباً أقوى من أن أنكره.

ابتسم قائلاً :

— ما المشكلة إذا؟

— لا أريد أن أكون مجرد رغبة عابرة، أريدك أن تبقى معى للأبد.

— وأنا لن أفطر فيك أبداً.

— لن أكون لك، قبل أن تقر بحبك لى.

— حسناً، أحبك، إذا كانت هذه هي الكلمة السحرية التي ستسعدك.

— لا تسخر منى، لقد بدلت حياتى ومعتقداتى وكل ما تعلمته

طيلة عمري من قيم لأجلك، ليس كثيراً أبداً أن تتغير أنت

أيضاً من أجلي.

- ماذا تريدين الآن ؟
- يمكننا أن ننتظر حتى .....  
قاطعها فى سخط قائلاً :
- كنت أعلم أن النساء حمقاوات ، أما حماقتك فلا يمكننى  
تحملها أكثر من هذا.  
صاحت مستنكرة :
- حمقاء لأننى أريد أن أحتفظ بك للأبد ؟  
صاح فى تهكم :
- تحتفظين بى !! ماذا تظنيننى ؟ قطعة حلى فى علبة  
مجوهراتك. أم ثوب فى خزانتك؟!  
ضغط على أسنانه وهو يردف فى عصبية :
- بل حتى هذه الأشياء ، لا يمكنك الاحتفاظ بها للأبد.  
أبعدت وجهها فى عنف قائلة :
- أنا لن أقبل إلا أن أكون المرأة الوحيدة فى حياتك.  
نظر إليها قائلاً :
- وأنا لن أكون أبداً لامرأة واحدة ، وقد أخبرتك بهذا مراراً ، ولكن  
يبدو أن عقلك الصغير لم يستوعبه ، أو ربما غرورك أبى أن يصدقه.  
حدقت فيه غير مصدقة وهتفت قائلة :

— يا لك من قاس، جاحد، لكننى أستحق هذا، لأننى سمحت  
لنفسى بعشق منحل مثلك.

ضحك فى تهكم قائلاً :

— سمحت لنفسك، وماذا كنت تتوقعين غير هذا، هل صدقت  
هذا التحدى الأحمق؟

احتضن وجهها بين كفيه رغماً عنها و نظر فى عينيها قائلاً :

— يا دكتورة، قلت لك مراراً، أنت تلميذة صغيرة جداً.... فى  
عالم أنا العميد فيه.

أزاحته بعيداً عنها وهى تنتحب فى لوعة صارخة :

— اصمت وابتعد عنى، كلما سمعت صوتك هذا، ورأيت ما أرى  
فى عينيك، ازددت كرهاً لنفسى.

صاح بصبر نافد:

— اسمعيني جيداً، لقد مللت جنونك وكآبتك، سأسافر غداً ولن  
أعود إلى هنا قبل أن تتعلقى.

— إن كنت ترى ما أنا فيه جنوناً، لا تعد أبداً.

ضاقت عيناه وهو ينظر إليها قائلاً :

— حسناً يا ليلى، وأنا لن أنتظر الغد لأرحل، بل سأرحل الآن.

## حنين و.....

- استيقظت ليلى من شرودها حين لكزتها نادية قائلة :
- ليلى ، ليلى .. دكتور عبد الرحمن يتحدث إليك.
- نظرت ليلى إلى دكتور عبد الرحمن الذى يتطلع إليها بضيق وقالت مرتبكة :
- آسفة ، لم أسمعك.
- تنهد قائلاً فى أسى :
- لو كانت المرة الأولى لالتمست لك الأعذار.
- حولت وجهها عنه صامته ، فتابع فى سخرية مريرة :
- على أية حال ، نحن مجبرون على التماس الأعذار لك ما دمت قد سقط في فخ هذا الشيط.....
- قاطعته فى غضب قائلة :
- من فضلك ، لا تتحدث عنه هكذا ، تذكر أنه زوجى.
- تأملها طويلاً قبل أن يهتف فى تهكم :
- يبدو أن تجربتك تسير فى الاتجاه الذى توقعته أنا لها تماماً.

جذبت حقيبتها بعنف وأسرعت تغادر الغرفة غير مبالية  
بمحاولات نادية للتخفيف من حدة التوتر، التفتت الأخيرة إلى  
دكتور عبد الرحمن، وهمت أن تعترض، لكنها وجدت الألم يكسو  
ملامحه، وهو يغمغم فى مرارة وحسرة :

— آه... يا ليلى، خسارتك لن يعوضها أى مكسب آخر !

همت ليلى بصعود الدرج عندما وصل إلى مسامعها صوت حماها  
يناديه، فاستدارت إليه وتصنعت ابتسامة باهتة، لم تقنع الرجل  
الكبير الذى ربت على كتفها قائلاً :

— ماذا بك يا ابنتى ؟

عادت ابتسامتها الباهتة إلى شفيتها قائلة :

— أنا بخير.

حذق فى عينيها قائلاً :

— ملامحك لا تقول هذا.

تنهدت بضيق قائلة :

— ربما كان ضغط العمل .. لقد اقترب موعد الامتحانات ونحن  
نستعد لها.

— امرأة تقدر العمل مثلك، لا أظن أن متاعبه تؤرقها إلى حد  
الحزن يا ليلى.

— بماذا تريدنى أن أخبرك ؟

— ماذا حدث بينك وبين ممدوح ؟ لماذا لم يأت لرؤيتك منذ أكثر

من عشرين يوماً ؟

صاحت فى غضب :

— أنت تلقى باللوم علىّ ، أليس كذلك ؟

— كلا يا ابنتى ، أنا أعلم أن ولى ليس ملاكاً .

صرخت قائلة :

— ولدك شيطان ، هل تعلم هذا ؟

ابتسم الرجل قائلاً :

— منذ اللحظة الأولى التى رأيتك فيها يا لىلى ، أيقنت أنك المرأة

الوحيدة التى تستطيع أن تغيره ، لذلك فعلت المستحيل لأتم  
هذه الزيجة ، وما زال يقينى قائماً .. لن يغير ممدوح سواك .

هزت رأسها فى يأس قائلة :

— أخشى أن أصيبك بالخيبة يا عمى ، ولكن....

انهمرت دموعها قبل أن تكمل بصوت مختنق :

— أشعر بأننى أغرق فى شر أقوى كثيراً من كل خير داخلى ،

أخشى أن أسقط معه بدلاً من أن أقيمه معى ، ما عدت اتحمل  
.. خارت مقاومتى .. فقدت كل أسلحتى وما عدت أعرفنى !

— أين شجاعتك يا لىلى .. ؟ كل ما عليك هو أن تقولى لا ، وأنا

أعرف ولى جيداً .

— لا ، لا .. هى ما جعلته يغضب ويثور ويترك المنزل متوعداً

بعدم المجئى إليه مرة أخرى .. إلا بعد أن أقول نعم.

نظرت إليه ملياً قبل أن تضيف :

— هل أقول نعم ؟ وحتى إذا قلتها، كم يوماً، شهراً، عاماً، كم سيمضى معى قبل أن يشعر بالملل والحاجة إلى تبديلى بأخرى.

عاد الرجل يربت على كتفها قائلاً :

— الصبر يا ابنتى، لقد وهب الله ممدوح كل شئ لكنه للأسف بدلاً من أن يشكره، ترك نفسه أرضاً خصبة للشيطان يفعل به ما يشاء لأعوام عدة، قاربت الثانية والثلاثين عاماً، مستحيل أن يتغير كل هذا فى أيام قليلة.

نظر إليها، يبحث فى وجهها عما يؤكد صحة ما يقول قبل أن يردف :

— لا أريدك أن تقولى نعم، لكن عندما تقولى لا، فلتكن بلكنة النساء، هل تفهميننى يا ليلى؟

\*\*\*

كانت عقارب الساعة قد تخطت الثالثة صباحاً عندما جلس ممدوح فى شرفة شقته فى العجمى، مسترخياً فوق أحد المقاعد ورافعاً ساقيه فوق آخر، نفث دخان سيجارته فى بطء وراح يتابعه ببصره محاولاً الفرار من هذه الأفكار الوحشية التى تطارده باستماتة، أطلق تنهيدة طويلة حين تعلق عيناه بالسماء فى حنين عجز عن السيطرة عليه، القمر وجهها، والليل ونجومه شعرها وبريقه، ما أكثر النجوم ... وكل نجم يحمل رسالة منها

إليه ، رسالة ترجوه أن يعود ، تأمره بأن يعود ، تشده شداً إليها ،  
غداً .... هل يذهب إليها ؟ هل يقبل دعوتها ؟

ربما كبرياؤه الجريحة هي ما يوهمه بتلك الدعوة ، ربما كانت  
نسجاً من أمانى ، فهذا هو الأسبوع الثالث على التوالي .. أما  
زالت عنيدة ؟ أحقاً لا تريد رؤيته ؟ هذه البلهاء التى جمعت  
كل الصفات معاً فى مزيج عجيب ، كل المتناقضات أتت عندها  
وتكاملت وتآخت ، ما أضعفها وما أقواها ! ما أرقها وما أقساها !  
العقل والجنون ، الدين والدينا ، كل الحب وكل البغض .....  
ما أرق النسيم وما أعنفه حين يتغلغل إلى العظام !! كيف  
تسللت هكذا حتى استوطنت جسده ؟!

لقد أمضى طيلة الأسبوعين الماضيين بين أحضان الراقصات  
وبائعات الهوى عبثاً ، وهو يحاول التخلص من رغبته المتوحشة  
فيها دون جدوى ، حتى أيقن أنه لا رغبة له فى امرأة سواها ،  
لا امرأة يمكنها أن تشغله عنها ، قبالتها البلهاء بكل نساء العالم .  
زفر بضيق ، وراح يغمغم ساخطاً :

— ما هذا الذى يحدث لى؟! ما هذه الأفكار الصبيانية التى  
تراودنى فى مرحلة ظننتها آمنة من السقوط فى براثنهن؟! !  
ربما الوضع لا يستحق كل هذا العناء ، ربما ليلى ليست أكثر  
من نزوة عابرة ، بل إنها كذلك بالفعل ، امرأة له فيها رغبة  
ما إن يشبعها حتى يتحرر من سطوتها عليه ، ويتخلص من هذه  
الأفكار المجنونة التى تملأ كيانه وتطارده ليل نهار ، سيذهب  
غداً لرؤيتها ، بل لرؤية والديه ، سيهشم رأسها العنيد هذا ، ويخرج

منه كل الأفكار التي تثير جنونه، سيرغمها على طاعته، فهي المرأة الوحيدة التي يجب أن تطيعه بلا شروط، فهي زوجته.

تعجب لامتناهه لهذا الأمر .. حمد الله أنها زوجته حتى لا تستطيع الهرب منه ..!

بالسخرية القدر ..! ألم يطلب هو منها مراراً أن تشكر الله الذي جعل علاقتها به شرعية ..!

دق رنين الهاتف، وتسارعت دقات قلبه في استجابة أدهشته قبل أن تزيده سخطاً، لا يعقل أن تكون هي، لديها عمل في الغد يمنعها من السهر المتأخر لهذا الوقت .. ربما كانت نجوى تتساءل عن سر تحوله عنها في الفترة الأخيرة، ربما أشرف، أو ربما عادل أو كمال أو ...

ربما أى شخص آخر ..... إلا هي، فى مثل هذا الوقت !!

توقف عن تساؤلاته عندما توقف جرس الهاتف عن الرنين، شعر ببعض الضيق سرعان ما تخلص منه، ليست هي، لابد أنه شخص آخر، تكفيه إذاً اللحظات القليلة التي أمضاها على رنينه فى الخيال.

عاد الرنين من جديد، فأمسك بالسماعة فى مزيج من اللهفة والرجاء.

تجسد إحساسه وهو يستمع إلى هذا الصمت الذى ساد بينهما، صمت أحلى من كل كلام يقال .....

قالت أخيراً فى بعض التردد :

- هل أزعجتك باتصالي في مثل هذا الوقت ؟
- أغمض عينييه وهو يستمع إليها في حنين لم يحاول إنكاره،  
لكنها ما إن انتهت من سؤالها حتى قال متعمداً :
- يمكنك الاتصال متى شئت يا نجوى.  
صاحت غاضبة :
- قلت لك مراراً: لا تشبهني بتلك الساقطة.  
ضحك طويلاً قبل أن يقول :
- كيف صدقت أنني قد أخطيء في صوت نجوى على الأقل !!؟  
هتفت في مزيد من العصبية :
- إن لم تكف عن ذكر اسمها سأغلق الخط.  
صاح في لهفة :
- مهلاً، لن أفعل، لكن لا تغلقى الخط.  
أردف هامساً في شوق ظنت أنها تتخيله من شدة لهفتها إليه :
- هل اشتقت إليّ أخيراً ؟  
أجابته في تلثم قائلة :
- بل والدك هو من يشताق إليك.  
همس في تهكم :
- لم يكن يظنيه هجرى من قبل.

— متى ستكف عن سخريتك ؟

— عندما تكفين أنت عن الكذب.

— أنا لا أكذب.

— ليتنى أستطيع أن أرى عينيك الآن.

هتفت فى عصبية :

— لا تظن أننى اتصلت بك لأقدم فروض الولاء والطاعة.

— ولماذا اتصلت إذاً ؟

ساد الصمت بينهما قليلاً حتى غمغمت بصوت مختنق :

— حسناً، كنت أريد التأكد من كونك لا زلت على قيد الحياة.

أغلقت بعدها الخط، وانخرطت فى بكاء طويل منعها من الاستجابة لرنين الهاتف المتواصل، رغم يقينها بكونه هو الذى يحاول الاتصال بها، ولماذا تجيب ؟ ما الذى يريد قوله ؟ لم يصر على إيلاها دائماً وهى تحبه كل هذا الحب ؟ يا له من ظالم متوحش وكأنه ينتقم منها لأنها أحبته، ترى هل تألم دكتور عبد الرحمن كل هذا الألم من أجلها ؟ كم كانت سادية وهى تتلذذ بالأمهم جميعاً .. ! لم تكن تدرى حينئذ بمدى ما تفعله بهم، لكنها الآن .. الآن فقط ذاقت من الكأس التى سقتهم منها، ويا لها من كأس .. !

لم تكن الساعة قد تخطت الثامنة صباحاً كثيراً عندما فوجئت والدة ممدوح به وهو يدخل إلى المنزل فهتف مبتسماً :

— صباح الخير يا أمى.

احتضنته والدته فى سعادة، وقبلته قائلة فى بعض العتاب :

— ممدوح، ما كل هذه الغيبة يا ولدى ؟

ابتسم وهو يقبل جبهتها قائلاً :

— ضغط العمل.

صاحت المرأة مستنكرة :

— ضغط العمل !! وهل نسيت عروسك؟! عندما ترى ما أصابها من حزن لن تغفر لنفسك أبداً.

ابتسم وهو يتجه للدرج قائلاً :

— لكنها ستغفر.

كان قد بلغ منتصف السلم عندما وصل لمسامعه صوت والدته قائلة :

— ليلى ليست بالأعلى.

— أين ذهبت ؟

— لقد ذهبت إلى الجامعة.

— فى هذا الوقت المبكر؟!!

— قالت إن لديها محاضرة فى الثامنة.

زفر بضيق وهو يهبط الدرج على مهل، ربتت والدته على

كتفه وابتسمت قائلة :

— اغتسل وتعال لتتناول الفطور معى ريثما تأتى، فهى لن تتأخر.

برقت عيناه وهو يتجه للباب قائلاً :

— ريثما تعدين أنت المائدة، سأكون قد أتيت بها.

\*\*\*

انهمكت نادية فى قراءة بعض الأوراق على مكتبها عندما ألقى عليها أحدهم التحية فرفعت رأسها نحوه لترد تحيته، وما لبث القلم أن سقط من يدها وهى تحددق فى وجهه بنظرات لم يستطع تفسيرها قبل أن تغغم فى تلعثم :

— صباح الخير.

ثم أردفت بسرعة وهى تنهض عن كرسيها كمن يحاول الفرار :

— سأذهب لأحضر ليلى حالاً.

أشار إليها بيده قائلاً :

— مهلاً، هل تعرفين من أنا ؟

ابتسمت بعصبية قائلة :

— بالطبع، أنت ممد... الأستاذ ممدوح سالم، زوج ليلى.

تفحص وجهها قائلاً :

— هل تقابلنا من قبل ؟

هزت رأسها نفيًا دون أن تنطق، فأردف دون أن يرفع عينيه  
عن وجهها :

— وكيف تعرفتِ على إذاً ؟

ابتسمت في حيرة، ثم ما لبثت أن قالت :

— رأيت صورك المعلقة على الحائط في إحدى زياراتي لليلي.

ظل يحدق فيها بريبة وكأنه لا يصدق ما تقول، لكنها قالت بسرعة :

— سأذهب لأحضر ليلي.

عاد يوقفها من جديد قائلاً :

— لا أريد إزعاجك، أخبريني فقط برقم القاعة و المبنى الذى  
توجد فيه، وأنا سأجدها بنفسى.

أخبرته بما يريد به بأنفاس لاهثة، وهى تتجنب بقدر المستطاع  
النظر إلى وجهه، مما زاد من ريبتها فيها، وما إن شكرها وغادر  
الغرفة حتى ألقت بنفسها فوق كرسيها وهى تتنهد بعمق .. قبل  
أن تطلق لأفكارها العنان.

وصل ممدوح إلى المبنى الذى أشارت إليه نادية، وراح يرتقى  
درجاته القليلة بخطوات واسعة، عندما استدار فجأة على صوت  
إحداهن وهى تستوقفه قائلة :

— أنت .... نعم أنت أيها الوسيم .

تطلع إليها مبتسماً فتابعت :

— هل يمكننى مساعدتك ؟

- اتسعت ابتسامه ممدوح قائلاً :
- أبحث عن ليلي ، دكتور ليلي فاضل.
- غمغمت الفتاة فى سخط قائلة :
- ليلي .. لماذا يسأل الرجال دائماً عن ليلي ؟!
- حدجها فى تهكم ولم يعلق .. فأردفت قائلة :
- هل تعلم أن ليلي لا تهتم بشئ سوى العمل ؟
- ابتسم بثقة قائلاً
- ربما أجبرها على الاهتمام بأشياء أخرى.
- وهل تعلم أنها متزوجة ؟
- نعم أعلم هذا.
- وهل تعلم أيضاً أن زوجها هو أكثر رجال المنصورة شراسة ووحشية ؟
- ضاقت عيناه قائلاً :
- يا إلهى إلى هذا الحد !!
- أردفت المرأة فى حماسة :
- بل أكثر من هذا، ربما لو رآك معها لقتلك ، وقتلها هى أيضاً.
- تفحصها ممدوح وقال مستنكراً :

- هل أخبرتكم ليلي بهذا ؟
- ولماذا تخبرنا ؟ فهذا الرجل أشهر من نجوم السينما فى بلدتنا ؟
- شعر ممدوح ببعض الضيق ، وهم بالمغادرة عندما أردفت من جديد :
- لقد حذرناها جميعاً من الزواج منه ، لكنها كانت مصرة على إجراء هذه التجربة حتى تحصل على الدكتوراة.
- غمغم فى شئ من الدهشة :
- تجربة !!
- نعم من أجل الحصول على الدكتوراة.
- حاول ممدوح التحكم فى انفعالاته قائلاً :
- هلا فسرت أكثر ؟
- شعرت المرأة بالزهو لكونها نجحت فى إثارة اهتمامه قائلة :
- ألم تخبرك ليلي بأنها تزوجت بهذا المنحرف للحصول على الدكتوراة بطريقة واقعية لم يسبقها إليها أحد.
- غمغم بصوت مختنق :
- وكيف هذا ؟
- ستحاول استغلال ما لها من سحر فى إصلاحه وتهذيبه ، سوف تعيد تربيته من جديد ، كلنا فى انتظار ما سيؤول إليه أمرها معه .

عاد يسألها فى مزيج من اللهفة والسخرية المبررة :

— تعيد تربيتة من جديد !! ، ألم تتفقوا على ما ستفعله بعد ذلك ؟  
هزت كتفيها قائلة :

— لست أدرى ، ربما تطلب الطلاق ، فزوجها كما أخبرتك منذ قليل ، رجل منحل أخلاقياً ، يسعى خلف شهواته كالحيوان البرى ، لا أظن أن ليلى سوف تتحمله كثيراً ، يدعى ممدوح سالم ، ربما سمعت عنه .

تحول البريق الذى راقها فى عينيه إلى نار متأججة أثارت فى نفسها الفزع ، لكنها حاولت تصنع اللامبالاة قائلة :

— تخيل أننى لم أتعرف بك حتى الآن .  
أجابها فى صوت يشبه الرعد قائلاً :

— ممدوح سالم .

حدقت الفتاة فى وجهه ، ثم ما لبثت أن تراجعته للخلف مذعورة فى نفس اللحظة التى أقبلت فيها ليلى ، وراحت تنظر إليه فى سعادة هامسة :

— ممدوح !

نظر إليها قائلاً فى حدة :

— سأنتظرك فى السيارة .

حدقت به فى دهشة بينما نظرت إليها زميلتها فى العمل وهى تبتعد فى ارتباك قائلة :

— آسفة يا ليلى ، لم أكن أقصد ، لم أكن أقصد أبداً ، لم أكن أعرفه .

شعرت ليلى بانقباضة رهيبه ، هناك كارثة مقبله بلا شك ، كارثة تستطيع تحديدها بلا عناء ، يا ليتها تكون على خطأ ، ليت الأمر ليس على هذا القدر من الخطورة التى تتوقعها .

قاد السيارة صامتاً ، متحاشياً النظر إليها ، لم تنجح محاولاتها فى حثه على الحديث ، فاستسلمت للصمت هى أيضاً حتى توقفا عند المنزل واستقبلتهما والدته مهللة :

— ساعد لكم الفطور حالاً .

لكنه صعد الدرج على عجل ، وهو يدفع ليلى أمامه فى عنف قائلاً :

— ليس الآن .

نظرت المرأة إلى ليلى وقالت فى قلق :

— ماذا حدث ؟

تابع دفعه لها غير مبال بوالدته وصياحها .. وما إن دلفا إلى حجرتهما حتى أغلق الباب خلفه فى عنف ، وراح يتطلع إليها فى وحشية قائلاً :

— لماذا تزوجت منى ؟

لم يعد لديها أدنى شك فى صحة ما استنتجته ، أشاحت بوجهها تبحت عما تقول ، لكنه لم يمهلها طويلاً بل أدارها إليه فى عنف قائلاً :

— تكلمى .

غمغمت فى ارتباك محاولة أن تبدو هادئة :

— لقد أخبرتك من قبل بأنه نوع من التحدى.

هتف غاضباً :

— تحدى، أى نوع من التحدى تقصدين ؟

عادت تشيح بوجهها من جديد، وعاد يجذبها بعنف أشد صارخاً :

— هل أشبه فأر التجارب ؟

غمغمت بصوت مختنق :

— ممدوح، بالله كفى.

لكنه تابع فى هستيريا :

— هل أبدو أحقق إلى الحد الذى أغراك لجعلى أضحوكة بين هؤلاء البلهاء الذين تعملين معهم.

— لم أكن أعرفك فى ذلك الحين.

صفعها بقوة صارخاً :

— ولماذا تتزوجين رجلاً لا تعرفين عنه شيئاً ؟

تحسست وجهها فى ألم صارخة :

— يمكنك أن تطلقنى الآن، فأنت لم تخسر شيئاً بعد.

ضغط على ذراعها بشدة قائلاً :

- إذا كان هذا هو ما تحلمين به ، فأنصحك بأن تستيقظى يا ليلى .
- نظرت إليه ، والدمع يتحجر فى عينيها ، وهو يتابع فى قسوة :
- لقد دخلت إلى قفصى بإرادتك .. لكنك لن تخرجى منه إلا بإرادتى أنا ، وأقسم إنك لن تخرجى منه سليمة يا ليلى .
- حاولت إزاحته بعيداً ودموعها تنهمر صارخة :
- كف عن عنفك معى ، لا تعاملنى وكأننى رجل مثلك .
- دفعها أرضاً حتى كادت رأسها أن تصطدم بالحائط ، فغمغمت فى سخط قائلة :
- عندما أذهب إلى عملى غداً ، سوف .....
- قاطعها قائلاً :
- أنت لن تذهبى إلى عملك هذا مرة أخرى .
- صرخت مستنكرة :
- كلا .. أنا لن أسمح لك بحرمانى من عملى ، سوف أذهب لعملى ولو دفعت حياتى ثمناً لهذا .
- جن جنونه قائلاً :
- حسناً ، ادفعى بعضه الآن إذاً .
- وقبل أن تفهم ما يعنيه كان قد حطم وجهها بقبضته وألحق به من التشوهات ما يمنعها من عبور باب الغرفة .
- فصرخت وهى تنتحب فى ألم :

— طلقني أيها المتوحش، لن أبقى معك بعد الآن.

أجابها في وحشية قائلاً :

— بل ستبقين أيتها العنيدة، ستبقين حتى النهاية، وأنا من سيحدد هذه النهاية، سأروضك يا ليلي كما روضت غيرك، وسأبقى رجلك الوحيد شئت أم أبيت، سوف تعيشين كأقل امرأة أعرفها. غادر الغرفة صافعاً الباب بعنف شديد، تاركاً إياها تنتحب، آلامها الجسدية فوق تحملها وآلامها النفسية تزيد أضعافاً، لقد خسرت كل شيء، كرامتها وعملها وقلبها أيضاً.

\*\*\*

ما إن وقعت عينا نادية على ليلي حتى شهقت في فزع جعل الدمع يتحجر في عيني الأخيرة، فغمغمت وهي تحتضنها قائلة :

— لقد أخبرتنى سناء بما حدث أمس، فشعرت بالقلق وجئت للأطمئنان عليك، خاصة بعد أن تغيبت اليوم عن العمل.

حاولت ليلي التحكم في دموعها التي انهمرت رغماً عنها قائلة بصوت مختنق :

— هل رأيت ما فعله بي هذا المتوحش ؟

ربتت نادية على كتفها في شفقة قائلة :

— اهدئي يا ليلي، سوف تتحسن الأمور بإذن الله.

هتفت في لوعة قائلة :

— تتحسن ! لا أظن هذا، إنها تزداد سوءاً يوماً بعد آخر، لقد  
منعنى من الذهاب للعمل، إنه يحاول تدميري يا نادية.

تنهدت نادية قائلة :

— رجل مثله يمتلك هذا الكم من الكبرياء، لا شك أنه تلقى  
صدمة قاسية لدى معرفته بالأمر، وهذه الغيبة سناء أخبرته  
بالأمر بطريقة مهينة أكثر، فهم منها بأننا جميعاً نتآمر ضده.  
— عملى هو آخر ما تبقى لى.

ابتسمت نادية فى بعض الأمل قائلة :

— سأحاول الحصول لك على إجازة بحجة التفرغ للدراسة.

بادلتها ليلى الأمل قائلة :

— هل تظنين أن الأمر سينجح ؟

— سينجح بإذن الله، ولكن لا تخبرى زوجك بهذا حتى تتحسن  
الأحوال بينكما، أين هو الآن ؟

غمغمت ليلى فى مرارة :

— منذ ذهابه أمس لم يعد حتى الآن.

— ربما عاد إلى الإسكندرية.

أجابتها شاردة :

— لا أظن هذا، كان واضحاً أن انتقامه لم ينته بعد.

وبينما هما تتحدثان دلف ممدوح إلى المنزل، وقد خلع سترته وأمسك بها فوق كتفه، وقد بدا الإرهاق واضحاً فوق وجهه وعينيه اللتان حدقتا بهما فى عدااء وضيق، جلس قبالتهم دون أن يلقي عليهما التحية، وجه حديثه إلى ليلى وهو ينفث دخان سيجارته قائلاً فى خشونة :

— اصنعى لى كوباً من الشاى.

حانت التفاتة من ليلى إلى نادية قبل أن تطلق تنهيدة طويلة وتنادى سعدية لتصنع له الشاى، لكنه قاطعها فى خشونة أعنف قائلاً :

— لو أردت أن تصنعه سعدية لطلبته منها، منذ الآن أنت خادمتى الوحيدة.

حدقت فى وجهه بضيق وسخط، وهمت أن تعترض، لولا نظرات نادية المتوسلة لها تناشدها أن تلبى ما طلبه منها، ذهبى على مضض، بينما ظل يحدق فى نادية طويلاً قبل أن ينفث دخان سيجارته قائلاً :

— تقابلنا من قبل .. أليس كذلك ؟

غمغمت فى اضطراب دون أن تجرؤ على النظر فى وجهه :

— نعم، أمس عندما .....

قاطعها قائلاً :

— كلا، لم أقصد أمس.

رفعت بصرها إليه ، وما لبثت أن أبعدته سريعاً ، وراحت تتلفت حولها ، وكأنها تبحث عن معين قبل أن تهمس قائلة

— كان هذا منذ زمن بعيد على أية حال .

— أين اختفيت فجأة ؟

— فضلت الابتعاد خوفاً من التورط معك بعد أن أخبرتني صراحة بأنك لن تتزوج .

تأملها فى تهكم قائلاً :

— ظننتك انتحرت بعد القبلة الأولى .

حدقت فيه مستنكرة بينما أردف فى لا مبالاة :

— هل تزوجت ؟

— نعم ، ولدى طفلان .

— لقد تصرفت بحكمة إذاً ، أظن أن هذا من حسن حظك .

تنهدت بضيق قائلة :

— نعم ، أظن هذا .

— لماذا لم تنصحى صديقتك بالابتعاد عن طريقى مثلما فعلت أنت ؟

— لقد حاولت ، لقد حاولنا جميعاً ، لكنه القدر !!

هتف ساخطاً :

- القدر ! القدر أم غرور صديقتك الذى لا حد له .
- أقبلت ليلى فى هذه اللحظة تحمل الشاى الذى طلبه ، حدق فى وجهها قائلاً :
- ما هذا ؟
- الشاى الذى طلبته
- لقد طلبت قهوة .
- استدارت ليلى إلى نادبة وكأنها تطلب شهادتها ، فتصنعت الأخيرة ابتسامة قائلة :
- لا تجعلا من هذا مشكلة ، يمكننى أنا إعدادا .....
- قاطعها فى حزم :
- كلا
- تنهدت ليلى فى ضيق وذهبت مستسلمة لأعداد القهوة ، وما إن ابتعدت ، حتى نظرت نادبة إلى ممدوح فى سخط قائلة :
- ليلى لا تستحق منك كل هذا .
- قال والشرر يتطاير من عينيه :
- ليلى ..... أنصحك بأن تنسى وجود امرأة بهذا الأسم .
- هتفت فى جزع :
- ليلى تحبك .

- أهذه خطتكم الجديدة، كم عدد المشتركين فيها ؟
- لا تكن متعنتاً، ربما أخطأت ليلى بالفعل، ولكن كان هذا قبل أن تراك وتحبك.
- بفرض أن ما تقولينه صحيحاً، لماذا لم تخبرنى الحقيقة قبل أن أعرفها بهذه الطريقة المهينة.
- لقد كانت تخشى هذه اللحظة، أقسم لك بأنها صرفت النظر عن هذه الرسالة ولم يعد يهمها سواك أنت، حبها الأول والأخير.
- نظر إليها ملياً قبل أن يقول متهمكاً :
- هل تتوقعين منى أن أصدق هذا ؟
- أقبلت ليلى تحمل القهوة وقدمتها له فى سخط قائلة :
- تفضل
- نظر إليها فى ضيق قبل أن ينهض قائلاً :
- ليس لى رغبة فى تناول القهوة، كل ما أحجاجة هو النوم.
- اتجه ليرتقى الدرج بينما ليلى تراودها رغبة مجنونة فى قذفه بالفنجان الذى فى يدها.
- استدار إليها فجأة قائلاً :
- عليك إيقاظى فى السابعة، حتى لا أتأخر على من تنتظرنى.
- ازدادت رغبتها جنوناً فألقت بالفنجان خلفه فى عنف، استدار

إليها فى غضب وصفعها بقسوة غير مبال بوجود نادية التى  
أصابها الخجل أضعافاً مما أصاب ليلى وأسرعت تغادر المنزل

\*\*\*

مرت الأيام التالية كالجحيم، ووصلت قسوة ممدوح إلى حد لا  
يحتمل، استنفدت ليلى كل الأعذار له، كان يمضى يومه خارج  
المنزل ثم يعود فجراً ليوقظها ساخطاً ويأمرها بخدمته حتى يخلد  
للنوم، واليوم جاء كعادته وأيقظها لتعد له كوباً من الشاي، وما  
إن وضعت «الغلاية» على النار حتى قذفها بملابسه قائلاً :

— اغسلى هذه الملابس .. الآن

حدقت بنظرات شاردة فى الملابس التى لطختها مساحيق  
النساء، وفاح منها عطرهن صارخاً، وكأنه يوقظها من سباتها  
العميق، ويفتح عينيها اللتين أغلقتهما طواعية، انحنى وأمسكت  
ببسترته، وفى لحظة مجنونة قربتها من نيران الموقد المشتعلة وهى  
تغمغم فى هيستيريا :

— هذه الملابس لن يطهرها الماء أبداً.

استدار إليها، واتسعت عيناه فى قلق وهو يتجه نحوها،  
لكنها تابعت بنفس النبرة الهستيرية :

— لا تقترب أكثر من هذا، وإلا أشعلت النار فى نفسى.

توقف هاتفاً فى جزع :

— تعقلى يا ليلى.

— ومن أين لي بالعقل، لقد سلبتني كل شيء؟

ظل يرقبها متأهباً وهي تنتحب صارخة :

— ماذا خسرت أنت، بعضاً من كبريائك؟ هل خدشت غرورك

الذى لا نهاية له؟ أنا خسرت كل شيء، ولكنك ما زلت

تتفنن في الانتقام منى، إن كان جمالى هو ما يزيدك رغبة في

إذلالى فأنا لا أريده، سوف أجبرك على تطليقى كما أجبرتك

على الزواج منى.

همس دون أن يرفع عينيه عنها :

— كفى يا ليلى لقد اقتربت النار من يدك كثيراً.... دعينا نبدأ

من جديد.

أفقدتها دموعها القدرة على التمييز وهي تصرخ :

— بل دع النار تقترب منى... دعها تطهرنى من توحدى مع

فاسق مثلك، دعها تحررنى من ذنب لا غفران له!..!

أظلم الدمع عينيها فلم تعد ترى النار التى التهمت السترة

عن آخرها وأتجهت إليها عدواً، وبرغم أن يديه كانت الأقرب

فلم تدعها تمسها، إلا أنها ظلت تصرخ فى هستيريا حتى فقدت

وعينا تماماً، أخبرهم الطبيب أنها مصابة بانهيار عصبى شديد،

وأنه سبب مباشر فى هذا، عليه أن يبتعد حتى لا تزداد حالتها

سوءاً.

## ولماذا أعيش ..... ؟

- أنت عبقرى ، لقد أفقدت رسومك الرجل صوابه .
- هتف شوقى بهذه الكلمات فى إعجاب شديد ، وهو يجلس قبالة ممدوح فى مكتبه بالإسكندرية ، ولكنه عاد ليغمغم فى حسرة :
- آه ... لو تبتعد عن النساء ، فهن الحاجز الرئيسى بينك وبين مستقبل رائع .
- نظر إليه ممدوح فى ضيق قائلاً :
- هات ما عندك بلا نصائح .
- هز شوقى رأسه وهو يتأمله متحسراً .. ثم ما لبث أن زفر قائلاً :
- لقد أعجب الثرى الفرنسى بتصميماتك إعجاباً شديداً كما أخبرتك ، لذا فقد قرر أن يمنحك فرصة قلما تتاح لمهندس فى مثل عمرك .
- تنهد ممدوح وهو ينظر إليه فى صبر نافذ فتابع الأخير قائلاً :
- لقد وقع اختياره عليك لتصميم قرية سياحية كاملة فى الساحل الشمالى .
- قال ممدوح فى لا مبالة :
- وأنا قبلت .

- نظر إليه شوقى وهتف مستنكراً :
- بهذه البساطة ..!
- قدم إليه ممدوح علبة سجائره قائلاً :
- عمولتك محفوظة.
- أنا لا أتحدث عن هذا.
- ماذا تريد إذاً ؟
- أعلم أنك لست في حاجة إلى المال ولكن .....
- متى سنبدأ العمل ؟
- تأمله شوقى بدهشة قائلاً
- إن كان الحافز المادى لا يسعدك، فماذا عن الحافز المعنوى ؟
- نفث ممدوح دخان سيجارته صامتاً، بينما غمغم شوقى وهو يتفرس فى وجهه :
- لم أرك من قبل مهموماً بهذا الشكل، هل يتعلق الأمر بامرأة ؟
- نظر إليه ممدوح بضيق، وقبل أن يعلق دق جرس التليفون، فتناول سماعته، وما إن سمع صوت محدثته على الجانب الآخر من الخط حتى أسرع كالبرق يغادر مكتبه غير مكترث لنداء شوقى الذى قارب الصراخ.

\*\*\*

- ليلي تحتضر يا ولدى.
- كيف بلغت هذا السوء دون أن أعلم.
- لقد امتنعت عن تناول الطعام منذ عشرة أيام، واضطر الأطباء إلى تغذيتها بالمحاليل، لكن هذا لم يعد يفلح الآن، يقول الأطباء أنه لا رغبة لديها فى الحياة.
- لماذا لم تعلمينى بهذا من قبل؟ ألم تخبرينى حتى أمس أنها بخير؟
- كنت أعلم أنك تتعذب ولم أشأ أن أزيد عذابك.  
غمغم فى سخرية مريرة :
- أتعذب !! وما أدراك أنت بعذابى، حتى هذه البلهاء الغبية التى تحاول قتل نفسها دون أن تدرى بما تفعله بى، أنا .....
- لم يستطع أن يكمل عبارته، نظر إلى أعلى الدرج فى تردد ثم ما لبث أن قال فى حزم :
- سأصعد إليها، لابد أن أتحدث معها، ولا أظن أنها ستكون أسوأ حالاً مما هى عليه.
- فوجئت المريضة التى تقوم برعاية ليلي بدخول ممدوح إلى الحجر، أغمض عينيه فى ألم وهو يحدق فى وجهها الذى حاكى وجوه الموتى، اقترب منها، احتضن كفها الصغير، وراح يقبله وقد تحجر الدمع فى عينيه للمرة الأولى فى حياته هامساً باسمها فى مزيج من اللوعة والرجاء.

حاولت المريضة أن تعترض، لكنها هتفت فجأة وهى تحدد  
فى ليلى التى تحرك جفناها للمرة الأولى منذ وقت طويل :

— يا إلهى، وكأن روحها متعلقة بروحك.

تطلعت ليلى إليه بنظرات زائغة قبل أن تبتعد بوجهها عنه  
فى ألم، فتصنع هو ابتسامة قائلاً :

— لا أصدق أنك تريدين الموت

تحولت إليه وغمغمت بصوت واهن :

— ستصدق قريباً.

— لماذا تريدين الموت ؟

— ولماذا أعيش ؟

تنحنحت المريضة قبل أن تغادر الغرفة قائلة :

— لا بد أن أتصل بالطبيب، هناك تطورات بالغة الأهمية يجب  
أن أخبره بها.

سحبت ليلى كفها من بين يديه قائلة :

— ما الذى آتى بك إلى هنا ؟

— لا أريدك أن تموتى.

— لم تترك لى شيئاً أعيش لأجله

— هل كل هذا لأننى منعتك عن العمل ؟

— العمل !! العمل فقط ؟

عادت المريضة و بين يديها بعض المحاليل التي حاولت بها  
إسعافها، ولكن ليلى كانت ترفضها بإصرار وحزم، ولم تنجح  
المحاولات المستمينة التي قامت بها المريضة بمعاونة ممدوح فى  
إقناعها بالعدول عن قرارها المجنون بالانتحار، همس ممدوح  
أخيراً فى مزيج من الجزع والتوسل :

— كفاك عناداً، ما تفعليه بنفسك، ذنب لن يغتفر.

— لا أريد سوى أن يغفر الله لى زواجى منك، هو يعلم أنك قاتلى.  
ابتسم بمرارة قائلاً :

— حسناً، دعينى أبرئ نفسى إذاً، أخبرينى بما تريدينه وسوف  
أنفذه لك مهما بدا مستحيلاً  
— طلقنى.

— ماذا، أطلقك ؟

— لا أظن أننى طلبت المستحيل.

ابتسم فى عصبية قائلاً :

— ألا يوجد حل آخر ؟

— الموت.

— يا إلهى، هل تكرهيننى إلى هذا الحد ؟

أشاحت بوجهها صامتة، بينما أردف فى ألم :

— حسناً، أعدك بأن أنفذ رغبتك ما إن تستعيدي عافيتك.

— هل تتوقع منى أن أصدقك ؟

— ألم تعرفى بعد أن الصدق ربما كان حسنتى الوحيدة ؟

— اقسم بأنك ستطلقنى.

— اقسم برأس أبى أن أفعل كل ما تريدينه.

نظرت إليه فى بعض الريبة وعدم التصديق ، لكنها ما لبثت أن استسلمت للممرضة التى حقنتها بالمحاليل تمهيداً لإطعامها فيما بعد.

\*\*\*

أقبلت والدة ممدوح نحوه متهللة وهى تهتف فى سعادة :

— حمداً لله ، لقد بدأت ليلى تتعافى ، كانت ترفض مجرد النظر

إلى الطعام ، لكنها ما إن رأتك حتى أقبلت عليه وتحسنت

حالتها ، هل تعرف لماذا ؟

أجابها ساخراً وهو يغادر الغرفة :

— لأننى وعدتها بالطلاق عندما تسترد صحتها.

ضربت المرأة صدرها بعنف وهى تغمغم :

— طلاق !!

تجاوزت عقارب الساعة الثانية عشرة ليلاً ، ولىلى تجلس على الأريكة فى الردهة الكبيرة منتظرة عودة ممدوح من الإسكندرية ، لقد اتصل فى الخامسة ظهراً وأخبر والدته أنه سيأتى هذا

المساء، علم بأنها غادرت الفراش أمس، لا بد أن يأتي لينفذ وعده لها، لقد أقسم برأس والده، ستتحرر من قبضته أخيراً، ستعود إلى حياتها السابقة وإلى عملها الذى تعشقه، ستضحك وتلهو وتمرح بحياتها كما تشاء.

فلماذا شعورها البغيض هذا ؟ لماذا هذا الحزن الذى يملؤها ؟ ربما لأنها خسرت تجربتها معه، ستبحث عن أى عنوان آخر لرسالتها وتبدأ من جديد، لكنها لن تكرر هذه التجربة أبداً.

انقضت فى زعر عندما فوجئت به يحدق فيها وبلغ مسامعها صوته حانياً يقول :

— حمداً لله على سلامتكم.

ابتلعت ريقها قائلة :

— أشرك.

أربكتها ابتسامته وبريق عينيه الذى لن تنساه أبداً، تظاهرت بالنظر إلى حقائقه وهى تحاول التحكم فى أعصابها قائلة :

— الفضل يعود إلى الوعد الذى قطعته لى.

تأملها قليلاً قبل أن يقدم لها إحدى الحقيبتين اللتين عاد بهما من الإسكندرية ويحمل هو الأخرى متجهاً بها إلى الدرج قائلاً :

— برهنى لى أولاً أنك تعافيت واحملى معى هذه الحقيبة إلى غرفتى.

دلف إلى إحدى الحجرات فى الطابق الثانى واضطرت مرغمة أن تتبعه، ألقت بالحقيبة أرضاً وهى تهتف به فى صبر نافذ :

— هل صدقت الآن، هيا عليك أن تنفذ ما وعدتني به.

تجاهل نبرتها الغاضبة قائلاً :

— ما رأيك فى حجرتى، كانت لى قبل الزواج، وها أنا عدت إليها من جديد.

تجاهلت بدورها عبارته قائلة فى غضب أشد :

— لقد أقسمت برأس والدك.

تأملها صامتاً وقالت عيناه لها الكثير لكنها لم تصدق، عادت تهتف فيه من جديد :

— طلقنى.

أشاح بوجهه قائلاً :

— سأفعل كل ما تريدين، ولكن ليس الآن.

جذبتة ليواجهها صارخة :

— لقد خدعتنى، أنت تتملص من وعدك لى، لقد أقسمت.

أزاحت يديه عندما هم بوضعها على كتفيها، فابتسم قائلاً :

— اسمعنى جيداً أيتها الشرسة، لم يمض على زواجنا سوى شهور قليلة، لم تتعد الخمسة أشهر بعد، لم لا ننتظر قليلاً؟

صرخت فى انفعال :

— إن كنت تخشى على سمعتى يمكنك أن تطمئن.

نظر إليها في مزيج من الغضب والقلق قائلاً :

— هل ستتزوجين ما إن تنته شهور العدة ؟

حدقت فيه قائلة في سخط :

— أهذا ما تخشاه ؟

ظل يتأملها صامتاً فتنهدت قائلة :

— اطمئن ، لقد زدتنى بغضاً للرجال.

ابتسم هامساً :

— أيعنى هذا أنك لن تتزوجى أبداً ؟

رفعت وجهها قائلة :

— أنا لم أقل هذا.

قال في لهجة زادتها جنوناً :

— لا داعى للعجلة إذاً.

همت أن تعترض ، لكنه أكمل بسرعة :

— يمكنك هنا أن تفعلى ما شئت ، يمكنك العودة إلى عملك ،

ابحثى لك عن أى موضوع آخر واكملى رسالتك.

ثم أردف محذراً :

— شرط أن يكون بعيداً عنى وبلا تهور.

— ها قد بدأت شروطك قبل أن نبدأ.

- لا تنسى أنك ما زلت زوجتى.
- هذا ما أريد أن أنساه وعليك أن تساعدنى.
- أربكتها نظرة العتاب فى عينيه فثارت كطفلة قائلة :
- طلقنى ... طلقنى الآن.
- إن لم تكفى عن جنونك هذا، فلن أطلقك أبداً، لقد أخبرتك بأنك حرة وتستطيعين العودة إلى عملك ودراستك متى شئت، ومن جهتى .. فأنا لن أحاول إزعاجك، طوال إقامتى فى المنزل سأبقى فى هذه الغرفة، وباستطاعتك أن تمتنعى عن رؤيتى إن شئت.
- هل أفهم من هذا أنك لن تطلقنى قريباً ؟
- زفر بضيق وهو يجلس خلف مكتبه ويمسك بقلمه قائلاً :
- سأسافر قريباً إلى الساحل الشمالى، وسأبقى هناك لفترة طويلة إلى حد ما، سأطلقك عندما أعود، إن رغبت فى هذا، أما الآن فاذهبى واتركينى لعملى.
- هل تظن أننى سأراجع عن موقفى ؟
- جربى، ربما تروق لك الإقامة هنا عندما تتأكدين أننى سأتركك وشأنك، سيكون هذا أيسر كثيراً من حياة المطلقة على أية حال .. إلا إن كنت تخططين للزواج قريباً .
- هل ستأتى للعمل هنا كثيراً ؟
- أنا مجبر على هذا، أمامى مشروع ضخم يحتاج إلى تفرغ تام بعيداً عن ضجيج المدينة

— بعيداً عن ضجيج المدينة أم بعيداً عن نساؤها ؟

ابتسم وهو ينظر إليها قائلاً :

— لم يعد لك شأن بهذا الآن.

— لا تنسى أنك ما زلت زوجي.

اتسعت ابتسامته حتى ملأت وجهه كله بينما أسرعته في خجل تغادر الغرفة، في قلبها رقصة من سعادة تعجبت لكونها ما زالت تشعر بها.

ألقت ليلى بالكتاب الذى بين يديها جانباً فى ضجر، شعرت بالسخط من غضبها الذى لا مبرر له، لقد وفى ممدوح بوعدده، فلم يحاول رؤيتها أو الاحتكاك بها طيلة فترة تواجدده فى المنزل والتي تجاوزت الأسبوع، حتى وجباته كان يتناولها فى حجرته التى اتخذها له حصناً كما أخبرها .....

أفاقت من شرودها على صوت حماتها تناديهما، تقدمت منها .. فابتسمت المرأة قائلة :

— لقد ذهبى سعيدة لتطعم الطيور، وأنا مشغولة فى إعداد الطعام، هل يمكن أن تسدى لى خدمة ؟

ابتسمت ليلى قائلة :

— بالطبع، فأنا فى حاجة لعمل أى شئ

— هلا أعددت كوباً من الشاي، وذهبت به إلى ممدوح ؟

نظرت إليها فى تردد، لكنها لم تجد سبيلاً للرفض أمام ابتسامة المرأة المشجعة، ولمَ لا؟ فهى فى غاية الشوق لرؤيته، لم يعد باستطاعتها أن تنكر هذا.

طرقت باب الغرفة التى يشغلها برفق حتى سمعت صوته يدعوها للدخول، كان منهمكاً فى رسومه فلم يكلف نفسه عناء النظر إليها، ظلت تتأمله لحظات صامتة حين قال فجأة:

— أتريدين شيئاً يا سعد.....

لكنه ما إن وقع بصره عليها حتى برقت عيناه فى سعادة هامساً فى حنين:

— ليلى...!

غمغمت فى ارتباك:

— لقد أعددت لك الشاى، سعدية تطعم الطيور، ووالدتك مشغولة فلم.....

زادتها نظراته ارتباكاً، فأسرعت لتغادر الغرفة عندما أمسك بها قائلاً فى شبه رجاء:

— أن تنتظرى حتى أنتهى منه؟

غمغمت دون أن تنظر إليه:

— لا أريد أن أعطلك عن عملك.

— لحظات قليلة لن تضر، بل ربما تكون حافزاً لى.

هربت من النظر إليه بالنظر إلى لوحاته، فابتسم قائلاً:

— ما رأيك ؟

— جيدة.

— ما هي معلوماتك عن الرسوم الهندسية ؟

— لا شيء ، لكن خطوطك تبدو واثقة.

تأملها قائلاً :

— من بين أكثر من عشرين مكتب وشركة هندسية ، وقع الاختيار

على مكتبي لتصميم قرية سياحية كبيرة في الساحل الشمالي.

ابتسمت قائلة :

— تقول والدتك إنك كنت طالباً متفوقاً.

— جداً.

حدقت في وجهه ، يا لها من ثقة تصل حد العجرفة والغرور ،

لكم تبغضها وتعشقها في آن واحد ، غرقت في بحر عينيه الذي

لا ينتهي ، ارتجفت فجأة وكأنها استيقظت من حلم جميل قائلة :

— ألم تنته بعد ؟

ناولها الكوب صامتاً ، فاتجهت في خطوات متعثرة إلى باب

الغرفة حتى كادت تسقط ، وإن كانت قدماها لم تعودا تقويان على

حملها ، فهناك شيء ما حلق بها فوق السحاب.

\*\*\*

أخذت ليلي نفساً عميقاً بعد رغبة ملحة قادتها إلى غرفته دون وعى منها، راحت تعباً رثيها من أنفاسه ورائحته التي تملأ الغرفة، لقد سافر منذ أربعة أيام إلى الإسكندرية ليُتمَّ عمله هذا الذى باتت تغار منه، لم يحاول أن يحدثها تليفونياً طيلة هذه المدة، ولم تنجح قسوته فى نزعها من قلبها وأفكارها.

يا الله .. ألم يحزن الوقت بعد لغفران هذا الذنب العظيم؟  
ألها من الذنوب ما يغلق أمامها باب السماء؟ أم لأنها تدعو الله وتتمنى فى الوقت ذاته ألا يستجيب لها .....

— هل اشتقت إلىّ؟

اتسعت عيناها ذعراً ودهشة وهى تحدد فى وجهه، فاتسعت ابتسامته قائلاً :

— هذا أنا بالفعل ولست حلماً.

أسرعت لتغادر الغرفة وقد احمرت وجنتها خجلاً ولم تجد ما تقوله، لكنه أمسك بها قائلاً

— مهلاً، ساعدينى فى إعداد حقائبى.

— أين ستذهب؟

— الساحل الشمالى.

— متى؟

— بعد ساعة.

— ولماذا جئت إذاً؟

- جئت لأودعك.
- هل ستتغيب كثيراً؟
- شهر على الأقل.
- امتلاً وجهها مرارة، فقال هامساً :
- هل ستشتاقين لى؟
- هل ستسافر بمفردك؟
- قال دون أن يرفع عينيه عن وجهها :
- ربما.
- جاهدت للتحكم فى انفعالاتها قائلة :
- وربما الأخرى؟
- ابتسم قائلاً :
- ربما يرافقتنى أحد، أيهما ترجحين؟
- أجابته ساخطة :
- ربما الثانية بالطبع، امرأة أليس كذلك؟!
- عاد يبتسم قائلاً :
- بلى .. هو كذلك.
- صرخت فى غضب :
- طلقنى يا ممدوح.

أجابها فى لا مبالاة زادتها غضباً :

— بعد عودتى.

— كلا، طلقنى الآن قبل أن ترحل.

— كفاك إلحاحاً لا جدوى منه، لقد قلت كلمتى.

همت أن تعترض، فوضع يده على فمها قائلاً :

— سأنتظر بالأسفل، أمامك عشر دقائق لإعداد حقيبتك، بعدها سأعلم أنك لا تريدين المجئى معى.

حدقت فى وجهه، لقد كان يعنيهها إذاً، لماذا لم يخبرها بذلك منذ البداية، هذا المزعج يتعمد إثارتها دائماً، تباً له .. من يظن نفسه ؟!!

نهض ممدوح ليودع والديه، مضى أكثر من نصف ساعة ولم تأت ليلى بعد، يبدو أنها لا تريد مرافقته هتفت والدته :

— أئن تنتظر ليلى ؟ انتظر قليلاً، سأذهب لأ.....

قاطعها فى حزم قائلاً :

— كلا، سأذهب بمفردى

ما كاد يصل لباب المنزل حتى لمحها تهبط الدرج وفى يدها حقيبة سفر صغيرة، نظر إليها فى مزيج عجيب من السعادة والحزن معاً، تهلل وجه والدته بينما هتف والده مازحاً :

— عد لنا بالحفيد الذى وعدتني أن أراه بعد تسعة أشهر.

احمرت ليلى خجلاً، بينما غمغم ممدوح وهو يتأملها :

— إنه شهر عمل يا أبى وليس شهر غسل.

نظر إليه والده فى مكر قائلاً :

— ظننت أن النساء هن عملك المفضل.

ضحك ممدوح فى حين ازدادت ليلى خجلاً واتجهت بخطوات واسعة لمغادرة المنزل، عندما هتف الرجل قائلاً :

— انتظرى يا ليلى.

اتجه إلى مكتبه، ثم عاد بعد قليل ليضع فى يدها مبلغاً كبيراً من المال قائلاً :

— اشتر ما شئت، أريدك أن تستمتعى بوقتك بقدر طاقتك.

حاولت ليلى الرفض متعلقة بأن لديها من المال الكثير، لكن الرجل كان أكثر عناداً من ولده

\*\*\*

## الزاهد

ساد الصمت بينهما طويلاً، وإن كان ممدوح يرفع عينيه عن الطريق من وقت لآخر لينظر إليها، وفجأة راح يدندن بأبيات الشعر التي كتبها كمال وحفظها هو بلا وعى

لولا يعاقبني الله من أجلك

جعلتك إلهة في الأرض وقدستك

معابد من نور في عيني شيدتك

آه... حبيبتي بكل الحب أحببتك

أصابتها الكلمات باضطراب شديد، فغمغمت في محاولة لإخفاء انفعالاتها :

— من تلك التي أخبرتك بأن لك صوتاً يمكنك من الغناء ؟

ضحك وهو يلقي عليها نظرة سريعة قائلاً :

— ولماذا تجزمين بأنها امرأة ؟

زفرت بضيق قائلة :

— وهل يمتدحك غير النساء ؟

ابتسم قائلاً :

— ما دمت تصرين على هذا، فقد أجمعن .. على أن صوتي  
يمنح الأغنية سحراً خاصاً لا يمنحه سواي.

ابتسمت في عصبية قائلة :

— يا لك من متعجرف .. !

عاد يضحك في مرح سرعان ما انتقل إليها، توقف أمام  
إحدى الاستراحات المتناثرة على الطريق قائلاً :

— تعالي لنتناول شيئاً.

بالقرب من الاستراحة كان هناك مركز كبير لبيع مستلزمات  
البحر فنهضت قائلة :

— سأذهب لشراء بعض الأشياء من هذا المركز.

— انتظري، سأتي معك.

— أخبرتك مراراً أنني أستطيع الاعتناء بنفسى.

نظر إليها بضيق قبل أن يخرج لها مبلغاً من المال قائلاً :

— هل يكفي هذا ؟

— لا أحتاج لنقودك، أنا معى الكثير، ألم تر .....

قاطعها في حزم قائلاً :

— ما دمت برفقتى فأنا المسؤول عن احتياجاتك.

عادت بعد وقت ليس بالقليل، تحمل بين يديها حقيبة كبيرة، نظرت إلى ممدوح الذى كان ينتظرها فى السيارة وقد نفذ صبره وابتسمت قائلة :

— آسفة، لم أشعر بأننى استغرقت كل هذا الوقت إلا عندما نظرت فى ساعتى.

— أمل أن تكونى قد وجدت ما يستحق كل هذا الانتظار، ماذا اشتريت؟

وقبل أن تعترض كان يمسك بين يديه بالشئ الوحيد الذى حاولت إخفاءه عنه، مايوه أزرق من قطعتين، اشترته فى لحظة مجنونة .. بعد أن لمحت فى عينى البائع .. تلك الوقاحة التى تلمحها فى عينيه عندما تراوده الرغبة فيها.

ابتسم فى تهكم وهو يرفعه أمام عينيها قائلاً :

— ما هذا؟

جذبتة منه فى عنف قائلة :

— لا يحق لك أن تعبت بأشياءى.

اتسعت ابتسامته قائلاً :

— ألم نتفق أننى ذاهب فى رحلة عمل؟

صاحت فى عصبية :

— ومن قال غير ذلك؟

همس فى مكر :

— لماذا تحاولين إغوائى إذاً ؟

تلعثمت فى خجل قائلة :

— إغواؤك، أنا .....

أطلق ضحكة طويلة عندما أشاحت بوجهها ساخطة، ولم تجد كلمات لتكمل بها عبارتها. عاد للتوقف بعد قليل أمام متجر كبير لبيع المواد الغذائية، نظر إليها قائلاً :

— هيا، سننزل لشراء بعض المعلبات واللحوم.

بادلته نظراته قائلة :

— يمكنك أن تتولى هذه المهمة بمفردك.

— أريدك أن تعطينى رأيك فى بعض الأشياء.

ثم أردف فى مكر :

— لقد أيقنت أن لك ذوقاً رائعاً بعد أن رأيت مشترياتك.

وصلا أخيراً إلى بوابة ضخمة، وما إن رأى رجال الأمن ممدوح حتى أسرعوا لتحيته وفتح البوابة له، فترجل الأخير من السيارة متجهاً إليهم بابتسامة واسعة، لاحظت ليلى أن الرجال يحدقون فيها بشئ من الدهشة وعدم التصديق، وما إن عاد ممدوح إلى السيارة حتى ابتدرته قائلة :

— لماذا ينظر لى هؤلاء الرجال بهذا الشكل، ماذا قلت لهم عنى ؟

ابتسم قائلاً :

— أخبرتهم أنك زوجتى.

قالت تستغفه:

— حتى الآن.

تجاهل عبارتها ساخطاً .. وهو يقود السيارة على امتداد مجموعة من الشاليهات الأنيقة، تفصل بين الواحد والآخر مساحة شاسعة، فغمغمت ليلى مستنكرة :

— لا تقل لى إن مستثمرك الفرنسى سيهدم هذه الشاليهات الرائعة !

— كلا بالطبع، فهذه الشاليهات المنعزلة بالرغم من كونها قليلة العدد، إلا أنها تأتى بعائد مالى كبير، ما نريده هو إضافة بعض البنايات العملاقة التى تسمح بوجود أكبر عدد ممكن من المصطافين.

توقف بالسيارة أمام أحد الشاليهات قائلاً :

— ها هى محطتنا الأخيرة.

وضع ممدوح الحقائق على أرضية الردهة، ثم نظر فى ساعته قائلاً :

— أنا مضطر أن أتركك الآن، لدى موعد هام مع هذا الفرنسى، يمكنك أن تمارسى هوايتك حتى أعود وتعدى لنا بعض المأكولات، إذا أردت شيئاً يمكنك الاتصال بالرقم المدون على الهاتف.

مضى وتركها تتفحص المكان من حولها، كان ملحقاً بالردهة التى احتوت على طقم مريح للجلوس، بالإضافة إلى منضدة كبيرة وضع فوقها مجموعة من الأدوات كتلك التى يستخدمها ممدوح فى الرسم، كان هناك غرفة للنوم، حمدت ليلى الله على وجود

فراشين منفصلين بها، حتى لا تضطر إلى مشاركته فراشه من جديد، اغتسلت سريعاً واتجهت بعدها إلى المطبخ الذى كان مزوداً بكافة الأجهزة الكهربائية، وضعت الأطعمة فى الثلاجة، وشرعت لإعداد وجبة خفيفة قبل عودة ممدوح، ما كادت تنتهى منها حتى سمعت صوته يغلق الباب .

أقبل نحوها متهللاً يقول :

— ها قد وجدت لى معجبين من الجنس الخشن حتى لا تغضبى.

حدقت فيه فتابع فى حماس :

— المستثمر الفرنسى مسيو هنرى فريدريك يكاد يكتب فى الأشعار إعجاباً.

ناولته أطباق الطعام ليضعها على المائدة قائلة :

— حمداً لله، عليك إذاً أن تكون أهلاً لهذه الثقة.

جلسا يتناولان طعامهما، وما كاد ممدوح يضع قطعة فى فمه حتى أخرجها من جديد وهو ينظر إلى ليلى فى سخط قائلاً :

— بالله أخبرينى، ماذا كنت تفعلين فى المطبخ كل هذا الوقت ؟

أسرعت تضع قطعة طعام فى فمها، وما لبثت أن ابتسمت فى خجل قائلة :

— لقد نسيت أن أضع بعض الملح.

أكمل فى تهكم :

— ملح فقط، وماذا عن مظهره الخارجى الذى يوحى بأنه  
احترق بينما نضجه لم يكتمل بعد.

غمغمت ساخطة :

— قل ما شئت، فأنا من منحتك الفرصة لتوبيخى.

راح يقلد نبرتها قائلاً :

— أريدك أن تكون لى وحدى، لا أريدك أن تعرف امرأة غيرى ..!

تطلعت إليه مبتسمة فأكمل ساخراً :

— وها أنت قد جعلتنى أشواق إلى سعديه، أين أنت يا سعديه؟؟

انتهرته قائلة :

— كفى أيها الشره، لقد نلت ما يكفى من التوبيخ.

هز رأسه وهو يتناول سماعة الهاتف ليطلب طعاماً من

الكافيتريا، وما إن أغلق الخط حتى تنهد قائلاً :

— ها قد مضى يومنا الأول بلا فائدة!

توالت الأيام يجرب بعضها بعضاً، وتحولت السعادة التى كانت

تشعر بها وهى ترقبه يعمل إلى ضجر وضيق فى ظل تلك اللا

مبالاة التى يبديها نحوها يوماً بعد يوم، ماذا حدث له ألم يعد

يراهها؟ هل ذهبت رغبته فيها للأبد؟ هل ينوى تطليقها بالفعل

بعد العودة من هذه الرحلة؟ هل تحول إلى زاهد فجأة.. أم أنه

يشبع رغبته مع أخريات فى تلك الساعات القليلة التى يمضيها

بعيداً عنها؟!!

لم ترفع عينيها عن وجهه وهو يتناول طعامه .. فابتسم قائلاً  
دون أن ينظر إليها :

— أما زلت آكل كالأسد ؟

ابتسمت في خجل قائلة :

— ليس بعد ، هناك تحسن.

بادلها الابتسام قائلاً :

— التحسن في طريقة طهوك أيتها الماكرة.

— أهذا يعنى أنك لم تعد تشتاق إلى سعدية ؟!

هم أن يهتف أنا لا أشتاق إلى امرأة سواك ، لكنه اكتفى بابتسامة  
حانية وجهها إليها قبل أن يغادر المائدة قائلاً :

— حمداً لله ، لقد كنت أتضور جوعاً.

وجدت نفسها لا إرادياً تغادر المائدة أيضاً وتذهب خلفه  
بالمشقة فى يدها ، نظر إليها وابتسم قائلاً :

— هذا إفراط فى تدليلي.

نظرت فى عينيه قائلة :

— إنه شئ للذكرى فحسب.

بادلها نظراتها ومسحة من ألم فى عينيه فتابعت :

— هل نسيت أنك ستطلقنى بعد أيام قليلة ؟

— إن كنت ما زلت تريدين الطلاق ؟

أبعدت عنه وجهها قائلة :

— نعم ما زلت أريد الطلاق.

تركها قائلاً :

— وأنا سأفعل ما تريدينه يا ليلي.

انهمك فى عمله بينما استلقت على فراشها تحاول التحكم فى أعصابها التى انهارت، فهو لم يعترض، لم يخبرها بأنه لا يريد أن يطلقها، لم يعتذر عن الماضى ويطلب منها البدء من جديد، لا يهم أن يعتذر، لماذا توقف عن ضمها إليه ؟ لماذا توقف عن تقبيلها كلما رآها كما كان يفعل ؟ هل أتى بها إلى هنا للقيام بدور الخادمة لا أكثر من هذا ؟ ألم تعد تروق له ؟

نهضت من فراشها فجأة وتوجهت إلى المرآة تتأمل وجهها وقوامها المشوق، ما زالت ليلي التى يتهافت عليها الجميع، أخبرها أنها أجمل امرأة رآها، ألم يعد يرى هذا الآن ؟ توجهت إلى الخزانة، أخرجت المايوه الأزرق الذى كانت قد قررت ألا ترتديه، سترى الآن إن كان قد تحول إلى زاهد بالفعل ؟

فليتهمها بأنها تريد إغواءه إن شاء، فهى لم تعد تحتل تجاهله لها.

خرجت بعد قليل .. كان منكباً على عمله، لم يرفع عينيه إليها، قالت ساخطة :

— سأذهب للنزهة.

— حسناً، لا تتأخرى

— هل تريد شيئاً قبل أن أذهب ؟

شئ ما فى صوتها المضطرب جذب انتباهه ، رفع بصره إليها  
فى نظرة سريعة عاد بعدها إلى عمله قائلاً :

— كلا، أشكرك

أسرعت تغادر الشاليه حتى لا يرى هذا الدمع المتحجر فى  
عينيهها، وما إن أغلقت الباب خلفها حتى ألقى بقلمه جانباً وراح  
يرقبها من خلف النافذة الزجاجية هامساً :

— مهلاً أيتها الطفلة المتوحشة التى سلبتنى عقلاً ظننتنى حصنته  
من كل النساء.

استمر لحظات ينظر فى حسد إلى ماء البحر الذى راح يحتضن  
جسدها الجميل بدلاً منه، أطلق تنهيدة طويلة، سيخبرها ..  
سيخبرها بأنها حبه الأول والأخير .. وبأنها من حولت الصخر  
بين ضلوعه إلى كتلة من المشاعر قادرة على الحب لدرجة الألم  
والعذاب .. سيخبرها بأنها الشوق الذى لا ينام !

لكنه يحتاج أولاً إلى يقين، يقين بأنها على استعداد للتضحية بكل  
شئ من أجله، هل تخلت حقاً عن هذه التجربة اللعينة؟ أم أنها  
ستعود لتكررها مع منحرف آخر بعد أن تتأكد من نجاحها معه ؟

لن يقر بحبه لها إلا إذا اعترفت بأنها تحبه كما هو، تحبه  
بلا شروط، بلا عقل، نعم، لابد أن تحبه بلا عقل، حتى لا  
يأخذها عقلها منه يوماً ويأخذ معها قلباً عنيداً يعصيه للمرة

الأولى فى حياته، عاد ينظر للبحر من جديد، بل إليها، لكنه لم يجدها، أين ذهب، أين اختفت ؟

أسرع إلى الشاطئ ليلبحث عنها، لم يجد لها أثراً، راح يصرخ باسمها فى هستيريا دون جدوى، كانت قد وعدته بالأبواب التى تبعد كثيراً عن الشاليه، فأين ذهب ؟ عاد إلى الشاليه ثم إلى الشاطئ من جديد يحمل منظاره المكبر، جال به البحر ذهاباً وأياباً حتى لمح أخيراً طيفاً بعيداً، بعيداً جداً، أهذه هى ؟ وإن كانت هى، سيبتلعها البحر حتماً قبل أن يصل إليها حياً!

كانت ليلى قد استلقت بظهرها فوق سطح الماء شاردة، غير مبالية بتياراته العالية وأمواجه العنيفة، فما يعتمل فى نفسها من صراع أكثر عنفاً وأشد قسوة من أى خطر آخر، اختلطت دموعها بماء البحر ونحيبها بصراخ أمواجه، تمايلت قليلاً لتجفف دموعها المنهمرة، كادت تغرق، أدركت فجأة عمق الكارثة التى تحيط بها، امتدت عيناها فى زعر تبحث عن الشاطئ البعيد، تخبط بالماء كمن يطارد وحشاً لا قدرة له به، قاومت طويلاً، فهى تجيد السباحة منذ الصغر .. فما الذى حدث الآن ؟

أرتخى ذراعها فى استسلام واستعدت لتلفظ أنفاسها الأخيرة لولا رؤيتها لهذا القارب الذى يتجه إليها مسرعاً .. فعادت تناضل من جديد، ورفعت يدها تلوح له باستماتة، ازداد البحر تشبثاً بها وجذبها إليه فى إصرار وإلحاح، غطتها أمواجه وكادت أن تبتلعها، فجأة وجدت نفسها بين ذراعى ممدوح الذى قفز إلى الماء جزعاً قبل أن يقفز إليه أحد من حرس الشواطئ، أسرع ليلقى بها إليهم قبل أن يقفز خلفها ويسألها فى لهفة :

— ليلي، هل أنت بخير؟

استكانت بين ذراعيه وراحت تنتحب في عنف قبل أن تهز رأسها إيجاباً، مسح شعرها في حنان افتقدته طويلاً وهو يقبل جبهتها مراراً هامساً في لوعة:

— كيف انجرفت إلى هذا العمق أيتها المتهورة؟

وصل بهما قارب النجاة أخيراً إلى الشاطئ، شكر ممدوح رجال حرس السواحل بينما قال كبيرهم له:

— حمداً لله على سلامة زوجتك.. وأرجو أن تتوخيا الحذر في المرة القادمة.

شكرهم ممدوح على سرعة تلبيتهم لندائه ووعدهم بأن يكون أكثر حذراً، انصرفوا وعاد ينظر إلى ليلي صامتاً قبل أن يحملها إلى الشاليه رغم اعتراضها، ما إن دلفا إليه حتى وضعها على أرضه برفق قائلاً:

— بدلي ثيابك حالما أصنع لك مشروباً ساخناً يخفف من رعدتك.

نزعت ليلي المايوه الأزرق وألقت به أرضاً في عنف، فهو لم ينجح في جذب انتباه هذا المتحجر.. وإن كان قد جذب انتباه البحر إليها فكاد يبتلعها.

مضت الأيام التالية هادئة، لم تخطُ ليلي خلالها خارج باب الشاليه، بل أصبحت تخشى النظر إلى البحر وأمواجه، فقد ظل عالقاً بذهنها ما حدث في ذلك اليوم مخلفاً رهبة لم تستطع التخلص منها، لكن الملل عاد ليطاردها من جديد فنظرت إلى

ممدوح قائلة :

— سأذهب للصيد.

أجابها فى حزم :

— كلا.

— ماذا ؟!

— لن تذهبى إلى أى مكان دونى يا ليلى.

— كف عن معاملتى كطفلة.

— أثبتت التجارب أنك كذلك بالفعل.

اتجهت للباب صارخة :

— سأذهب حيثما أشاء... أيا مننا معاً معدودة على أية حال، لا

تزعم الخوف علىّ.

جذبها بعنف قائلاً :

— كفى جنوناً، كدت أن تستنفدى أرواحك السبعة، كم مرة

نجوت فيها من قبضة الموت حتى الآن ؟ ربما تلقين حتفك

فى المرة القادمة.

صاحت به كطفلة عنيدة :

— اتركنى أموت إذناً، لا شأن لك بى.

هزها بعنف قائلاً :

— إن كان لابد من موتك ، فسأفعل أنا هذا يا ليلى .

صرخت فى ألم :

— أترك ذراعى أيها المتوحش

\*\*\*

أخفت وجهها فى الوسائد عندما دلف ممدوح إلى الحجرة  
وأضاء مصابيحها ، ابتسم وهو يقترب منها قائلاً :

— لماذا تجلسين وحدك ما دمت مستيقظة ؟

— وهل سأتخلص من وحدتى عندما أخرج إلى الردهة ؟

— أما زلت غاضبة ؟

— لم آت معك إلى هنا لأنتقل من زنزانة لأخرى .

قبل جبهتها قائلاً :

— أمهلينى أسبوعاً واحداً حتى انتهى من عملى .

نظرت إليه فى لوعة قائلة :

— بعدها نعود إلى القرية لتطلقنى ، أليس كذلك ؟

تفرس فى قسماتها قائلاً :

— لن أفعل شيئاً لا تريدينه يا ليلى .

تشبثت ليلى بالأيام القليلة المتبقية حتى ينتهى ممدوح من  
عمله فى هذه القرية ، ماذا تريد أكثر من هذا ، فهى تراه كل

يوم، تتناول طعامها معه، تحدثه ويحدثها، يقطع بعضاً من وقته كل غروب ليذهب معها إلى الشاطئ في نزهة بريئة .. أقصى ما يفعله خلالها هو أن يحتضن كفيها الصغير وهما يمشيان معاً فوق رماله ، إن كان كل هذا لا يكفيها، فماذا ستفعل بعد أن يطلقها ؟ كيف ستحيا بدونه وقد صار لها الماء والهواء ؟

استيقظت من شرودها عندما فتح الباب ليدخل وعلى شفتيه ابتسامة واسعة قائلاً :

— أخيراً انتهت التصميمات على الورق وسيبدأ تنفيذها قريباً.

تصنعت ابتسامة قائلة :

— مبروك، أنا سعيدة جداً لأجلك.

تفرس في وجهها قائلاً :

— وجهك ينفى هذا تماماً.

— أشعر ببعض الصداع .

نظر كلاهما للآخر، ثم انفجرا يضحكان طويلاً قبل أن يسود بينهما صمت أطول، قطعه ممدوح قائلاً :

— سيقوم مسيو فريدريك حفلاً هذا المساء بمناسبة انتهاء التصميمات والبدء في تنفيذها.

— وتريدني أن أكون معك ؟

— هذا أقل ما يمكن أن أقدمه لك بعد كل مجهوداتك معي.

— لكنني لا أستطيع .

- حذق فيها بدهشة فتابعت :
- ليس لدى ما أرتديه لهذه المناسبة.
- زفر بضيق قائلاً :
- ليلي ، أنت تثيرين جنوني دائماً.
- وقفنا أمام إحدى نوافذ بيع الملابس الجاهزة ، وأشار ممدوح إلى أحد الأثواب قائلاً :
- ما رأيك فى هذا ؟
- تأملت ليلي الثوب الذى أشار إليه ، ثم التفتت تحديق فى وجهه بعباب صامتة ، فهمس مبتسماً :
- ماذا بك ، ألا يعجبك هذا الثوب ؟
- تلعثمت قائلة :
- ألا ترى لونه ؟
- ماذا به ، ألا تحبين اللون الأبيض ؟
- تذكر أن هذا الحفل بمثابة حفل الوداع بالنسبة لنا ، بعدها تطلقنى ، ويذهب كل منا فى طريقه.
- نظر إليها قائلاً :
- أما زلت تريدين الطلاق ؟
- أشاحت بوجهها قائلة :

— نعم، ما زلت أريده.

— دعيني إذاً التقط لك بعض الصور التذكارية بثوبك الأبيض هذا.

ابتسمت بعصبية قائلة :

— تذكار.

همس قائلاً :

— ألا تريدان تذكراً أنت أيضاً ؟

تنهدت بمرارة قائلة :

— لست فى حاجة إلى شئ يذكرنى بك.

غمغم فى حزم :

— سأشتره يا ليلى.

هزت رأسها مستسلمة، فليفعل ما يشاء، وما الفرق فى لون الثوب مادامت المناسبة كما هى لم تتغير، كل ما يشغله هو بعض الصور التذكارية، ياله من متحجر القلب ؟

أخرج ممدوح دفتر شيكاته ليدفع ثمن الثوب، لكن البائعة رفضت متعللة بأنهم لا يتعاملون إلا نقداً، حاولت ليلى دفع المبلغ، لكنه نظر إليها محذراً قبل أن يخرج مبلغاً قدمه إلى البائعة قائلاً :

— هذا المبلغ للحجز، سأعود بعد قليل لأخذه.

فى السيارة اعترضت ليلى قائلة :

— لماذا لم تدعنى أَدفع أنا، ماذا سأفعل بكل هذه النقود بحوزتى؟!  
أجابها فى حزم :

— أخبرتك مراراً بأننى خلقت هكذا ولن أتغير أبداً، أطلقى على  
من الألقاب ما شئت.  
غمغمت بسرعة :

— ديكتاتور

تجاهل تعليقها قائلاً :

— سأذهب بك الآن إلى مصفف الشعر، وسأعود إليك بعد قليل  
بالفستان الأبيض.

تعمد الضغط على كلماته الأخيرة، فهتفت أعماقها فى سخط :

— بالله كفى يا ممدوح، لم أعد أحتمل المزيد

\*\*\*

أفسدت دموعها المنهمرة مكياجها أكثر من مرة، فحدق فيها  
مصفف الشعر صامتاً وإن كانت نظراته تحمل بعض العتاب،  
فغمغمت وهى تحاول التحكم فى انفعالاتها :

— آسفة، أعدك أن هذا لن يتكرر مجدداً.

ما إن انتهت أنامل الرجل من تجميلها، حتى أطلق صيحة  
إعجاب قائلاً :

— رائعة، ولكن تنقصك ابتسامة صغيرة.

ابتسمت ليلي ابتسامة حزينة، فهمس الرجل في تردد :

— ما الذى يرغمك على هذه الحياة ؟

اتسعت عيناها وهى ترمقه بنظرات متسائلة .. فأردف قائلاً :

— جميعنا يعلم بعلاقات ممدوح الشائكة، وامرأة مثلك ليست  
فى حاجة إلى .....

قاطعته فى حدة قائلة :

— أنا زوجته.

صاح الرجل مستنكراً :

— ماذا ؟

وصل ممدوح واقترب يقبل ليلي فى جبهتها منبهراً، قبل أن  
يلتفت إلى الرجل قائلاً :

— كنت واثقاً من مهارتك.

ابتسم الرجل وهو ينظر إلى ليلي قائلاً :

— الفضل لله وليس لى.

ثم أردف وهو يتفرس فى وجهه بتمعن :

— زوجتك رائعة.

ابتسم ممدوح قائلاً :

— أشكرك.

— إنها زوجتك بالفعل إذاً .. لكنك كنت دائماً متمسكاً بحريتك  
و ضد فكرة الزواج !

— لقد قررت التضحية، ألا تستحق ؟

نظر الرجل إلى ليلي بإعجاب وابتسم قائلاً :

— بلى تستحق، تستحق جداً .. تهنئتي القلبية لكما وأمنيأتي  
بالتوفيق.

نظر ممدوح إلى ليلي التي راحت تحدد في الطريق شاردة  
وقال :

— ليلي، تشردين كثيراً هذه الأيام.

التفتت إليه، شعرت بحزن رهيب وهي ترى هذا الكم من  
السعادة يغمره، ترى .. أهو سعيد للانتهاء من أعماله أم للانتهاء منها  
؟ هل يكرهها إلى الحد الذي يجعله يتوق للخلاص منها ؟ عجباً ..  
فهى لم تصل حتى إلى مرتبة نجوى التي ظل برفقتها طيلة خمس  
سنوات متصلة ولم يملها بعد .. ! بالله لماذا يعشق المرأة الرخيصة ؟  
يعشق ..... ومن قال إنه يعشقها ؟ هذا الوغد المتحجر لا  
يعشق سوى نزواته العابرة.

عاد يهتف في ضجر :

— ليلي، بالله كفى عن شرودك وابقى معى قليلاً.

حدقت في وجهه ساهمة فتابع مبتسماً :

— ألم يعد باستطاعتك تحملى الساعات القليلة المقبلة ؟

اتسعت عيناها قائلة :

— هل سنعود غداً إلى القرية ؟

أجابها في لا مبالة :

— سأفعل ما تريدينه أنت.

صرخت فيه بغضب قائلة :

كف عن ترديد هذه العبارة، لقد مللتها، ماذا تريد أنت ؟

قال دون أن يلتفت إليها :

— أريدك معي للأبد.

ضحكت في عصبية قائلة :

— هكذا، أما زلت كما أنا أقربهن إلى قلبك ؟

التفت إليها صامتاً فتابعت :

— تريدني أن أكون أسدك وتفاحتك ؟

حدق في عينيها قائلاً في حزم :

— ليلي إن أردت البقاء معي .. فليكن ذلك بلا عقل وبلا شروط.

إزدادت عصبيتها وصرخت مستنكرة :

— ليس علىّ سوى أن أشكر الله لكون علاقتي بك شرعية.

غمغم في قسوة دون أن يلتفت إليها :

— نعم.

عادت تصرخ :

— أنت واهم إذاً، أنا أفضل الموت على حياة كهذه.

ساد الصمت، لم يعلق بشئ، لم يعترض، لماذا تنازل عن دميته؟ هل هو على يقين من أنها كسرت وإن ظهر للجميع غير هذا؟ كادت أن تجن لكنها لم تبك، ربما جفت الدموع أو ربما ما تعانيه أكبر من أن يداويه الدمع، توقف بالسيارة أمام قاعة حفلات كبيرة، همت بالنزول لكنه استوقفها، وضع يده فى سترته ليخرج علبة صغيرة قدمها إليها، نظرت إليه ساهمة دون أن تمد يدها لأخذها منه فغمغم :

— هل ستظلين هكذا طويلاً.

— ما هذا؟

فتح العلبة ليطل منها خاتم أنيق من الألماس فنظرت فى عينيه قائلة :

— هدية وداع؟

ابتسم بمرارة قائلاً :

— اعتبريه كما شئت.

وجدت نفسها بلا وعى تقدم له أصبعها، فوضعه فيه مبتسماً، وقبل جبهتها تلك القبلة التى أتقنها أخيراً، انحدرت دموعها كاللهب فجففها هامساً :

— هكذا تفسدين زينتك.

غمغمت وهى تزيح يديه عنها :

— أنت متوحش كرية.

وما إن عبرا باب الردهة الواسعة حتى تطلع الحضور إليهما فى انبهار شديد شعرت ليلى معه بالخجل ، تقدم بها ممدوح إلى مسيو فريدريك وزوجته الفرنسية وعلى شفقيه ابتسامة واسعة ، رحبا بهما فى حفاوة بالغة ، ونظر الفرنسى إلى ممدوح قائلاً فى مرح :

— يبدو أنك عبقرى فى كل شئ يا ممدوح ، أنا مندهش ، كيف أنجزت هذه التصميمات الرائعة وبجوارك حسناء مثلها ؟!

نظر ممدوح بحب بالغ إلى ليلى التى ابتسمت وهى تشكر الرجل فى عذوبة ، قبل أن يجذبها الأخير وهو ينظر ل ممدوح قائلاً :

— هل يمكننى مشاركة عروسك هذه الرقصة ؟

تنافس بعده الرجال للرقص معها بلا توقف ، فاقترب منها وهو يراقص إحداهن هامساً :

— مهلاً يا ليلى ، تماديت كثيراً .. إذا راقصت أحداً بعده ، لن أطلقك أبداً.

استمرت ليلى فى الرقص غير مبالية بتهديده ، بل بدت سعيدة أيضاً واتسعت ابتسامتها ، حانت تلك الرقصة التى لا تريد أن يشاركها فيها سواه ، وما إن نظرت إليه حتى وجدته مقبلاً نحوها وفى عينيه ابتسامة أجمل من تلك التى على شفقيه ، حررها بلطف من مراقصها الذى غمز له مهنئاً.

ضمها إليه هامساً :

— يبدو أنك لا تريدین الطلاق ؟

دفنت رأسها فى صدره مستسلمة، نعم إنها لا تريد الطلاق،  
لقد أدمنته، تعلم يقيناً، مهما حاولت الإنكار بأنها لن تستطيع  
العيش بدونه بعد الآن . قبل شعرها فى شغف هامساً :

— هذه المرة لن أكتفى بالقبلات ومعسول الكلمات، بل سأطالبك  
بحقوقى كاملة وبلا تمرد.

ظلت صامتة، فرفع رأسها إليه ورأى الدمع الذى تحجر فى  
عينيهما فغمغم معاتباً :

— لماذا هذه الدموع الآن، هل أنت نادمة ؟

ابتسمت فى انفعال قائلة :

— لا عليك، دعنى أودع بها ما تبقى لى من كبرياء.

— ومن قال إنى أريدك بلا كبرياء ؟

همست فى عتاب :

— ممدوح !

حدق فيها مستنكراً وقال :

— تجبريننى أحياناً أن أتساءل، كيف فعلت بلهاء مثلك بى كل  
هذا ؟

تفحصته صامتة فتابع معاتباً :

— ليلى، ألم تفهمى بعد ؟

- برقت عيناها وهو ينظر في عينيها قائلاً :
- هذا الحفل كان مقرراً أن يقام بعد انتهاء المبانى وليس التصميمات .
- ماذا تريدنى أن أفهم من هذا ؟
- تأملها فى عصبية قائلاً :
- الفستان الأبيض ، ومصفف الشعر ، والخاتم الذى وضعته فى أصبعك ، ولم تفهمى شيئاً بعد ؟
- هزت رأسها فى عصبية فتابع :
- هل صدقت أننى فعلت كل هذا للحصول على بعض الصور التذكارية ؟ وهل أنا فى حاجة إلى ما يذكرنى بك وأنت تسكنين كل ذرة فى دمي ؟!
- ارتجفت شفتاها وهى تغمغم فى عدم تصديق :
- ممدوح ، ماذا تقول ؟!
- ابتسم فى مزيج من الحب والحنان والعتاب :
- ماذا أقول ؟!
- هزت رأسها وهى تهتف فى شك :
- ممدوح لا تحملنى إلى السماء لتلقى بى أرضاً من جديد .
- هتف ساخطاً :
- يا إلهى ، إن كان لا عقل لك .. أفليس هناك قلب يخبرك !

همست فى لهفة :

— قلها إذاً.

تأملها صامتاً، فتابعته فى مزيد من اللففة :

— قل أحبك.

— وهل ستصدقين ما لم تشعرى به ؟

— أحتاج إلى يقين.

همس فى لهجة حانية وهو يتأمل عينيها المتوهجتين :

— هل الحب يعنى أن أبحث عنك فى كل النساء وأراك فى كل

الوجوه ؟ هل يعنى أن أحتضر بدلاً منك فى كل مرة تقتربين

من الموت فيها ؟ هل يعنى أن أتنازل عن كبرياء .. ما خلتنى

أتنازل عنها أبداً بعد معرفتى بأمر رسالتك اللعينة التى جعلتنى

فيها فأراً للتجارب ؟! إن كان يعنى كل هذا فأنا أحبك يا ليلى.

ظلت تحددق فى وجهه طويلاً، قبل أن تحتضن وجهها بكتنا

كفيها وتهز رأسها غير مصدقة، أزعجتها فجأة كل تلك العيون

المحدقة بها، فعادت تدفن رأسها فى صدره فى خجل شديد

وسعادة لا توصف، لم تشعر بالموسيقى التى توقفت مراراً تعلن عن

انتهاء الرقصة، ولا ب ممدوح الذى كان يشير إليهم مبتسماً للبدء

من جديد ..!

سقطت من سائنها عندما توقفت الموسيقى للمرة الرابعة فدوى

بالقاعة مزيج من التصفيق والضحك، كادت تموت خجلاً حتى

شعر ممدوح بالشفقة عليها فهمس :

— أتودين الذهاب الآن ؟

هزت رأسها دون أن تستطيع النطق .. ودعا الحضور الذين راحوا يتأملونهما فى شغف وإعجاب متمنين لهما السعادة، وفى ذروة سعادتهما لم يلحظا الشر الذى تجسد فى هاتين العينين والحسد الذى امتلأ به وجه هذا الرجل، عينان تنذران بشر قادم.

\*\*\*

هم ممدوح بوضع أحد شرائط الكاسيت فى مسجل السيارة عندما اعترضت ليلى قائلة :

— كلا، غن أنت.

ابتسم قائلاً :

— لم يكن هذا رأيك من قبل

تصنعت البلاهة قائلة :

— أحقاً، متى كان هذا ؟

نظر إليها واتسعت ابتسامته .. فتابعته هائمة وهى تلقى برأسها فوق كتفه :

— لقد ولدت منذ ساعات قليلة، فلا تحدثنى بأشياء حدثت قبلها.

وصلا إلى الشاليه وأصر ممدوح على أن يحملها حتى غرفة نومهما، وضعها على الأرض برفق قبل أن يضى المصابيح لتجد عدداً من أثواب النوم الرائعة، فهتفت فى سعادة :

— متى جنئت بكل هذا ؟

ابتسم قائلاً :

— عند عودتي لإحضار ثوب الزفاف.

برقت عيناها قائلة :

— لم تكن تنوى تطليقي إذاً !

ضحك قائلاً :

— كنت على يقين بأنك ستترجعين عن طلب الطلاق.

هتفت ساخطة :

— وماذا كنت ستفعل إذا لم أترجع أيها المتعجرف ؟

تراقصت ابتسامة مأكرة على شفثيه هامساً :

— كنت سأعتبرها ليلة وداع.

اتسعت عيناها وهي تحددق في وجهه مستنكرة، لكن غضبها  
سرعان ما تلاشى عندما ضمها إليه وراح يقبلها في شوق وشغف،  
تحررت منه في نعومة هامسة :

— أى من هذه الأثواب تريدنى أن أرتديه الليلة ؟

ابتسم وهو يتأملها قائلاً :

— سترتدينها جميعاً، لكننى أريدك الآن أن ترتدى المايوه الأزرق.

حدقت فيه بدهشة واستنكار قائلة :

— ماذا ؟

ثم أردفت وهي تلکمه فى مرآة قائلة :

— أیها المتوحش، لقد آجاهلتنى یومها حتى كدت ألقى حتفى  
آزناً ویأساً.

آصنع البلاءة قائلاً :

— متى كان هذا ؟

آدقت فىه بآبتسامة مستنكرة فأردف ضاحكاً:

— لقد ولدت منذ ساعات قليلة، فلا آآديثنى بأشياء آآثت  
قبلها.

## خيانة

جلسا فوق الرمال الذهبية، ظل يتأملها طويلاً قبل أن يهز رأسه ويضحك فى عصبية قائلاً :

— لم يكن فى الحسبان أبداً .. أن أحسد كمال يوماً.

ابتسمت وهى تتأمله فى دهشة قائلة :

— كمال !

احتضن وجهها الجميل بين كفيه .. نظر فى عينيها هامساً :

— أشعر بحيرة لم أشعر بمثلها من قبل .. أبحث عن كلمات لم تولد بعد أعبر بها عنك .. لكننى لا أجد.

أرخت أهدابها وهى تستمع إليه فى شغف .. إن كانت تحلم .. فليتها لا تستيقظ أبداً .. !

عاد يسحرها بصوته الهامس .. وكأنه هو أيضاً لا يريد أن تستيقظ.

— لا أريد أن أكرر ما سبقنى إليه آخرون فى وصفك يا ليلى، ماذا أقول لك .... !؟

فتحت عينيها وتنهدت فى نشوة قائلة :

— حبيبي، لم الحيرة والتفكير..؟! فهي المرة الأولى التي أستمع فيها بقلبي وليس بأذني.. فقل ما تشاء.. كل ما تقوله وليد.

قبلها في سعادة فهمست :

— تكفيني هذه القبلة، يكفيني أن تقول أحبك، بل يكفيني أن تنطق اسمي أو تنظر إلي هكذا لأزوب فيك عشقاً للأبد.

اتسعت ابتسامته وهو يغمغم :

— ما كل هذا، هل غدت حبيبتي شاعرة في يوم وليلة ؟

ضحكت قائلة :

— ولم لا، وقد سقط عميد جامعة الحب في عشقي.

بادلها ضحكاتهما فتابعت محذرة :

— أتنكر هذا ؟

هز رأسه وعيناه تتوهجان بالبريق الذي تعشقه حتى كادت تحترق به، أسرعت تحتمى بالبحر عله يطفئ لهيب الحب الملتهب داخلها، أمسك بها وذابا في قبلة طويلة لم يشعرا خلالها بتلك السيارة التي توقفت أمام الشاليه، ولا بقائدها الذي اقترب منهما وصاح غاضباً :

— هذا ما توقعته تماماً.

التصقت ليلي ب ممدوح في زعر وخجل، بينما هتف هو ساخطاً :

— شوقي ! ما الذي أتى بك إلى هنا ؟

تابع شوقى بنفس اللهجة الغاضبة :

— كنت على يقين من أن هناك امرأة تعوق اتصالى بك، متى ستتعقل وتلتفت إلى عملك، أمامك مستقبل رائع ولا يحتاج منك سوى القليل من الاهتمام، ولكن من أين لك بالوقت وأنت هائم بين الجميلات، لو.....

قاطع ممدوح وهو يلتفت إلى ليلى مبتسماً :

— أعدك بأن أعمل بنصيحتك هذه المرة، لقد وجدت أخيراً من تحتوينى كاملاً، أقدم لك ليلى .. زوجتى.

يبدو أن شوقى لم يسمع الكلمة الأخيرة أو ربما لم يصدقها أو يستوعبها، لذا فقد تابع فى نفس الثورة واللامبالاة :

— النساء هن سبب تأخرنا دائماً، امرأة واحدة تفقد الرجل صوابه، فما بالك بكل هؤلاء النساء فى حياتك ؟

زفر ممدوح بصبر نافذ قائلاً :

— هل جنئت إلى هنا لتخبرنى بهذا ؟

أجابه دون أن يرفع عينيه عن ليلى التى ازدادت التصاقاً بـ ممدوح :

— لا بد أن تسافر فرنسا اليوم.

غمغم مستنكراً :

— ماذا ؟

نظر شوقى إلى ساعته قائلاً :

— أمامك خمس ساعات من الآن حتى تقلع الطائرة.

تعلقت عينا ليلى ب ممدوح الذى صرخ به قائلاً :

— ما هذا الهراء، لن أسافر.

هتف شوقى ساخطاً :

— أنا أحاول الاتصال بك منذ ثلاثة أيام دون جدوى، لا بد أن

تسافر، فهى فرصة لن تعوض، بعد عودتك من فرنسا ستكون

من أعظم المهندسين فى .....

قاطع ممدوح فى حزم قائلاً :

— كفى، وفر حديثك، أنا لن أسافر.

التفتت إليه ليلى وهى تتصنع ابتسامة قائلة :

— بل ستسافر يا حبيبي، من أجلى.

نظر إليها فى دهشة وهم أن يعترض .. لكنها قالت بسرعة :

— أنا أيضاً أرى أنها فرصة عظيمة لا يجب أن تفوتك.

همس مستنكراً :

— ليلى .. !

وبعد إلحاح منها اتفقا على أن يعود قريباً لأخذها معه فى

حالة بقاءه طويلاً هناك، اتصل بـ أشرف .. فهو الوحيد الذى

كان على علم بما آلت إليه الأمور بينهما، فى المطار كان وداعهما

حاراً حتى ترقرق الدمع فى عيني أشرف الذى أوصاه عليها

ممدوح طويلاً، طلب منه أن يغير لها مفاتيح شقته بالإسكندرية بعد أن أصرت على البقاء فيها ورفضت العودة إلى القرية دون أن يكون معها، طلب منها أشرف البقاء مع أسرته فى المنزل لكنها رفضت أيضاً بسبب العلاقة الحميمة بين أخته سميرة ونجوى.

رافقها أشرف إلى الشقة وفعل ما أوصاه ممدوح به، سلمها المفاتيح الجديدة للشقة وطلب من البواب وأبنائه رعايتها والاهتمام بها لحين عودة ممدوح من الخارج.

\*\*\*

جلست ليلى تنظر إلى التلفاز شاردة، لم يمض بعد أسبوع واحد على سفر ممدوح .. لكنها تشعر وكأن دهرًا كاملاً قد مضى، لكم تشتاق إليه !..

أيقظها من شرودها جرس الباب ورنينه المتواصل، اتجهت لتفتحه ظناً منها أنه البواب أو أحد أبنائه، لكنها فوجئت بـ نجوى التى رسمت على شفيتها ابتسامة مصطنعة قائلة :

— هل أستطيع الدخول ؟

غمغمت ليلى بصوت مختنق دون أن ترفع عينيها عن وجهها :

— ممدوح ليس هنا.

اتسعت ابتسامة نجوى قائلة :

— ومن قال إننى أريد ممدوح ..؟ لقد جئت من أجلك أنت.

تطلعت ليلى إليها بدهشة ثم ما لبثت أن أفسحت لها الطريق  
للدخول، أخرجت نجوى علبة سجائرهما وأشعلت إحداها، بينما  
رفضت ليلى التدخين، وهى تنظر إليها فى ترقب.

قالت نجوى بعد فترة من الصمت :

— لقد علمت أن العلاقة بينك وبين ممدوح قد تطورت كثيراً،  
وأنة أعلن خبر زواجه بك على الملأ .

غمغمت ليلى فى قلق :

— حمداً لله.

أردفت نجوى فى حزن لم تكن فى حاجة إلى تصنعه :

— أيقنت الآن أنه لا مكان لى بينكما، فقررت قبول عرض الزواج  
المقدم لى ونسيان الماضى تماماً، وها أنا ذى جئت أهنئك  
لأثبت لك حسن نيتى.

تنهدت ليلى فى ارتياح قائلة :

— تهنئتى القلبية يا نجوى، أنا سعيدة جداً لأجلك.

— أتمنى أن تقبلى صداقتى وتبدئى معى عهداً جديداً يا ليلى.

استعدت لترحل فنهضت ليلى فى بلاهة تحتضنها .. صدقت  
دموعها الخادعة وهى تدعى التوبة وتطلب الصفح منها، قبلتها  
فى براءة جعلت نجوى تشعر بالرثاء لها، وهى تحدث نفسها  
غير مصدقة، كيف سقط ممدوح هكذا .. فى عشق بلهاء مثلها..؟!  
مستحيل أن يكون قد عشقها بالفعل، لكن هذا لم يمنعها من

الانتقام، لا بد أن تدفع هذه البلهاء ثمناً لكل ما سببته لها من عذاب .. وكذلك ممدوح أيضاً، هذا الوقح، الوغد الذى تلاعب بقلبها وحبها كل هذه السنوات، سيعرف من هى نجوى، نجوى التى تركها وكأنه لم يعرفها يوماً، وكأنها لم تهبه أجمل سنوات العمر انتظاراً لحبه بلا جدوى.

جففت دموعها التى سقطت رغماً عنها فى ذروة انفعالها، أسرعت ليلى تهدئ من روعها وقد شعرت كعادتها بالشفقة عليها، اتجهت إلى المطبخ لتحضر لها كوباً من الليمون عله يخفف من حدة توترها.

ولم تشعر حينئذ بباب الشقة حين فتحتة نجوى، ولا بذلك الغريب الذى تسلل كالثعبان إلى غرفة نومها فى غفلة منها.

ارتشفت نجوى القليل من كوب الليمون الذى قدمته لها ليلى قبل أن تنهض قائلة :

— أتركك الآن حتى تستعدى لعودة ممدوح.

نظرت إليها ليلى فى دهشة ما لبثت بعدها أن ابتسمت قائلة :

— ممدوح فى فرنسا.

بادلتها نجوى ابتسامتها قائلة :

— أعلم هذا، لكن يبدو أنك لم تعلمى بعد أنه فى طريقه إلى هنا الآن.

نظرت فى ساعتها وأردفت :

— وصلت طائرته منذ خمس دقائق.

غمغمت ليلى فى مزيج من السعادة والعتاب :

— أحقاً..؟! من أخبرك بهذا ؟

ضحكت نجوى فى ميوعة قائلة :

— هذا لا يهم، المهم الآن هو أن تستعدى لاستقباله.

أشاحت بوجهها فلم تر ليلى بريق الشر الذى توهج فى عينيها وهى تكمل :

— يجب أن تفاجئيه قبل أن يفاجئك، وأنا على يقين بأن مفاجأتك له .. ستكون أكبر كثيراً من مفاجأته لك.

أسرعت ليلى إلى خزانة ملابسها وأخرجت منها ثوباً للنوم من تلك التى اشتراها لها ممدوح مؤخراً، فهو يحب هذا الثوب كثيراً، وجدت نفسها تنظر حولها فى توتر لم تدر له سبباً .. لازمها وهى تجلس أمام مرآتها لتتزين ببعض المساحيق، هزت رأسها وهى تغمغم فى عصبية :

— يا لحماقتى ماذا حدث لى !

ومن تحت السرير كانت عيناه الناريتان تراقبانها فى رغبة عارمة .. حتى إنه فكر فى التخلى عن خطته الجهنمية التى دبرها مع نجوى للإطاحة بزواجها من ممدوح والانتقام منهما سوياً . العينان ذاتها .. اللتان تبعتهما من الساحل الشمالى إلى هنا.

دق جرس الباب فأسرعت ليلى فى مرح الأطفال لتفتحه .. وما  
إن تأكدت من كونه ممدوح حتى ارتمت بين ذراعيه فى سعادة  
بالغة .. قبلها مبتسماً وهو يغمغم :

— أخبرك أشرف إذاً، هذا الوغد لقد طلبت منه ألا يخبرك،  
عندما أراه سوف .....

همست :

— لا تظلمه، فهو لم يخبرنى بل نجوى.

تأملها فى قلق قائلاً :

— نجوى ..! هل أتت نجوى إلى هنا ؟

وقبل أن تجيبه ليلى بلغ مسامعهما صوت كالصاعقة قائلاً :

— من بالباب يا حبيبتي ؟

تطلع ممدوح إلى ليلى فى دهشة .. تحولت إلى زهول وهو  
يحدق فى الرجل الذى خرج من حجرة نومه .. لا يستر جسده  
سوى سروال قصير .. لم تكن صدمة ليلى أقل من صدمته .. بل  
ربما كانت أضعافاً، حاولت الالتصاق به فى زعر، لكنه أزاحها  
بعيداً وفى عينيه بدا اتهامه واضحاً، فتحت فاهها لتقول شيئاً  
لكنه أوقفها بإشارة من يده قبل أن يحول بصره إلى الرجل قائلاً  
فى هدوء يسبق انفجار البركان :

— ارتد ملابسك.

ذهب الأخير لارتداء ملابسه، ها قد نجحت خطته، لقد  
استقبل ممدوح الأمر فى هدوء، لابد أنه يخشى الفضيحة كما  
أخبرته نجوى، كبريائه سوف يمنعه من أية ردة فعل عنيفة،  
كان محقاً عندما قرر الاستعانة بها لتنفيذ خطة انتقامه من ممدوح  
.. وماذا ينتظر من سافل مثله سوى التستر على الأمر ..؟

سيقع لوم الناس جميعاً فوق رأسه وحده، سيقولون إنه جزاء  
عادل، لقد فعلت به زوجته ما يفعله بالجميع، لا بديل للخيانة  
سوى الخيانة، المهم الآن هو أن يطلقها، هل سيفعل؟

لابد أن يفعل حتى يستطيع هو الإيقاع بها، سيكون ملجأها  
الوحيد، لن يجعل لها ملجأ آخر سواه، بالتهديد أو بالوعيد،  
لابد أن يحصل على هذه الجميلة .

غادر الحجره وراح يتأمل ممدوح فى شماته، كان الأخير قد  
ألصق وجهه بالجدار وأغمض عينيه فى ألم، يبدو أن ما يشعر  
به من ألم .. أضعاف ما شعر به هو من آلام حين راح ممدوح  
يسلبه نساءه واحده تلو الأخرى، ولم لا .. وهذه المرأة زوجته  
والوحيدة التى يبدو أنها لمست مشاعره بالفعل؟

استدار ممدوح إليه فجأة وتحول السكون إلى عاصفة .. وانفجر  
البركان الهادئ فى جسد الرجل حتى كاد يلفظ أنفاسه الأخيرة  
لولا تدخل ليلى التى راحت تجذبه بعيداً فى استماته وهى  
تصرخ :

— بالله كفى، كفى يا ممدوح سوف تقتله.

بادلها صراخها قائلاً :

— هل تخافين عليه لهذا الحد ؟

هتفت في لوعة :

— بل أخاف عليك أنت.

— كفى خداعاً وكذباً.

أسرع يفتح باب الشقة ويلقى بالرجل ركلاً خارجها، وهو  
يصرخ :

— اطمئنى، لن أقتله .. ليس خوفاً عليه أو عليك .. بل خوفاً  
على نفسى، أما أنت فلا أريد رؤيتك بعد اليوم.

أسرعت تتعلق بذراعه قائلة فى جزع :

— ممدوح، صدقتى لم أفعل شيئاً، أنا ...

أزاحها بعيداً قبل أن يخرج ويغلق الباب خلفه قائلاً :

— أنت طالق.

بقيت وحدها تنتحب حتى أرهاقها النحيب فنامت، عندما  
استيقظت كان الظلام دامساً حتى انتابها خوف طرده سريعاً، وماذا  
سيحدث لها أكثر مما قد حدث ؟ أمسكت بالهاتف مراراً فى حيرة،  
ماذا يمكنها أن تفعل ؟ أين تبحث عنه ؟ من يمكنه أن يساعدها الآن ؟

تذكرت أشرف .. نعم .. لكن هل سيصدقها ؟ هل سيقنع  
بأنها بريئة بالفعل .. أم أنه سيتهمها بالخيانة هو أيضاً ؟

لم يمض وقت طويل حتى وصل أشرف، وسألها بقلق عما حدث  
بينها وبين ممدوح، أغفلت زيارة نجوى إليها، ما إن انتهت من

سرد قصتها حتى زفر أشرف بضيق وهو ينظر إليها قائلاً :

— هناك شئ مبهم فى هذا الأمر لا يمكننى استيعابه، كيف وصل هذا القدر إلى غرفة نومك .. خاصة وأنتك الوحيدة التى تمتلك مفاتيح للشقة ؟

هزت رأسها فى حيرة دون أن تجيب فأردف أشرف :

— حسناً سيتضح هذا الأمر فيما بعد .. ولكن أول ما يجب عليك فعله الآن هو العودة إلى المنصورة.

هتفت فى عناد :

— كلا، سأنتظر ممدوح.

— ممدوح لن يأتى يا ليلى.

— لا تقل هذا، ممدوح سيعود، سيعود من أجلى.

ربت أشرف على كتفها قائلاً :

— ليلى، على الأقل فى الوقت الراهن، يجب أن تصلى إلى المنصورة قبل أن تصل ورقة طلاقك إليها.

انهارت فوق أحد المقاعد القريبة وهى تغمغم فى جنون :

— ممدوح لن يفعل هذا.

— ممدوح صديقى منذ زمن بعيد وأنا أعرفه خيراً منك.

هتفت فى هستيريا

— أخبرنى بأنه يحببنى بالفعل، لم يكن يخدعنى، لم يكن في حاجة لخداعى، كنت سأبقى معه في كل الظروف، كان يعلم أننى وافقت على البقاء معه من دون عقل أو شروط .. ورغم هذا أخبرنى أنه يحببنى، لم يكن يخدعنى، ألم تلاحظ في المطار كم كان متيماً بى..؟!!

بالله يا أشرف .. قل إنه يحببنى صدقاً، قل إنه سوف يعود من أجلي، قل إنه لن يتخلى عنى أبداً ...

انهارت باكية بين ذراعيه، ربت على ظهرها في حيره ويأس، كان يعرف ممدوح جيداً، بقدر حبه لها سوف ينتقم منها.

\*\*\*

وصلت ليلى إلى منزل الحاج سالم بصحبة أشرف الذى نصحتها بذلك، احتضنتها حماتها فى جزع وهى ترى دموعها المنهمرة، والانفعال الذى يكسو وجه أشرف، وهو يحاول تصنع الهدوء دون جدوى.

فهمتت جزعاً :

— ماذا حدث؟ أين ممدوح؟ ما الذى أتى بكما فى مثل هذا الوقت؟ ازدادت ليلى نحيباً بينما تنحنح أشرف وهو لا يدرى من أين يبدأ، انتقل قلق المرأة إلى زوجها فسأل أشرف فى لهفة :

— هل حدث مكروه لولدى ؟

انتهت ليلى بصعوبة من سرد قصتها، وللمرة الثانية أغفلت ذكر نجوى، وقد صدقت أنها ستزوج وتبتعد عن طريقها للأبد،

أقسمت أنها لا تعرف شيئاً عن هذا الرجل، ولم تره من قبل  
أبداً، لا تعرف كيف تسلل إلى حجرة نومها، وأن صدمتها لرؤيته  
لم تقل عن صدمة ممدوح لرؤيته

ساد الصمت طويلاً حتى قطعه الرجل الكبير قائلاً :

— انهبى إلى حجرتك واستريحى يا ليلى، غداً نرى ما سوف  
نفعله.

حاول الحاج سالم الاتصال بولده من دون جدوى، علم من  
مكتبه أنه عاد إلى فرنسا مرة أخرى ومن غير المنتظر أن يعود  
قريباً، أيام قليلة انقطع بعدها الأمل خاصة بعد أن وصلت  
ورقة الطلاق إلى القرية واضطرت ليلى إلى مغادرة منزل الحاج  
سالم والعودة إلى منزل أخيها، انتشر الخبر كما تنتشر النار فى  
الهشيم، وعاد فؤاد من السفر عند سماعه به، آلتها تلك القسوة  
التي تحدث بها، برغم كل ما قصته عليه من أحداث هتف فى  
لا مبالاة :

— حمداً لله أن الأمر توقف عند هذا الحد .. حمداً لله على  
سلامتك.

\*\*\*

## ثمن الشر

أخيراً وبعد محاولات مستميتة من قبل الحاج سالم عاد ممدوح من فرنسا واتجه مباشرة إلى القرية، ما إن رآته والدته حتى لطمت صدرها في صدمة وجزع، وجهه شاحب .. وزنه فقد منه الكثير .. وعيناه امتلأتا ببريق الجنون والغضب .. بدا مرهقاً وكأنه لم يذق للنوم طعاماً منذ أمد بعيد.

ضمته والدته إليها في لهفة ولوعة شعر معهما برغبة في البكاء، زادت رغبته إلحاحاً بين ذراعى والده الذى هتف ساخطاً عندما رأى دموع زوجته المنهمرة :

— كفى يا امرأة، من الحزن يولد الرجال يا ولدى.

غمغم ممدوح فى ألم :

— حزنى أنا سيقتلنى يا أبى.

جلس على الأريكة وأخرج علبة سجائره، أشعل إحداها غير مبالٍ بوجود والده الذى هتف مستنكراً :

— أهذا ما تعلمته فى فرنسا ؟

نفث دخان سيجارته فى ألم قائلاً :

- آسف يا أبى ، لكن أرجوك لست فى حال تسمح بمعاتبتي .  
تنهد والده فى ضيق قائلاً :
- حسناً ، اذهب الآن لتستريح ، وغداً سنذهب لتعيد ليلى .  
حدق فيه ممدوح قائلاً :
- ألم تصلها ورقة الطلاق ؟
- بلى وصلت ، لكنك يجب أن تعيدها إليك من جديد .  
ابتسم فى سخرية مريرة وهو يغمغم :
- أنت لا تدري ماذا حدث !
- بل أخبرتنا ليلى بكل شئ .
- وماذا قالت عن هذا القدر الذى رأيته عارياً فى غرفة نومى ؟
- أقسمت أنها لا تعرف عنه شيئاً .
- ضرب كفاً بأخرى وقال متهكماً :
- أقسمت .. ! وهل صدقتها ؟
- نظر والده فى عينيه قائلاً :
- نعم .
- ضحك ممدوح فى هستيريا قائلاً :
- لا ألوئك ، وكيف أفعل إذا كنت أنا نفسى قد صدقتها ؟
- أطلق آهة طويلة يملؤها الألم وهو يضغط على أسنانه قائلاً :

— لست أدري، كيف صدقت مخلوقة تتنفس كذباً مثلها؟!  
ربت والده على كتفه قائلاً :

— الأمر الآن لم يعد متعلقاً ب ليلي وحدها، بل بطفلك أيضاً.  
هتف مصدوماً :

— ماذا؟

— ليلي حامل يا ممدوح، ليلي تحمل حفيدي الذي .....  
قاطع ممدوح في ريبة قائلاً :

— كيف حدث هذا الحمل؟

— كيف حدث هذا الحمل ..! ألسنت رجلاً؟

تجاهل سخريته والده قائلاً :

— متى حدث هذا الحمل؟

— علمت أنها في شهرها الثالث.

ثم أردف وهو يحدق في وجهه :

— ألم تتحسن الأمور بينكما في الساحل الشمالي؟

صمت شارداً في تلك الأيام القليلة التي أمضيها معاً في  
الساحل الشمالي، هل هذا الطفل له حقاً؟ أم أنه لذلك الوغد  
الذي رآه معها في غرفة نومه؟ أو ربما لغيرهما من يدري؟  
كلهن عاهرات، ما كان يجب أن يسلم نفسه لامرأة أبداً .. مهما  
تظاهرت بالبراءة والعفة.

راح يضحك فى هستيريا جعلت والدته تنتحب، وهى تضمه  
إلى صدرها، وتهتف من بين دموعها :

— ماذا حدث لك يا ولدى ؟

ربت ممدوح على ظهرها، وقبل رأسها، قبل أن يصعد إلى  
غرفته متخبطاً فوق الدرج .. ما إن ابتعد حتى لطمت المرأة  
صدرها قائلة :

— ولدى سيجن يا حاج، ولدى سيجن.

نظر إليها الرجل فى ألم، وقبل أن يعلق فوجئ بـ ممدوح  
يهبط الدرج من جديد قائلاً :

— دعنا نذهب ونحضرها الآن.

نظر إليه والده فى دهشة قائلاً :

— الوقت تأخر، دعنا ننتظر للصباح.

صاح فى حزم :

— كلا، إذا لم نذهب الليلة فلن أذهب أبداً، بل سأعود إلى فرنسا  
فى الصباح.

غمغم والده وهو يحدق فى وجهه :

— يبدو أنك جننت بالفعل !..

\*\*\*

كانت عقارب الساعة قد تخطت العاشرة مساءً عندما وصل ممدوح ووالده إلى منزل فؤاد الذى شعر بدهشة بالغة عند رؤيته لهم فى مثل هذا الوقت ، اجتمع الرجال سريعاً واتفقوا معاً على عدم عودتها إليه مرة أخرى ، خاصة فؤاد الذى اشتعل غضباً وهو يرى هذا المتعجرف الذى جلس صامتاً واضعاً ساقاً فوق الأخرى وكأن الأمر لا يعنيه ، شعر برغبة عارمة فى تحطيم وجهه الذى امتلأ سخرية وتهكماً ، وهو ينظر إلى والده الذى حاول جاهداً أن يزيل سوء التفاهم بينهما ليعيد المياه إلى مجاريها مرة أخرى .

هتف فؤاد بصبر نافذ :

— آسف يا حاج سالم ، لكن هذه الزيجة كانت خطأ كبيراً منذ البداية ، ولا يجب تكراره مرة أخرى .

وصرح عمها الكبير بأن ليلى قد تمت خطبتها لولده صالح ، وسوف تزف إليه ما إن تنته شهور العدة .

ابتسم الحاج سالم فى هدوء قائلاً :

— هل نسيتم أن ليلى تحمل حفيدى الآن ؟

أجابه عمها قائلاً :

— بيننا وبينكم الشرع والقانون .

هتف الحاج سالم مستنكراً :

— الشرع والقانون ! الأمر لا يتعدى كونه مجرد سوء تفاهم يحدث بين أى زوجين ، وها نحن قد أتينا لنقدم اعتذاراً.....

قاطعہ ممدوح فی لهجۃ باردة كالثلج قائلاً :

— مهلاً يا أبى ، لا يوجد ما يدعو إلى التوسل والاعتذار.

استقرت أنظارهم فوق وجهه فى غضب واستنكار، لكنه أردف  
فى لهجة أكثر برودة :

— نحن لم نأت إلى هنا نطلب بكرةً للزواج، بل أتينا لاستعادة  
زوجة سمعتها ملطخة بالخيانة، كان يجب عليكم أن تنتهزوا  
الفرصة لا أن تتمادوا دلالاً.

أمسك فؤاد بسترته فى عنف قائلاً :

— أختى ليست خائنة، ماضيك القدر هو ما يهئ لك ذلك.

أزاحه ممدوح فى عنف أشد قائلاً :

— أختك خائنة، صدقت هذا أو لم تصدق.

ضغط فؤاد على أسنانه قائلاً :

— مادمت مقتنعاً بخيانتها لهذا الحد، لماذا تريد عودتها إليك ؟

أجابه ممدوح فى لهجة أفزعته قائلاً :

— بيننا حساب لم ينته بعد.

نظر إليه فؤاد فى قلق بالغ قائلاً :

— أختى لن تعود إليك.

ابتسم ممدوح ساخراً وهو ينهض من جلسته قائلاً :

— سننتظر فى السياره لدقائق معدوده، عليك أن تأتى بها إلينا حتى لا يفعل هذا رجال الشرطة غداً، ولا أظن أنكم فى حاجه إلى المزيد من الفضائح.

نظر إليه فؤاد شارداً، بينما تابع وهو يتجه لباب الخروج :

— هيا يا أبى

حدق فؤاد فى ليلى التى ارتدت ملابسها وأعدت حقيبتها سريعاً قائلة :

— أنا مستعدة، هيا بنا.

— كلا، لن تذهبى إليه يا ليلى.

— اطمئن يا فؤاد، لن يحدث شئ.

— تقولين هذا لأنك لم ترى النار المستعرة التى تطل من عينيه ومن حديثه.

— سيعرف ممدوح عاجلاً أم آجلاً أنه كان مخطئاً فى حقى.

— أخشى أن يحدث لك مكروه حتى يحدث هذا.

— لا يوجد مبرر لكل هذا القلق، اطمئن يا أختى، ممدوح يحببنى.

— هذا المتوحش لا يعرف الحب.

تنهدت فى لا مبالاة قائلة :

— هيا بنا قبل أن ينصرفا، لا أريد أن أذهب إليه بصحبة رجال الشرطة، سيؤثر هذا على عملى كثيراً.

ما إن أقبل فؤاد وليلى إلى السيارة حتى ترجل منها الحاج  
سالم للترحيب بها، بينما اكتفى ممدوح الذى جلس متأهباً خلف  
عجلة القيادة بنظرة سريعة ألقاها إليها، نظرة سريعة لكنها كانت  
كافية لبث المزيد من الرعب فى قلب فؤاد الذى أسرع إلى الرجل  
الكبير قائلاً :

— أختى أمانة فى عنقك يا حاج سالم.

ابتسم الرجل وهم أن يقول شيئاً، لكن ممدوح انطلق بالسيارة  
مسرعاً رغم اعتراض والده وصياحه.

\*\*\*

جلسوا حول مائدة العشاء الذى أصرت والدته على تقديمه  
لهم، لم ترفع ليلى عينيها عن طبقها خشية أن تواجهها عيني  
ممدوح وما تقذفانه من نار موجهة إليها، نظر الرجل إلى ولده  
الذى لم يتناول شيئاً من طبقه، بل اكتفى بالتحديق فى ليلى  
بنظرات نارية أصابتها بارتباك شديد وذعر عجزت عن إخفائه،  
فهتف الرجل محاولاً التخفيف عنها :

— يجب أن تأكلى جيداً يا ليلى، فأنا بحاجة إلى حفيد قوى.

ابتسمت ليلى فى تردد فى حين قال ممدوح للمرة الأولى منذ رآته :

— مسكين أبى .. أليس كذلك ؟

أغمضت عينيها فى ألم ولم تعلق، بينما عاد يردف فى لهجة  
هيسديرية :

— شوقه إلى الحفيد يجعله يغض بصره عن أشياء كثيرة.

نظر إليه والده مستنكراً، لكنه أكمل في قسوة ومرارة :

— تغاضى حتى عن الخيانة.

نظر إليه والده ساخطاً، وما لبث أن قال بسرعة محاولاً  
التخفيف من الألم الذى كسا ملامحها.

— يبدو أن ممدوح يشعر بالتعب بعد رحلته الطويلة، لقد وصل للتو  
من فرنسا، ولكنه أصر على استرجاعك قبل أن يغمض له جفن.

نظر إليه ممدوح فى غضب قبل أن يقذف بالأطباق أرضاً  
ويغادر المائدة.

كان مستلقياً فوق فراشه مغمض العينين وأنفاسه نار مستعرة  
حين دلفت ليلى إلى حجرته ومست ذراعه فى رفق لكنه انتفض  
مذعوراً كمن مسته حية وصرخ بها قائلاً :

— اخرجى من هذه الحجرة، واحذرى أن تقربيهما مرة أخرى.

همست فى ألم :

— ممدوح، لماذا تعذب نفسك وتعذبنى كل هذا العذاب ؟

ضغط على أسنانه قائلاً :

— كلانا يستحق العذاب، أنت تستحقينه لأنك ساقطة، وأنا  
أستحقه لأننى صدقتك.

عز عليها أن تدافع عن نفسها أمامه، فانهمرت دموعها وهى  
تغمغم فى لوعة :

— أنت تعلم جيداً أننى لست ساقطة.

— من قال هذا ؟ أنا لا أعلم عنك شيئاً أكثر مما تخبريننى أنت به ، ويوماً بعد آخر ينجلى خداعك وكذبك .

ازدادت نحيباً وهى تغمغم :

— أنا لم أعرف رجلاً قبلك .. ولن أعرف بعدك .

— إن بكيت دماً هذه المرة .. هل تتوقعين أن أصدقك ؟

نهض وراح يدور حولها كأسد جريح قائلاً وكأنه يحدث نفسه :

— أنا من عرفت نساءً بعدد شعر رأسى ، أقلهن دهاءً يمكنها سحقك سحقاً ، أسقط كدلو فى قبضة بلهاء مثلك .. ! أنا من لقبونى بساحر النساء وزعيم الرجال ، أنسكب تحت قدميك فتعبرين فوقى !

برقت عيناها فى يأس قائلة :

— حسناً ، هب أننى أخطأت كما تقول ، لماذا لا تغفر لى وقد غفرت لك مراراً ؟

صرخ فيها قائلاً :

— لأنك طعنتنى فى ظهرى ، نعم ، كنت شيطاناً لكنى لم أرتد يوماً قناع الملائكة كما فعلت أنت ، كنت ذئباً ولكننى لم أذع أبداً بأننى حمل وديع .

أردف والنار فى عينيه لا يمنعها من القفز إليها سوى حاجز من الدمع المتحجر بهما :

حين أعلنت توبتى كنت صادقاً، كنت قد حررت نفسى من شهواتى وسلوكى الهمجى حتى استحق التقرب من ملاك مثلك !!!، أمضيت معك شهراً كاملاً فى الساحل الشمالى، لم أحاول خلاله أن أقبلك رغم الشوق الذى كان يحرقنى إليك ، امتنعت عن معاشرتك وأنت تشاركينى الفراش ذاته فى وقت كنت فيه وحشاً لا قلب له !..

هل تعرفين لماذا ؟

هل تظنين أن جناحى حمامة مثلك هما ما منعا شيطان مثلى من الاقتراب منك ؟!

هل تظنين أننى كنت أخشى من بصاقتك فوق وجهى ؟!

عجزت عيناه عن قمع كل هذا الدمع المتحجر فيهما فصفعها بقوة صارخاً :

— لقد قدستك أيتها العاهرة، ويبدو أنه قد حان يوم قتلك.

لم تؤلها صفعته القوية بقدر ما تألت لرؤية دموعه التى كانت تتوقع أن تسقط الجبال ولا تسقط أبداً.

اقتربت منه وهى لا تدري ماذا تفعل له ! حاولت أن تجفف دمعته، لكنه أزاحها بعنف صارخاً :

— ويلىك لو اقتربت منى مرة أخرى.

همست فى توسل :

— ممدوح .. أقسمت إننى بريئة فلم تصدقنى .. اعترفت بذنب  
لم أفعله فلم ترحمنى، ماذا تريدنى أن أفعل ؟

أجابها فى جنون

— لقد حرقت سترتى عندما شممت بها رائحة الخيانة .. فماذا  
أفعل أنا والخيانة متجسدة فى أحشائك ؟

صرخت نائرة :

— لماذا أعدتني إليك ما دمت تحملنى هذا الذنب الكبير الذى  
لا تستطيع أن تغفره ؟

لمعت عيناه فى مزيد من الجنون قائلاً :

— لقد وعدتك أن أكون رجلك الوحيد يا ليلى، ستبقين بقربى ..  
سنموت معاً كل يوم حتى نكفر عن هذا الحب.

أجابته بصوت يملؤه الألم :

— ليس حبى بذنب لأكفر عنه، الذنب فى رأسك وحدك.

اعتصر ذراعها غير مبال بكم الألم المرتسم على وجهها صارخاً :

— رأسى أنا أم رأسك أنت الذى يدفعك للنيل من الرجال واحداً  
تلو الآخر؟!

أدارها إليه فى قسوة وراح يحدق فى وجهها صارخاً :

— هل انتهيت من رسالتك اللعينة تلك أم ليس بعد ؟ كم منحرفاً  
تريدينه حتى تكتمل تجربتك يا ليلى ؟ كم رجلاً عليك  
العبور فوق جنته حتى تحصلى على اللقب يا دكتورة ليلى.

أجابته بأنفاس لاهثة ووجه شاحب :

— أنا لا أريد غيرك.

قال فى صوت حاول جاهداً أن يخرج بلا انفعال :

— ماذا بك ؟

همست بصعوبة وهى تعض على شفتيها :

— أشعر بأننى سأفارق الحياة.

أشاح بوجهه قائلاً :

— هكذا !.. بهذه السرعة ! .. حسابنا لم ينته بعد.

تجاهلت القسوة التى أبدأها قائلة :

— هل لى فى أمنية .. ربما تكون الأخيرة ؟

التفت إليها متسائلاً .. فاندفعت تعانقه فى حنين عجز عن

مقاومته وهى تهمس فى صوت بالكاد وصل مسامعه.

— دعنى ألفظ أنفاسى بين ذراعيك

أزاحها أرضاً .. وراح يضرب رأسه بالحائط مراراً حتى سال

دمه وغمر وجهه وهو يصرخ كالمجنون :

— اذهبى ، ابتعدى عنى قبل أن أقتلك.

تأوهت وهى تمسك أحشاءها، ووجهها يتصبب عرقاً ويكسوه

ألم رهيب، تفرس فيها جزعاً، انحنى محاولاً مساعدتها على

الوقوف دون جدوى فغمغم فى قلق :

— بماذا تشعرين ؟

ضغطت على أسنانها قائلة :

— مغص شديد.

تطلع إليها فى شك .. فابتسمت فى وهن قائلة :

— مغص حقيقى هذه المرة.

وجد نفسه بلا وعى يجثو على ركبتيه أمامها، وما لبث أن حملها إلى فراشه هاتفاً :

— سأستدعى الطبيب.

أمسكت بيده وهى تبتسم فى ألم قائلة :

— كنت على يقين بأن حبك لى سوف يقهر غضبك الأعمى.

تنهد وهو يحرر يده منها برفق قائلاً :

— إسعافك لا يعنى بالضرورة أننى غفرت لك.

قالت بأنفاس متقطعة :

— أما أنا وطفلك ..... الذى يموت ..... الآن حزناً.... فقد غفرنا لك.

ما كادت تنهى عبارتها حتى غابت عن الوعى، تنبه عندئذ إلى هذه الدماء التى لطخت ملابسه، ألقى بسماعة الهاتف جانباً وأسرع إليها محاولاً إسعافها، فوجئ بهذا الكم من الدماء التى تغطى فراشه، همس باسمها فى لوعة فلم تجب ..

غمغم فى توسل وهو يتفرد فى وجهها :

— بالله لا تستنفد أرواحك السبعة، وأعدك بأن أبتعد عن حياتك للأبد.

تلقت حوله كالغريق الذى يبحث عن ينقذه، أخيراً حملها بين ذراعيه وغادر المنزل مهرولاً غير مبال بهتاف والده ولا صراخ والدته اللذان أسرعوا خلفه على عجل.

كلما حانت منه التفاتة إلى تلك الغارقة فى دماؤها بالمقعد المجاور، كلما زاد من سرعة سيارته حتى بلغ حداً جنونياً يثير الفزع، هناك خياران لا ثالث لهما، أن ينجح فى إسعافها أو أن يموت الآن معاً.

\*\*\*

بالرغم من أن الساعة لم تكن قد تجاوزت السادسة صباحاً، إلا أن ردهة المستشفى الصغير كانت قد امتلأت عن آخرها بعشرات الزائرين الذين أتوا للاطمئنان عليها والتأكد من سلامتها، تطلعت العيون كلها فى لهفة إلى الطبيب الذى خرج للتو من غرفة العمليات فابتسم الأخير قائلاً :

— لقد فقدت كمية كبيرة من الدماء، لكنها ستنجو بإذن الله.

نظر إليه الحاج سالم فى شبه توسل قائلاً :

— وماذا عن الطفل، هل هو ....

قاطعته الطبيب قائلاً :

— للأسف، لم نتمكن من إنقاذه، على أية حال حمداً لله على نجاتها هي، والطفل يمكن تعويضه.

أغمض الرجل عينيه في ألم، كم كان يتمنى أن ينجو هذا الطفل ويظل على قيد الحياة رغم كل ما حدث، فهو يعلم علم اليقين بأنه لن يستطيع أن يرغم ممدوح على الزواج مرة أخرى مهما فعل، كان هذا الطفل هو فرصته الوحيدة في الحصول على الحفيد الذى طالما انتظره، لماذا يعاقبه الله هكذا؟!!

لا يتذكر يوماً بأنه أخذ ما ليس له، ربما كان عنيفاً ومستبداً في أحيان كثيرة، ربما كان يفتخر أحياناً بقوة ولده وجبروته، ويستغل صلابته في تهديد خصومه وبث الرعب في قلوبهم، لكنه كافح وقاسى كثيراً حتى تضاعفت ثروته التى ورثها عن أجداده، لم يسرق أحداً ولم يظلم أحداً، لمن سيذهب كل هذا؟

نظر ممدوح إلى والده فى رثاء، وهو يلمح كل هذا الكم من الألم وخيبة الأمل فوق وجهه، لكنه لن يستطيع أن يفعل شيئاً من أجله، فهو يحتاج لمن ينقذه أولاً.

تنهد بضيق، وأشاح بوجهه لتلتقى عيناه بعيني فؤاد فوجدهما على النقيض تماماً، كان وجهه قد امتلأ بالراحة وتنفس الصعداء، ولم لا؟!..!

لكم يتمنى أن تتخلص أخته من هذه الزيجة بلا خيط ولو رفيع يذكرها بها أو بـ ممدوح..! هذا الوغد، الذى يدعو الله أن ينجيه من رغبة ملحة تدعوه لقتله حتى يخلصها منه، أطلق تنهيدة طويلة وهو يقترب منه محاولاً السيطرة على انفعالاته

وثورته المشتعلة فى أعماقه ، ظل كلاهما يحدق فى الآخر طويلاً  
قبل أن يقول فؤاد :

— هل أنهيت حسابك معها ؟

زفر ممدوح فى ضيق قائلاً :

— ماذا تريد الآن ؟

هتف غاضباً :

— ما الذى تريده أنت منها أكثر من هذا ؟ لقد كدت أن تقتلها  
!.. ! إن لم تكن قد قتلتها بالفعل ، فهذه المخلوقة الغريبة الميتة  
بقلب ينبض ، ليست هى أختى التى أعرفها ، وأين هذه  
البائسة المحطمة من ليلى القوية المليئة بالأمل !؟.. ! اتركها  
الآن ربما استطعت أن أعيد شيئاً منها .

كان ممدوح يستمع إليه صامتاً فأردف فى مزيد من العصبية :

— طلقها وابتعد عن طريقها للأبد ، يمكننى الآن أن أذهب إلى  
مركز الشرطة وأقدم بلاغاً ضدك أثبت فيه ما فعلته بها ،  
يمكننى أن ....

قاطع ممدوح فى حدة قائلاً :

— إن كنت تظن أننى سأطلقها خوفاً من أحد فأنت مخطئ .

ضاقت عينا فؤاد وهو يضغط على أسنانه قائلاً :

— لا تجبرنى على فعل شئ لا أريده .

غمغم ممدوح فى لامبالاة قائلاً :

— إن كنت تريد قتلى ، فدعنى أخبرك بأننى ميت بالفعل.

— ربما كنت محقاً هذه المرة، فأنت لا قلب لك.

همس بصوت بلغ فؤاد واضحاً :

— نعم لا قلب لى ، ما كدت أكتشفه حتى سلبتنى أختك إياه !..

تفرس فؤاد فى ملامحة وأدرك للمرة الأولى ما يعانيه من عذاب ، كيف لم يلاحظ من قبل كل هذا الحب الذى أفقده صوابه ، لقد نجحت ليلى بالفعل وجعلت منه قيساً جديداً كما أرادت ، لكن ويرغم كل هذا ، يجب أن يبتعد عنها للأبد ، فربما كان حبه لها أكثر خطراً من لا مبالاته بها.

ربت ممدوح على كتفه قائلاً فى كلمات تقطر ألماً :

— أختك ليلى طالق.

هم بالانصراف عندما استوقفه فؤاد قائلاً :

— هذا الطفل كان طفلك.

ابتسم فى تهكم قائلاً :

— ربما ، هذا لم يعد يهم الآن.

— يهمنى أنا أن تعلم بأن أختى ليست ساقطة.

— كم أود أن أكذب عينى وأصدقك ، ولكننى لا أستطيع.

— لو تخلصت من بقايا الماضى لصدقتنى.

ضحك فى عصبية قائلاً :

— ما أريد التخلص منه هو الآتى.

نظر إليه فؤاد فى شفقة لم يتخيل يوماً بأنه سيشعر بها نحوه، بينما همس الأخير قبل أن يغادر المستشفى :

— اعتن بـ ( ليلي )

\*\*\*

— ممدوح .. فكر مرة أخرى .. الحياة لا تتوقف بعد الطلاق، يمكنك أن تبدأ من جديد.

أجابه ممدوح وهو يخرج بعض الأوراق من درج مكتبه ويضعها فى حقيبته :

— انتهى كل شئ يا أشرف، لن أعود إلى الإسكندرية مرة أخرى، عندما تجد مشترياً للشقة تخلص منها، بأى ثمن ولا تفكر كثيراً.

— ممدوح .. بغض النظر عن كل ما حدث، أنا على يقين من أن ليلي تحبك حباً جماً، إذا طلبت منها العودة إليك لن تمنع أبداً، بل سوف ترحب.....

— ليلي مجنونة .. وأنا أكثر منها جنوناً، فراقنا لا مفر منه.

احتضنه أشرف فى لوعة وهتف به :

— أعرفك عنيداً ومتحجر القلب، مهما رجوتك لن تغير رأيك، مهما أخبرتك عن الفراغ الذى ستتركه بيننا فلن تشعر به .. متى سترحل ؟

ربت ممدوح على ظهره طويلاً وتصنع ابتسامة قائلاً:

— سأرحل غداً.

— هكذا .. بهذه السرعة .. من دون أن تودع باقى الرفاق !..!

— سأودعهم بالطبع .. أخبرهم بأننى أدعوهم إلى تناول العشاء الليلة ، في المكان الذى يريدونه ، عندما تحددون المكان أخبرنى وسألحق بكم.

لم يستطع أشرف أن يكبت انفعالاته أكثر من هذا، انفجر باكياً كالأطفال، تأمله ممدوح وزفر بضيق قبل أن يشيح بوجهه عنه ويهتف ينادى سكرتيرة مكتبه، أقبلت سهام على عجل وما إن رأى عينيها المتورمتين حتى قال ساخطاً:

— ما بالكما .. وكأننى ذاهب لقبرى لا للساحل الشمالى.

ازداد الاثنان نحيباً، فغمغم في صبر نافذ وهو يمد يده إلى سهام قائلاً :

— هذا شيك بمبلغ صغير، اعتبريه مكافأة نهاية الخدمة، لقد تحدثت بشأنك مع المهندس الذى اشترى المكتب ونصحتك بأن يحتفظ بك، أخبرته بأنك سكرتيرة رائعة.

غمغم يتصنع ابتسامة :

— لكن .. لا تدعيه ينعش حياتك الزوجية، فالأمر صعب جداً لزوجك، بالمناسبة .. بلغيه سلامى.

انهارت سهام وهى تغمغم بأنفاس لاهثة.

— أى نقود تعوضنى عن إحساسى بك ؟ وأى عمل يطيب لى بعيداً عنك؟ تعلم أننى لا أعمل من أجل المال بل من أجلك أنت.

ربت على كتفها مواسياً، يا الله .. لكم كان طائشاً، همجياً  
بالفعل كما اعتادت ليلى أن تصفه ..! كيف استطاع أن يعذب كل  
من حوله ويؤلمهم حد البكاء ..؟! لم يرحم ضعفاً لقلب ملكه ..!  
عليه الآن أن يتجرع من كأس طالما أشقى الآخرين به ولم يشفق  
أو يترفق، سوف يتجرعه راضياً عله يكفر عن بعض من ذنوب  
.. بقصد كانت أو بلا قصد، ربما استحق الغفران يوماً ومنحه الله  
فرصة أخرى ...

\*\*\*

كثيراً ما تكرر وجودهم معاً في هذا المكان وعلى ذات الطاولة،  
ولكنهم فى أحلك الضغوط والمواقف التى تعرضوا لها .. لم يسد  
بينهم ذلك الوجوم، حتى البسمات المصطنعة غدت ثقيلة والتصقت  
بحلوقهم فلم تغادرها، العبارات القليلة التى أفلحت فى الهروب  
من أفواههم زادتهم إحباطاً وحنناً فقرروا الصمت، تدلل الصمت  
وتمادى فى دلالة حتى قطعه نحيب كمال الذى لم تتحمل أعصابه  
الصمود أكثر من ذلك فأجهش فى وصلة من البكاء العنيف المتصل،  
لم يحاول أحد مواساته أو التخفيف عنه .. بل انتقلت العدوى  
تدرجياً لتشمل الجميع حتى غمغم ممدوح بصوت مختنق:  
— يبدو أنه كان غباً منى عندما قررت أن نجتمع اليوم معاً.

قالت نجوى من بين تشنجاتها:

— هل كنت تريد أن تذهب بلا وداع؟! أما لقسوتك من حدود؟!!

— كلما تأملت وجوهكم شعرت بأننى راحل بلا عودة، كنت

أتوقع سهرة مرحة كعهدنا دائماً معاً.

غمغم عادل في لوعة

— عهدنا انتهى برحيلك عنا، لقد فرقت شملنا للأبد.

— كف عن حديثك السخيف هذا، سوف نلتقى هنا وفي الساحل الشمالى حيث أعمل، سنقتنص كل الفرص المتاحة لتتواجد معاً، الصداقة التى تربطنا أقوى من أن يقهرها الزمن أمسكت نجوى بيديه وهمست في مزيج من الحزن والعتاب والغضب :

— وماذا عن حبنا؟ ماذا عن حبى أنا لك؟! أعلم أنك لم تحبنى كما أحببتك، ولكن كيف هنت في قلبك لهذا الحد؟ كيف استطعت أن تتركنى بعد سنوات أمضيها معاً؟ ألا تذكر لى لحظة جميلة تجمعنا أوضحة حلوة تبادلناها؟ كلماتك كانت مصطنعة ولكننى أحفظها كلها.. ألم تعلق كلمة منى في خاطرك..؟! الأماكن التى زرتها معاً كيف سأراها وحدى بعد رحيلك..؟! كل العيون التى رأتنا معاً.. بماذا سأخبرها عندما تسألنى عنك؟!

— بالله كفى يا نجوى، إن كنت لا أجيد البكاء، فهذا لا يعنى أبداً أننى لا أتعذب وأعانى ما تعانوه ربما أضعافاً.

أخرج من جيب سترته بعض الأوراق قدمها إليها قائلاً :

— هذا تنازل منى عن الشقة التى تشاركناها معاً، وهذا شيك بمبلغ أظنه كافياً لفترة طويلة، أتمنى خلالها أن تبحثى عن عمل مناسب، أنت جامعية وجميلة وذكية حد الدهاء، لن

تجدى صعوبة في الحصول على عمل جيد، أتمنى أيضاً أن  
تُوفقى إلى زوج يحبك ويعوضك سعادة عن كل ألم سببته لك.

غمغمت ساخرة

— ولماذا لا تزوجنى أنت ..؟! ابحث في جيبيك الآخر ربما تجد  
لى زوجاً به ..!

— نجوى !

— آه .. لو تدرى كم أتألم ..! لو تشعر بما أشعر ما كنت  
استنكرت لوعتى ..!

— لا تحسبن أننى خرجت من مصابى بلا جراح، إن كنت لا  
أذرف دمعاً، فقلبى ينزف دمياً.

هتفت به سميرة بلا مقدمات :

— أمن أجل امرأة خانتك تفعل بنفسك وبنا كل هذا ؟

نظر إليها في غضب، ما لبث أن وجهه لأشرف، لم يكن سواه  
يعلم بهذا الأمر، وإن لم تكن ليلى هى من أخبرته .. ربما ما كان  
ليعلم أبداً، كبرياؤه هى الشئ الوحيد الذى تبقى له بعد أن هان  
كل شئ في عينيه .

صرخ بها أشرف وكأنه ينفى التهمة التى التصقت به :

— من أخبرك بهذا الأمر ؟

ارتبكت سميرة وحانت منها التفاتة إلى نجوى التى تبدل  
حزنها فجأة إلى شئ من الخوف حاولت إخفاءه دون جدوى، لقد

باحث سميرة في لحظة طائشة بما خططت له مسبقاً ونجحت في إخفائه حتى الآن .. كانت تأمل أن تسيّر خطتها كما أرادت .. فتتخلص من ليلى ومن ذلك الرجل أيضاً عندما يراها ممدوح معاً ويفاجأ بخيانة زوجته .. كانت تعلم أن القانون سوف يبرئه لأنه فعل جريمته دفاعاً عن شرفه المغتصب .. يومها فقط كان سيعود إليها .. لكن خطتها فشلت .. لم تكن تتوقع أبداً أن يطلقها في صمت ويتكتم الأمر.

ضاقت عيننا ممدوح، وومضتا فجأة، وهو يوجه حديثه إلى سميرة دون أن يرفع عينيه عن نجوى.

— إن لم يكن أشرف هو من أخبرك .. فلا شك أن نجوى لديها الكثير لتخبرنا به.

غمغمت نجوى وقد فضحتها ملامحها:

— ماذا تعنى، وما شأنى أنا بهذا الأمر؟

تطير الشرر من عينيه قائلاً

— كيف دخل هذا الوغد إلى حجرة نومي؟

— وما أدرانى أنا؟ أسأل من كانت زوجتك، هى من أدخلته.

— أخبرتنى ليلى أنك زرتها ذلك اليوم المشؤم .. وأنتك من

أخبرتها بأمر عودتى من فرنسا، جنونى يومها أعمانى عن

الوصول للحقيقة .. لكننى على يقين الآن بأنك من دبرت كل

هذا أيتها اللعينة.

— ومن أين لى أن أعرف بأمر عودتك من فرنسا ؟ لا تحاول أن تبرئها وتتهمنى بالمقابل.

غمغم أشرف الذى كان على يقين من براءة ليلى .. وإن كان لم يستطع إثباتها

— لا شك أن سميرة هى من أخبرتك، كانت تقف بجوارى وأنا أتسلم التلغراف الذى أرسله ممدوح.

— يبدو أن كليكما فقد عقله، لابد أن أذهب من هنا.

ما كادت تنهض حتى وجدت قبضة ممدوح الحديدية حول عنقها تعتصره بقوة وهو يضغط على أسنانه قائلاً :

— ليس قبل أن تخبرينى بالقصة كاملة، منذ رأيت هذا المجرم وخططما معاً لجريمتكما الدنيئة .. وحتى أدخلته إلى حجرة نومى.

فتحت فاها واتسعت عيناها وهى تهتف بأنفاس تكاد تتوقف :

— ممدوح .. سوف أختنق بالفعل، لم أعد قادرة على التنفس.

حاول رفاقه أن يخلصوها منه، لكنه هتف فى هيسستيريا أفزعتهما وأفزعتهم :

— سوف أقتلك يا نجوى، بسببك قتلت طفلى، وكدت أقتل المرأة الوحيدة التى أحببتها فى حياتى، بسببك أهدرت آمال أبى حتى كاد يجن حزناً على حفيد انتظره طويلاً وحرمته منه فى لحظة طيش، أنا وأنت نستحق الموت عن كل ما سببناه لهؤلاء الأبرياء من حزن وألم .

## عيداً .. للحب

دخل فؤاد إلى حجرة ليلي التي لم تكن تغادرها لمسافة أكثر بعداً من دورة المياه رغم مضي أكثر من شهر ونصف على عودتها من المستشفى، وضع صينية الطعام التي يحملها جانباً وهو يقول مبتسماً :

— لقد دعوت نفسي لتناول الفطور معك هذا الصباح

انفجرت شفاتها عن ابتسامة باهتة ولم تعلق، فأردف في بعض العتاب :

— لم لاتقولين شيئاً؟ ألا يسعدك هذا؟

غمغمت في لا مبالة :

— بلى بالطبع.

ظل يرقبها وهي تتناول الطعام بطريقة آلية دون أن ترفع عينيها عن الأطباق التي راحت ترقبها بنظرات شاردة، شعر بالألم عندما غمست يدها في أحد الأطباق التي لم تكن تتقبل مذاقها من قبل .. والتي أعدته زوجته من أجله .. وهم أن يرفضه .. حتى لا تفقد شهيتها.

غمغم عندما تناولتها ولم تعلق :

- هل أعجبتك ؟
- ابتسمت قائلة :
- رائع كالعادة.
- أيقن أنها تتناول طعامها دون أن تتذوقه ، تنهد قائلاً :
- هل فكرت بشأن قطع إجازتك والعودة للعمل ؟
- ليس بعد ، على أية حال لا أظن أن «صالح» سيرحب بهذه الفكرة.
- صاح منفعلاً :
- وما شأن صالح بهذا الأمر ؟
- قالت وكأن الأمر لا يعنيها :
- هل نسيت أنني سأغدو زوجته عما قريب ؟
- ازداد غضبه قائلاً :
- صالح متزوج ولديه خمسة أبناء.
- صالح يحبني منذ زمن بعيد ، ولم يتزوج بغيري إلا بعدما رفضت أنا الزواج منه.
- غمغم مستنكراً :
- قولي إنك تحبينه أيضاً !..
- أجابته في لا مبالة :

— هذا لا يهم.

هزها فى شئ من العنف قائلاً :

— استيقظى يا ليلى قبل أن تضيعى للأبد، عمك لم يرحب بهذه الزيجة إلا طمعاً فى ثروتك التى تركها لك خالك عبدالله بعد وفاته.

قالت وكأنها لم تسمعه :

— أشرك على الفطور.

حدق فيها ملياً قبل أن يصرخ من جديد :

— مهما بلغ عشق صالح لك، فسوف يملك سريعاً عندما يكتشف أنك أصبحت دميمة لا حياة فيها.

أشاحت بوجهها قائلة :

— ما دمت تعلم هذا، فاتركنى أدفن حيثما أشاء، لا تعترض على زواجى منه.

هز رأسه حائراً لا يدرى ما يفعله لكنه فى النهاية ضغط على أسنانه قائلاً :

— على جثتى يا ليلى هذه المرة ، هذه الزيجة لن تتم ولو اضطرت لمواجهة العائلة بأكملها، لم يغمض لى جفن هائئى حتى خلصك الله من زيجة مجنونة، لتلقى بنفسك الآن فى زيجة أكثر جنوناً، لماذا تفعلين بنفسك وبنا كل هذا !؟

غادر الغرفة صافعاً الباب بقوة، وقف أمام حجرتها مهموماً شاردًا، فلم يسمع تحية نادية التى عادت تغمغم مبتسمة :

— هل يمكنني الدخول لرؤية ليلي ؟

رفع رأسه يتفردس في وجهها كأنه لا يعرفها، قبل أن يرسم ابتسامة شاحبة على شفثيه قائلاً :

— بالطبع يا نادفة؁ أرجو أن تلتمسى لى العذر؁ لقد كادت صديقتك أن تصيبنى بالجنون؁ لقد فقدت وعيها تماماً ولم تعد تتذوق أى شئ حولها؁ هل تصدقين أنها تريد الزواج من صالح غير مبالفة بزوجه أو بأولاده الخمسة .. بغض النظر عن الفرق الشاسع بين ثقافة كل منهما.

— ابتسمت نادفة فى تفاؤل قائلة :

— اطمئن؁ سأعيدها إلى رشدها.

تأملها فى رجاء قائلاً :

— أتمنى لك التوفيق من كل قلبى.

بادلت ليلي تحفة نادفة وحننها لها فى برودة ولا مبالاة كعادتها فى الفترة الأخيرة كلما أتت لزيارتها؁ جلست نادفة تتأملها فى إشفاق قبل أن تقول :

— خمنى من أتى إلى الجامعة هذا الصباح.

تنهدت قائلة فى عدم اكتراث :

— من ؟

همست وهى تتفردس فى وجهها :

— نصفك الآخر.

تدفقت معالم الحياة فجأة فى وجهها دفعة واحدة، وهى  
تغمغم فى صوت لم يخرج من شفيتها :

— ممدوح !

ابتسمت نادية وترقرق الدمع فى عينيها وهى تتأمل ليلى  
التي همست :

— كيف حاله ؟

— ليس أفضل من حالك، لقد صدمت عندما رأيته.

أحنت وجهها وعضت على شفيتها فى مزيج من الحنين والألم  
.. فعادت نادية تقول :

— ألا تريدين معرفة ما حدث بيننا ؟

صاحت فى عناد :

— الأمر لم يعد يعنينى.

تأملتها نادية مستنكرة قبل أن تقول فى مكر :

— حسناً، دعينا نتحدث عن يهملك أمره، ما أخبار صالح ؟

استدارت إليها فى عتاب، فضحكت وهى تقبلها قائلة :

— حسناً، لقد بلغه خبر زواجك من صالح.

هتفت بسرعة :

— لا تقولى إنه أرسلك لتهنئتى !

عادت نادية تضحك قائلة :

— كلا، بل أرسلنى لأحذرك.

حدقت ليلى فيها متسائلة فأردفت :

— طلب منى أن أخبرك بأنه سيقتل «صالح» إذا صممت على الزواج منه.

ابتسمت فى حنين فهتفت نادية مستنكرة :

— هل أنت سعيدة لأنه سيقتله ؟

تجاهلت عبارتها قائلة :

— ماذا قال أيضاً ؟

فتحت حقيبتها بينما ليلى ترقبها فى لهفة، أخرجت منها رسالة قدمتها إليها صامتة فأمسكت بها الأخيرة بيد ترتجف انفعالاً، وما إن بدأت سطورها حتى انهمرت دموعها التى ظنت أنها جفت للأبد .....

### حبيبتي ليلى :

ليس لى عذر فيما فعلت سوى أننى أحببتك حباً أفقدنى عقلى وأعمى بصيرتى، حباً ما خلتنى يوماً قادراً على مثله، حباً حذرتك منه مراراً .. لكنك أبيت إلا أن تكونى كل النساء فى قلبى وفى حياتى .. أحببتك حباً جعلنى أعرف قيساً وأعذره، بل

وأحسده أيضاً لأن القدر كان رحيماً به فاكتفى بجنونه، أما أنا فبقدر قسوتى يقسو على، ويزداد قسوة يوماً بعد آخر، بالأمس الأول فقط علمت من نجوى وهى تكاد تلفظ أنفاسها الأخيرة بين يدي بأنها هى من دبرت تلك المؤامرة للانتقام منى ومنك . وبالأمس علمت بنبا زواجك المرتقب من صالح . ولا أدري ماذا يدخر لى اليوم والغد . اغفر لى يا ليلى ولا تنتقمى من نفسك بسببى، لا تحاولى عقابى، يكفينى عقاباً أن أحيا بحب كهذا للأبد، يكفينى طيف طفلى الذى قتلته فى لحظة طيش وجنون خشيت عليك من مثلها فقررت الابتعاد عنك . نعم، فأننا لم أطلقك حينها غيرة على شرفى المغتصب، ولا خوفاً من أحد، بل طلقتك خوفاً عليك من نفسى، فعيشى حياتك التى ضحيت بحياتى من أجلها، ابحثى عن سعادة أتمنى أن تجديها سريعاً

## مردح

ما إن انتهت من القراءة حتى راحت تنتحب فى هيسستيريا بكل الدموع التى حجبته طويلاً، دلف فؤاد إلى الحجرة فى قلق، نظر إلى نادية ومحاولاتها المستميتة لتهدئ من روعها بلا جدوى .. غمغم فى تساؤل لم يجبه أحد، أمسك بالرسالة من يدها وراح يقرأ ما جاء فيها قبل أن تعترض أى منهما، ظل بعد ذلك يرقبها صامتاً إلى أن هدأت أخيراً، فتنهد فى مرارة قائلاً :

— ما زلت تحبينه إذاً!؟

تساعد نحيبها من جديد، فاقترب منها، ووضع يديه على  
كتفيها في حنان قائلاً :

— لقد كاد أن يقتلك يا ليلي، هو نفسه يعلم هذا لذا فضل أن  
يبتعد عن طريقك.

همست بصوت مختنق :

— لأنه أبله، أحمق، مجنون، لقد ذقت الموت في قربه مراراً  
وكان أهون كثيراً من الحياة بعيداً عنه.

هز رأسه وأطلق تنهيدة طويلة، بينما غمغمت نادية :

— إن كانا روحاً وجسداً فمن القسوة أن يحتضرا للأبد.

نظر إليها وابتسم في مرارة وحيرة قبل أن يغادرهما صامتاً.

ما كاد فؤاد يبتعد قليلاً عن منزله .. حتى فوجئ بسيارة  
ممدوح الذى ترجل منها عندما اقترب منه ..

فبادره فؤاد ساخطاً :

— ما الذى أتى بك إلى هنا ؟

— جئت لرؤيتك

— رؤيتى أنا !!

— نعم

— حسناً، ماذا تريد منى ؟

— اسمعنى جيداً يا فؤاد، أنا لم أطلق ليلى لترتبط بآخر، أنا على يقين بأن حياتها معه ستكون أكثر قسوة مما كانت عليه معى.  
— إن كنت تقصد زواجها من صالح فاطمئن، هذه الزيجة لن تتم.  
تنفس ممدوح الصعداء بينما نظر إليه فؤاد فى ريبة قائلاً :

— أنت لن تردها إليك من جديد، أليس كذلك ؟  
ابتسم ممدوح بمرارة قائلاً :

— اطمئن، أنا لا أجرؤ على التفكير فى هذا حتى فى أحلامى.  
— لماذا أرسلت لها هذا الخطاب إذا ؟

— اعتبره شهادة منى على برائتها من تهمة الخيانة التى ألصقتها بها .. اعتبره نوعاً من الاعتذار، أردت به أن تغفر لى وتبدأ من جديد.

صافحه لينصرف .. لكن فؤاد ضغط على يده قائلاً :

— كيف حال والدك ؟

غمغم ممدوح فى ألم :

— كان الله فى عونى، أرجو أن تعتنى به فى غيابى فهو يعتبرك ولده الذى لم ينجبه.

أجابه فؤاد فى صدق :

— أنا أيضاً أضعه فى منزلة أبى ولن أتركه فى محنته وحده.

ابتسم ممدوح وهو يرمقه فى إعجاب قائلاً :

- لولا الظروف التي جمعتنا معاً، لربما كان لنا شأن آخر.
- نظر ممدوح إلى يده التي مازال فؤاد ممسكاً بها وقال :
- هل يمكنني الذهاب الآن ؟
- هل ستذهب إلى الإسكندرية ؟
- بل إلى الساحل الشمالي ، صفيت أعمالى فى الإسكندرية.
- لماذا، هل مللت نساءها ؟
- ابتسم ممدوح فى تهكم قائلاً :
- بل مللت النساء جميعهن.
- همس فؤاد وهو يتفرس فى ملامحه :
- و ليلى كذلك ؟
- اكتسى وجه ممدوح بحنين لم يستطع إخفاءه، و تسمرت عيناه على وجه فؤاد هامساً :
- هل تعلم أنك تشبهها ؟
- وقبل أن يعلق فؤاد على عبارته، فوجئ به يحتضنه فى حرارة مردفاً :
- اغفر لى

\*\*\*

فى المساء ..عندما دخل فؤاد إلى حجرة لىلى .. كانت نائمة وقد أمسكت فى يدها بورقة صغيرة وضعتها فوق قلبها، جذب الورقة من يدها فى رفق فوجدها إحدى أوراق التقويم بتاريخ الغد، التاسع من مارس، ابتسم فى حنان عندما تذكر المناسبة التى تربطها بهذا التاريخ، قبل جبهتها فى حنان ففتحت عينيها وجلست على فراشها ترقبه فى دهشة.

وقع بصرها على ورقة التقويم التى بين يديه فهمت :

— فؤاد .. لا تقلق بشأنى، أصبحت بخير الآن، سأفعل كل ما تريده، سأعود إلى عملى غداً، لقد اتفقت مع نادىة على قطع إجازتى.

— هل وافق صالح على هذا ؟

— لن أتزوج «صالح»، لا شأن له بى.

تأملها قائلاً :

— وماذا عن ممدوح ؟

أشاحت بوجهها قائلة :

— كن مطمئناً، ما أشعر به شئ وما أنوى أن أفعله شئ آخر،

ربما لم أتحرر منه بعد ولكننى أعدك .. بأن .....

قاطعها مبتسماً :

— أخشى أنك لن تتحررى منه أبداً

همست فى لوعة :

— فؤاد ..... .

قبل جبهتها فى حنان من جديد قائلاً :

— سأنتظرِكَ خارجاً حتى تبدلِ ملبسك

سألته فى دهشة :

— أين سنذهب ؟

تصنع الهدوء قائلاً :

— إلى أقرب محطة تقلك للساحل الشمالى .

تحولت دهشتها إلى زهول وهى تغمغم :

— الساحل الشمالى ! ومن لنا فى الساحل الشمالى ؟

ابتسم فؤاد قائلاً :

— ومن لنا سواه، هذا المتوحش الذى تركك لى جسداً أراه فيه

كلما نظرت إليك، بينما احتفظ بروحك معه حيثما ذهب .

أضاء وجهها وهى تهمس :

— فؤاد هل تعنى أنك ..... .

تأملها فى سعادة قائلاً :

— لو لم أكن على يقين بأنه تغير بالفعل هذه المرة، لما باركت

عودتك إليه أبداً .

احتضنته فى سعادة كانت تشك فى أنها قد تشعر بها من جديد، فربت على ظهرها قائلاً :

— كفى، لابد أن نذهب قبل أن يشعر بنا أحد.

نظرت إليه فى قلق قائلة :

— وماذا ستفعل بعد رحيلى ؟

— لا عليك، عقاب العالم كله يهون، أمام هذه السعادة التى أراها تتلألأ فى عينيك من جديد

ثم أردف مبتسماً :

— على أية حال، أنا واثق بأن هذا المتوحش .... أقصد ممدوح .... يستطيع حمايتك إذا لزم الأمر ..

تأملته فى امتنان فأردف قائلاً

— غداً أريد أن تعرف القرية كلها أنه أعادك إلى عصمته من جديد.

\*\*\*

ما إن نزلت ليلى من السيارة التى توقفت أمام قرية الأمل السياحية فى الساحل الشمالى، حتى أسرع اثنان من رجال الأمن ليفتحا لها البوابة قبل أن تطلب، وعلق أحدهما قائلاً :

— ها قد عادت روح ممدوح الضالة.

ابتسمت لتعليقه فبادلها ابتسامتها وهو يحمل عنها الحقيبة قائلاً :

— وكم يسعدنى أن أكون من يعود بها إليه .. ! اتبعينى يا سيدتى.

تبعته ليلى إلى أحد مواقع العمل حيث كان ممدوح هناك وسط  
عدد من القائمين على تنفيذ المشروع ، ظلت ترقبه فى حنين إلى  
أن استدار إليها فجأة، وراح يحدق فيها شاردًا، وقد امتلأت عيناه  
بشوق بالغ، ما لبث أن تحول إلى حزن عميق قبل أن يهز رأسه  
ليطردها منه، ويتابع حديثه من جديد، وكأن شيئاً لم يكن ..  
نظر إليه أحد المحيطين به قائلاً :

— هل ستتركها تذهب ؟

غمغم وهو يلتفت نحوها من جديد :

— هل تراها ؟

انتهره آخر قائلاً فى دهشه :

— يراها ! ! ماذا تعنى ؟

لم يدرك من رأى ممدوح فى هذه اللحظة إن كان قد قفز أم  
طار ليهبط خلفها مباشرة وهو يهمس باسمها فى شوق ما بعده  
شوق، استدارت ليلى وقد عاد الأمل إلى عينيها من جديد، راح  
يمسح جسدها بكلتا يديه قبل أن تستقرا أخيراً فوق وجهها الذى  
احتضنه فى حنان هامساً :

— ليلى .. أنت هنا بالفعل !

تأملته فى مزيج من الشوق والتساؤل والعتاب فأردف :

— ظننتك طيفاً من أطيافك التى تطاردنى حيثما ذهبت.

همست فى سعادة :

— أردت أن أكون اليوم معك، أتدرى لماذا ؟

برقت عيناه قائلاً :

— سأجعله عيداً للحب يا ليلي.

إنه هو .. حبيبها .. عالمها المجنون الذى لا تريد غيره، أنفاسها التى كادت أن تختنق فى البعد عنها، فليذهب كل ما عداه للجحيم، ستحيا اليوم معه وليقتلها غداً إن شاء، لكنها لن تسمح أبداً أن يبعدها شئ عنه مرة أخرى ...

لم تحتمل كل هذه السعادة التى تشعر بها، فانهمرت دموعها انفعالاً.

هتف وهو يمسح دموعها بكلتا يديه :

— كلا، لا دموع بعد اليوم، لقد سددت ثمن شرورى أضعافاً.

ضمها إليه وراح يقبلها فى شوق ولهفة .. فهمست وهى تطلع حولها فى خجل :

— ممدوح، الناس ترقبنا

غمغم ساخراً :

— الناس ترقبنا !!

حملها فجأة بين ذراعيه، وراح يطوحها فى الهواء، وهو يكرر صارخاً :

— أحبك

غمغمت فى صوت مختنق من السعادة والخجل :

— مجنون !

همس وهو يستعد لتقبيلها من جديد :

— مجنون لیلی



## وللمؤلفة تحت الطبع :

- وعاد ينبض من جديد «رواية»
- اين حبيبي «رواية»
- لماذا أنت؟! «رواية»
- الشياطين لا تموت «رواية»
- الوهم «رواية»
- في الحب أعذارى «رواية»